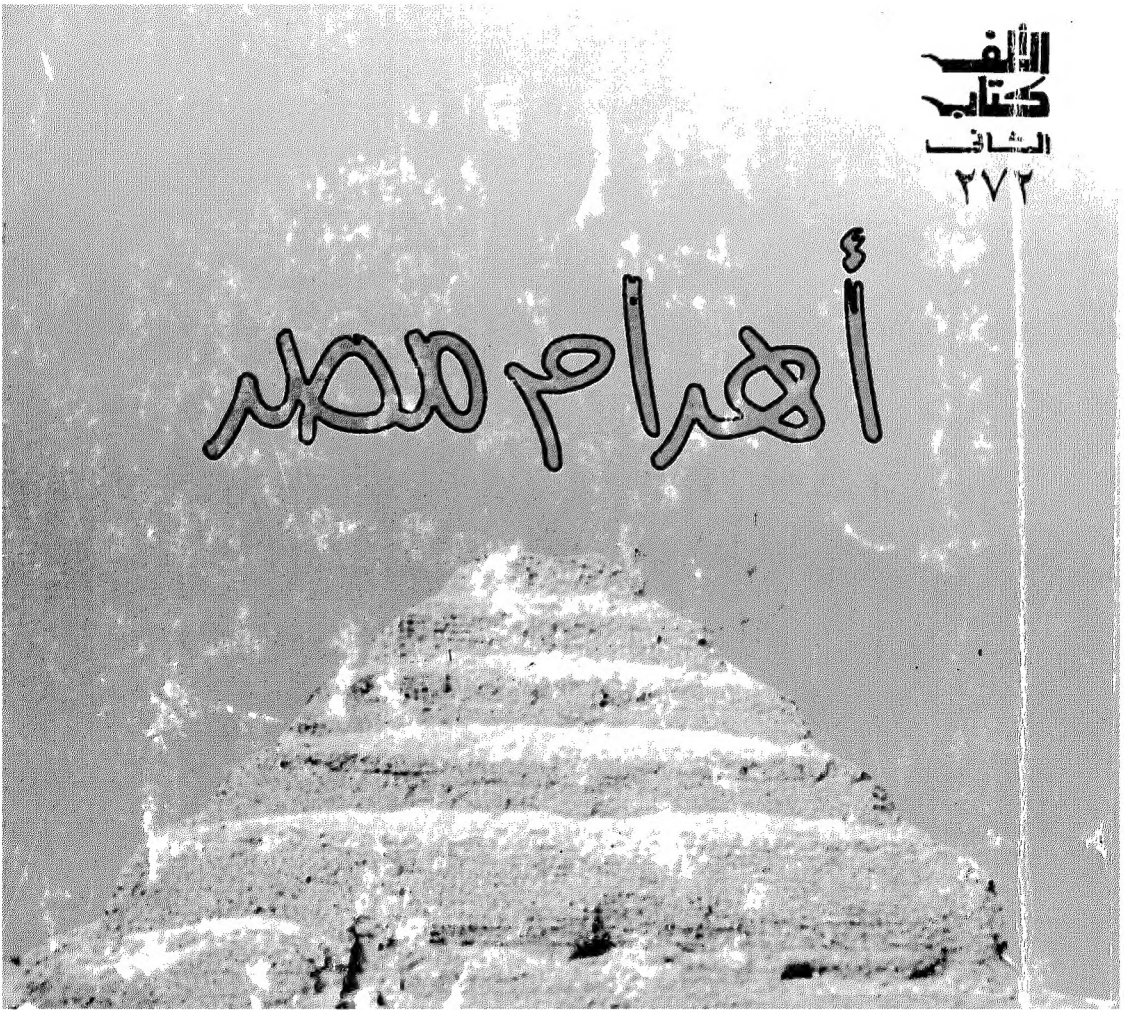
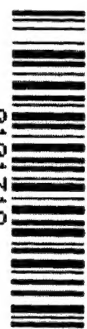


كتاب
الكتاب
٢٧٢

أهرام مصر



تأليف: أ.أ. س. ادواردز
ترجمة: مصطفى أحمد عثمان
مراجعة: د. أحمد فكري



0101319



Bibliotheca Alexandrina

المكتبة المصرية
الخاتمة الكتاب

أهرام مصر

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

مدير التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفنى

لمياء محرم

أهرام مصر

تأليف

١٠١٠ س. إدواردز

ترجمة

مصطفى أحمد عثمان

مراجعة

د. أحمد فخري

الطبعة الثانية



المكتبة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|----------------------------------|--------|
| مؤلف الكتاب | ٧ |
| هذا الكتاب | ٨ |
| تمهيد | ١٣ |
| اللوحات | ١٦ |
| رسومات الكتاب | ١٩ |
| مقدمة | ٢٤ |
| الفصل الأول | |
| المصاطب | ٤٢ |
| الفصل الثانى | |
| الهرم المدرج | ٥١ |
| الفصل الثالث | |
| من الهرم المدرج الى الهرم الكامل | ٧٣ |
| الفصل الرابع | |
| أهرام الجيزة | ٨٩ |
| الفصل الخامس | |
| أهرام الأسرتين الخامسة والسادسة | ١٣٠ |

الفصل السادس

أهرام العصور التالية ١٦٣

الفصل السابع

طريقة بناء الهرم والغرض منه ١٩٤

أهم أهرام الدولتين القديمة والوسطى ٢٢٤

بيبلوجرافيا ٢٢٦

مؤلف الكتاب

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ ا. ا. إدواردز من علماء الآثار المعروفين في بلاده ، وقد نشر كثيرا من الأبحاث العلمية . وكان يشغل منذ عام ١٩٣٤ وظيفة أمين القسم المصرى بالمتحف البريطانى ، وله مقام مرموق بين علماء الآثار فى انجلترا بل وفى جميع البلاد الأخرى .

ولهذا وقع عليه اختيار شركة بليكان لكتابة كتاب عن أهرام مصر ، فمضى سنوات عدة فى اعداده اثناء الحرب العالمية الاولى ، وزار المناطق الاثرية المختلفة ، وتيسرت له الفرصة لقراءة ما كتب عن هذا الموضوع ، فأخرج هذا الكتاب الذى بين ايدينا ، ونجح الى حد كبير فى جعله سهلا ليتسنى لكل شخص أن يستفيد منه .

ولم يقتصر المؤلف على وصف بعض هذه الأهرام ، ولكنه شرح تطور فكرة بناء الهرم من الناحيتين الدينية والمعمارية ، مما زاد من قيمته . ومما يشهد على الاقبال الشديد على هذا الكتاب من القراء فى جميع أرجاء العالم أنه قد أعيد طبعه عدة مرات حتى الآن .

هذا الكتاب

أتم ا. ا. ادواردز كتابه عن اهرام مصر قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولم يدخل عليه الا القليل النادر بعد عام ١٩٤٥ ، ولهذا نرى أن كل ما فيه من معلومات ، وما حاول المؤلف استخلاصه من نتائج ، مبنى على معلومات عن الأهرام حتى ذلك التاريخ ، ولكن بالرغم من مضي أكثر من عشر سنوات على كتابه ، وظهور كثير من الأبحاث العلمية عن الأهرام في هذه الفترة ، وعمل حفائر كثيرة ، فإن الكتاب لم يفقد أهميته بعد ، وما زال كما كان منذ صدوره من خير ما يقرأه محبو الاطلاع عن فكرة الأهرام وتطورها في صورة مختصرة مقبولة ، ولهذا لم أتردد في التوصية على ترجمته في مشروع الألف كتاب ، وقبيل راضيا مراجعته لایمانی بفائدته ليكون بين أيدي قراء العربية رغم صعوبة موضوعه وتعقيد أسلوبه ، وهذا ما جعل ترجمته أمرا لا يمكن أن يوصف بالسهولة .

وقد نجح الأستاذ مصطفى أحمد عثمان في نقل هذا الكتاب الى العربية ، وكان أمينا مدققا في ترجمته ، وبذل كل ما في استطاعته في الإبقاء على روح أسلوب مؤلفه ، ولو كان ذلك على حساب سلامة الأسلوب في العربية واسترضاء القارئ ، وقد وافقته على ذلك لأن الكتاب منسوب قبل كل شيء الى مؤلفه ، وتتقضى امانة الترجمة باعطاء صورة صحيحة عن الموضوع ، وأسلوب المؤلف ، ولو كان ذلك فيه مشقة على القارئ .

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام ١٩٤٧ ، وقد شاعت الظروف أن تظهر بين أعوام ١٩٤٥ - ١٩٥٦ معلومات كثيرة عن الأهرام ، وضعت حدا لكثير من المشاكل التي تعرض لها المؤلف ، كما أظهرت الحفائر المختلفة نتائج غيرت الكثير مما ورد في هذا

الكتاب ، ولهذا أثر العرب أن يضيف في الهوامش بعض ما جيد ، حتى لا يعتقد القارئ العربى فى عام ١٩٥٧ أن جميع المعلومات الواردة فى الكتاب هى آخر ما وصلت اليه أبحاث الأثريين عن الأهرام .

وانى أرى من واجبى الإشارة فى هذا التصدير المختصر الى أهم الأبحاث الجديدة عن موضوع الأهرام ، منذ صدور كتاب « أهرام مصر » باللغة الانجليزية حتى الآن :

أولا - فى منطقة دهشور :

قررت مصلحة الآثار فى عام ١٩٤٥ القيام بعمل أبحاث خاصة عن الأهرام ، ورصدت لذلك ميزانية خاصة لما أطلقت عليه مشروع دراسة الأهرام ، وأسندت رئاسته الى المرحوم المهندس عبد السلام محمد حسين ، الذى قام بحفر المعبد الجنائزى لهرم الشواف ، الذى بناه الملك « جد كارع - اسيسى » من أواخر الأسرة الخامسة فى جنوب سقارة . ولكن الجزء الأكبر من أبحاث المرحوم عبد السلام محمد حسين كان فى منطقة دهشور حول الهرمين المشيدين بالحجر ، وقد نظف أركان الهرمين وداخلهما ووجد فى كل منهما اسم الملك « سنفرو » . وبهذا أخذت معلوماتنا عن هذه الفترة من تطور بناء الأهرام تتغير ، لأننا نعلم من النصوص المختلفة أن سنفرو - مؤسس الأسرة الرابعة ووالد خوفو باني الهرم الأكبر - بنى هرمين ، وكان المفروض ، حتى وقت القيام بالحفائر وكما هو وارد فى هذا الكتاب ، أن أحد هرمى سنفرو فى دهشور ، وهو الهرم البحرى ، أما هرم سنفرو الثانى فهو هرم ميدوم . ولكن حفائر مصلحة الآثار الجديدة أثبتت أن الهرم المنحنى فى دهشور ، وهو المعروف بالهرم الجنوبي ، قد بنى أيضا فى عهد سنفرو ، وبذلك تحدد أن هرمى سنفرو هما هزما دهشور . وعلينا الآن أن نجد اسم مشيد هرم ميدوم ، ونعرف تماما متى شيد .

ومات الأستاذ عبد السلام مأسوفاً عليه فى عام ١٩٤٩ فى ريعان شبابه دون أن يتمكن من نشر نتيجة أبحاثه نشرأ علميا ، أو يكمل ما بدأه من عمل ، وأسندت مصلحة الآثار الى مشروع دراسة الأهرام ، فوجدت أن منطقة دهشور أولى المناطق بالبحث ، فتابعت الأبحاث هناك وفتحت الممر الغربى فى الهرم المنحنى ، كما عثرت على كل من المعبد الجنائزى ومبنى الوادى وغير ذلك من مبان ، ووجدت الكثير من الأحجار المنقوشة واللوحات والتمائيل ، مما أضاف الكثير الى

معلوماتنا عن معابد تلك الفترة الدقيقة في تطور العمارة المصرية والفن المصري ، وثبت بشكل قاطع أن الهرم المنحني هو الهرم الجنوبي لسنفرى الذى ذكر كثيرا في النقوش المختلفة من العصور التالية .

ثانيا - في منطقة سقارة (١٩٥١ - ١٩٥٥) :

وفي الوقت الذى كانت تجرى فيه حفائر دهشور ، كانت تجرى أيضا حفائر لمصلحة الآثار خلف الهرم المدرج في سقارة تحت اشراف الأستاذ زكريا غنيم . وقد ثبت من حفائره أنه يوجد خلف الهرم المدرج هرم مدرج آخر لم ينته العمل فيه . وقد اراد مشيدوه أن يكون صورة من هرم زوسر المدرج ، ولكن لم يكمل بناء هذا الهرم سواء في داخله أو في تشييد مصاطبه ، ورغم أنه لم يعثر على ما يقبى أن مشيده قد دفن فيه ، فقد ثبت أنه من عصر الملك « سخم - خت » ، الذى تولى الملك بعد زوسر في الأسرة الثالثة .

ولو ضربنا صفحا عما عثر عليه أثناء الحفائر ، فان الجزء الذى تم من الهرم قد أثبت بشكل واضح أنه كان هرما مدرجا ، كما عثر أيضا على الممر الصاعد الذى كان يستخدم في تشييد الأهرام ، فثبتت نهائيا صحة نظرية الاثريين منذ وقت طويل عن طريقة تشييد الأهرام ، وذلك بوجود ممر صاعد من احدى الجهات كانوا يزيدون في ارتفاعه كلما تقدم العمل ثم يزال عند الانتهاء منه .

ثالثا - في منطقة أهرام الجيزة :

وفي صيف عام ١٩٥٤ عثر أيضا في أعمال مصلحة الآثار على سفينتين جنازيتين للشمس في الجهة القبلية من الهرم الأكبر ، وقد كشف عن احدهما فقط حتى الآن . وثبت أنها من خشب الأرز وأنها وضعت في مكانها بعد وفاة خوفو ، في عهد خلفه « ددفرع » . وليست هاتان السفينتان هما أول ما نعرف عن السفن الجنازية حول المقابر ، اذ توجد الامكنة المحفورة في الصخر لسفينتين أخريين في شرق الهرم الأكبر ، كما توجد خمس سفن من هذا النوع حول الهرم الثانى ، ونعرف وجود أمثال هذه السفن منذ الأسرة الأولى ، ولكن امتاز الاكتشاف الجديد بأن سفينة خوفو اكبر حجما من أى سفينة عثر عليها ، وأخض منها جميعا ، وهى كاملة بكل أدواتها ومعداتنا . وقد أفاض المستر ادواردز في موضوع فكرة هذه السفن ، فلا داعى هنا للحديث عنها .

رابعاً - في منطقة الفيوم :

وكأنما شاء القدر أن تكون فترة هذه السنوات العشر ملأى بالاكشافات الخاصة بالأهرام ، فكان هناك كشف خامس جديد في عام ١٩٥٦ . ولم يكن هذه المرة في منطقة أهرام الدولة القديمة في سقارة ، أو في الجيزة أو في دهشور ، بل كان في منطقة أخرى هي الفيوم وعلى مقربة من هرم الملك امنمحات الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة .

أرادت مصلحة الآثار أن تستوثق مما هو تحت بعض الكتل الحجرية الكبيرة داخل سور من الطوب النى محيط بتلك الكتل ، كشفت عنه أعمال استصلاح الحقول في تلك المنطقة منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، فقررت رفع الأحجار ، وعثرت هناك على حجرة دفن لأحدى الملكات تولت الملك في آخر أيام هذه الأسرة ، وهى الملكة « نفروبتاح » .

وبالرغم من أن جثة هذه الملكة قد دفنت دون عناية ، ودون أن يكون معها شيء من الحلى التى اعتدنا العثور عليها مع ملوك وأميرات هذه الأسرة ، إلا أنه عثر على أوان فضية كبيرة الحجم خارج التابوت تعتبر من أهم ما عثر عليه في هذه الأسرة ، وبذلك يمكننا أن نضيف هذا الكشف الجديد الى جدول الأهرام في مصر ، ولو أنه لم يبق منه غير حجرة الدفن فقط ، وزال مبناه العلوى الذى كان من الطوب النى تكسوه كتل من الحجر الجيرى .

تلك هى أهم الأبحاث الأثرية الجديدة عن الأهرام ، أضفتها لى تكون في متناول يد القارئ فكرة عنها ، وذلك ليضعها في ذهنه عند قراءة هذا الكتاب . وإنى أكرر ما سبق أن قلته ، وهو أن هذه المعلومات الجديدة لم تضيع من قيمة الكتاب الأسمى أو غائتته ، والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

أحمد فخرى

أهرام مصر

تأليف

إ. إ. س. إدواردز

I. E. S. Edwards

كيف ولماذا شاد ملوك مصر أهرامهم ؟ هذان سؤالان من بين الأسئلة التي وضع هذا الكتاب للإجابة عليها ، مع تقديم إيضاحات جديدة عن أسباب بناء الهرم . وقد أمطت الحفائر التي أجريت داخل وحول الأهرام في القرن الماضي ، اللثام عن الاحتياطات العظيمة المدهشة التي لجأ إليها الملوك القدماء ليحصلوا على ما كانوا يعتقدون أنهم في حاجة إليه في الحياة الأخرى ، أو ليدرأوا بها — ولكن دون طائل — تسلل لصوص المقابر . وسنجد هنا قصة كفاحهم لتحقيق هذين الغرضين ، وذلك بادخال التعديلات والتطورات المستمرة على الأهرام .

سنقص هنا تلك القصة ، وسيساعد على توضيحها الكثير من الرسوم والصور الفوتوغرافية التي تبين التغيرات الأساسية .

تمهيد

نجد في الفصول القاربة وصفا للمعالم الأساسية لعدد من الأهرام، بنيت كلها تقريبا في فترة طولها نحو ألف عام . وقد عنيينا عناية خاصة ببحث تلك الأهرامات التي توضح لنا جيدا ما مر على هذا النوع من القبور من التطور ثم التدهور ، فكتبنا عنه بشيء من التفصيل ، ومررنا على الأهرام الباقية مرا سريعا ، وفي الفصل الأخير يرى القارئ بعض البيانات عن الطرق التي استخدمها المصريون في البناء ، والدوافع التي جعلت الملوك القدماء يفضلون الشكل الهرمي لمقابرهم .

ومع أنى زرت — سواء قبل أو أثناء الحرب العالمية الثانية — معظم الأهرام المذكورة في هذا الكتاب ، واعتمدت على المذكرات التي كتبتها أثناء الزيارات ، الا أن الضرورة قد ألزمتني بأن أنقل كثيرا من المعلومات والبيانات الأساسية عن تلك الأهرام من مؤلفات العلماء الأثريين الذين قاموا بأخذ مقاييس تلك الآثار أو قاموا بالكشف عنها في القرن الماضي . وسيرى القارئ بنفسه مبلغ ما أدین به لهؤلاء الأثريين وللناشرين الذين طبعوا مؤلفاتهم . وقد استندت في معظم التفسيرات الواردة في هذا الكتاب على ما ورد في كتب المؤلفين السابقين ، الا أنني اجتهدت في بعض الحالات في تقديم تفسيرات خاصة وصلت إليها بنفسى .

وانى أقدم شكرى للأصدقاء الذين ساعدونى بمختلف الوسائل أثناء تأليف هذا الكتاب ، وأخص بالفكر « جون كريكشانك روز » (John Cruikshank Rose) الذى قام بعمل الرسوم ، ورسومه جزء لا غنى عنه فى صلب الكتاب ، اذ أضاف مستر روز الى بعض الرسوم المنقولة من المؤلفات تفصيلات جديدة لتلائم أغراض هذا الكتاب ، او اضافات ضرورية لما ظهر من اكتشافات لاحقة . وقد أعد كشفا بأسماء مؤلفى الكتب والمقالات التى أخذت منها الرسوم

في أول هذا الكتاب ، وقد سنحت لى فرصة دراسة تلك الأبحاث حينما كنت في الشرق الأوسط ، وانى مدين لمستر « بيرنهارد جردسلف » (Bernhard Grdseloff) أمين مكتبة المعهد المصرولى الخاص بالمرحوم الدكتور لودويج بورخارد (Dr. Ludwig Borchardt) في القاهرة ، والدكتور ا. بن - دور (Dr. I. Ben-Dor) أمين مكتبة متحف فلسطين بالقدس ، والدكتور نلسى جليك (Mr. Nelson Glueck) مدير المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس ، وللمستر سيتون لويد (Mr. Seton Lloyd) المستشار الفنى لمصلحة الآثار في بغداد، وللمستر جارى برنتن (Mr. Guy Branton) من المتحف المصرى الذى مكنتى من الحصول على صور فوتوغرافية لبعض القطع الأثرية المعروضة في ذلك المتحف والمنشورة مع غيرها من الصور في هذا الكتاب . كما أشكر المستر دوس دنهام (Mr. Dows Dunham) من متحف الفنون الجميلة ببوسطن الذى ساعدنى أيضا في الحصول على صورة لمجموعة التماثيل المنشورة في اللوحة رقم ١٢ . وقد أبدت إدارة متحف المتروبوليتان كرما عظيميا بالسماح لى بوضع شكل ٢٦ قبل نشر التقرير النهائى لحفائرها . وقد سهل زيارتى الى مناطق الأهرام المختلفة اتين دريتون (Dr. Etienne Drioton) مدير عام مصلحة الآثار المصرية (سابقا) وكذا موظفو هذه المصلحة في الأقليم . وانى أقرر أيضا أننى لم اصل الى تكوين الرأى النهائى لبعض المسائل التى نوقشت في هذا الكتاب الا بعد الاستفادة القيمة من مناقشاتى مع بعض الزلاء مثل البكاشى وميرى امبيرى . (Lt. Col. W. B. Emery) الذى طعنا بذكرت حفائره في نص هذا الكتاب . ومع الاستاذى شيرنى (Professor J. Cerny) من جامعة لندن ومع المستر بيرنهارد جردسلف (Mr. Bernhard Grdseloff) ومع المستر ه. و. فيرمان (Mr. H. W. Fairman) مدير حفائر جمعية الاكتشافات المصرية في السنتين اللتين سبقتا الحرب ومع البكاشى ر. د. ه. جونز (Lieut. Colonel R.D.H. Jones) من المهندسين الملكيين وأخص بالذكر الأستاذ أ. م. بلاكمان (Professor A. M. Blackman) من جامعة ليفربول والأستاذ س. ر. ك. جلانفيل (Professor S.R.K. Glanville) من جامعة كامبردج لفضلهما بقراءة النص الكامل لهذا الكتاب قبل الطبع ، وكان لاقتراحاتهما الفضل في اذخال بعض التعديلات على هذا الكتاب . وكذلك الدكتور غسدى سميث (Dr. Sidney Smith) أمين قسم الآثار المصرية والآشورية في المتحف البريطانى الذى قرأ الفصل

الآخير وأبدى كثيرا من التعقيبات . وأخيرا أنكر ما أدين به من
الشكر الخالص لزوجتي التي لم تقم بكتابة كل الأصول على الماكينة
فحسب ، بل ساعدت أيضا في تحسين نصوص كثير من العبارات
والفقرات الواردة في نصوص الكتاب ٤

١ . ا . س . ادواردز *I. E. S. Edwards*

لندن سنة ١٩٤٦

اللوحات

لوحة

- ١ — أهرام الجيزة مصورة من الجو (باذن من وزارة الطيران)
- ٢ — الهرم المدرج بسقارة . الجانبان الجنوبي والغربي .
- ٣ ١ — نقوش بارزة على الحجر للفرعون زوسر وهو يؤدي بعض الطقوس الدينية .
- سقارة (من مؤلف س. م. فيرث ، ج. ١ ، كوبيل — « الهرم المدرج » المجلد الثاني لوحة ١٦)
(From C. M. Firth & J. E. Quibell, « The Step Pyramid »
Vol. II, Plate 16).
- ٣ ب — تمثال للفرعون زوسر من الحجر الجيري بالمتحف المصرى
- ٤ — الهرم المدرج . مدخل صالة الأعمدة بسقارة (من مؤلف ج. ب. لاوير « الهرم المدرج » الجزء الثاني لوحة ٥) .
(From J. P. Lauer, « La Pyramide à Degrés », Vol. II,
Pl. XIV).
- ٥ — التغطية بالقيشاني كما كانت في المصطبة الجنوبية بسقارة
(من مؤلف س. م. فيرث ، ج. ١ ، كوبيل — « الهرم المدرج »
لوحة الغلاف) .
(From C. M. Firth & J. E. Quibell Op. Cit., Vol. I,
Frontispiece)
- ٦ ١ — هرم ميدوم
- ٦ ب — أبو الهول بالجيزة .
- ٧ — تمثال للفرعون خوفو من العاج بالمتحف المصرى

ملحوظة

- ٨ — تمثال خفرع من حجر الديوريت بالمتحف المصرى
٩ — لوحة تمثال ثالوثا لأحد اقاليم مصر نرى فيها منكأورع :
وحاتحور والهة اقليم ابن آوى بالمتحف المصرى .
١٠ — مجموعة تماثيل منكأورع وحاتحور والملكة خع — مررنبتى فى
متحف الفنون الجميلة ببوسطن .

١١ — الطريق الجنازى لهرم أوناس بسقارة (من مقال الأستاذ
سليم حسن « حفائر سقارة ٣٧ — ١٩٢٨ » فى مجلة أخبار
مصلحة الآثار مجلد ٣٨ لوحة ٥٤) .

(From Selim Bey Hassan, « Excavations in Sakkarā,
1937-1938 », in « Annales du Service des Antiquités »
Vol. XXXVIII, Plate XCIV).

- ١١ب — منظر مجاعة من رسوم طريق هرم أوناس الجنازى بسقارة
(من مقال الدكتور اتيين دريتون « رسم المجاعة على نقوش
مصرية فى الأسرة الخامسة » شكل ٣ ص ١١٥ من مجلة المعهد
المصرى مجلد ٢٥ (٤٢ — ١٩٤٣)

(From E. Drioton, « Une Representation de la Famine
sur un Bas-relief Egyptian de la Ve Dynastie » fig
3, p. 115. of « Le Bulletin de l'Institut d'Egypte ».
Vol. XXV (1942-1943).

- ١٢ — المعبد الجنازى المهتم من عهد نب حبت رع « متوحتب
بالدير « البحرى (تصوير ا. ج. آركل)

(Photograph by A. J. Arkell, Esq, B. B. E., M.C., E.S.A.)

- ١٣ — تمثال صغير من المرمر للفرعون بيبى الثانى وهو طفل .
بالمتحف المصرى .

- ١٣ب — امنهحات الثالث فى شبابه . بالمتحف المصرى

- ١٤ — أهرام مريوى (تصوير ف. أديسن)

(Photograph by F. Addison, Esq.)

لوحة

١٤ ب — أدوات نحاسية من الأسرة الأولى . بالمتحف المصرى (من
مقال و. ب. امري فى مجلة أخبار مصلحة الآثار المجلد ٣٩
(١٩٣٩) لوحة ١٤٥)

(From W. B. Emery, « A Preliminary Report of the
First Dynasty Copper Treasure from North Sakkara »
in « Annales du Service des Antiquités » Vol. XXXIX
1939, Plate LXV, A.)

١٤ ج — ثقوب فى الجرانيت من أعمال عمال المهاجر القدماء فى أسوان
١٥ — تمثال سنوسرت الأول من الحجر الجيرى . بالمتحف المصرى

رسومات الكتاب

شكل

- ١ — خريطة تقريبية لمصر
- ٢ — مصطبة الملك « عحا » بستارة (من مؤلف و. ب. امري.
« مقبرة حور — عحا » لوحة ١)
(After W. B. Emery, « The Tomb of Hor-Aha », Plate I).
- ٣ — السور الخارجى حول الهرم المدرج (من مؤلف ج. ب. لاوير
« الهرم المدرج » ، الجزء الثانى لوحة ٤)
(After J. P. Lauer, « La Pyramide à Degrés » Vol. II.
Plate IV).
- ٤ — الهرم المدرج ، قطاع فى اتجاه الناحية الجنوبية (مقتبس من
مؤلف ج. ب. لاوير « الهرم المدرج » الجزء الثالث لوحة ٢)
(Adapted from J. P. Lauer, Op. Cit., Vol. III. Plate II)
- ٥ — الهرم المدرج ، الأبنية الواقعة تحت سطح الأرض مع قطاع
أفقى (من مؤلف ج. ب. لاوير « الهرم المدرج » الجزء الثالث
لوحة ١)
(Adapted from J. P. Lauer, Op. cit., Vol. III. Plate I)
- ٦ — عمود بردى متصل ، مقتبس من (ج. ب. لاوير « الهرم
المدرج » الجزء الثانى لوحة ٨٣)
(Adapted from J. P. Lauer Op. cit., Vol. II, Plate LXXXIII)
- ٧ — تاج عمود مركب من أوراق شجر متدلّية (من مؤلف ج. ب.
لاوير « الهرم المدرج » الجزء الثانى لوحة ٦٠ الشكل ٤)
(After J.P. Lauer, Op. cit., Vol. II, Plate LX, 4)
- ٨ — عمود متصل ذو قنوات (من مؤلف ج. ب. لاوير « الهرم
المدرج » الجزء الثانى لوحة ٧٠)
(Adapted from J. P. Lauer, Op. cit., Vol. II, Plate LXX).

شكل

٦ — عامود متصل مضلع (من مؤلف ج. ب. لاوبرا « الهرم المدرج »
الجزء الثاني لوحة ٦٥)
(Adapted from J. P. Lauer, Op. cit., Vol. II, Plate XLV).

١٠ — الهرم المنحنى ، قطاع في اتجاه الناحية الشمالية (من مؤلف
الكولونيل ه. فيس « أبحاث على أهرام الجيزة » الجزء
الثالث . الرسم المواجه لصفحة ٦٦ .
(From Col H. Vyse, « Operations carried on at the Pyra-
mids of Gizeh », Vol. III, Plen facing Page 66).

١١ — الهرم المنحنى قطاع في اتجاه الناحية الشمالية (من مؤلف
الكولونيل ه. فيس « أبحاث على أهرام الجيزة » الجزء الثالث .
الرسم المواجه لصفحة ٦٦)
(From Col H. Vyse loc. cit.).

١٢ — هرم ميدوم ، قطاع في اتجاه الناحية الغربية (من مؤلف
ل. بورخارت « تشييد الأهرام » اللوحتان ٣ و ٤)
(Adapted from L. Borchardt, « Die Entstehung der Pyra-
mide » Plates 3 & 4).

١٣ — المعبد الجنائزى لهرم ميدوم (من مؤلف و. م. فلندرز بترى
« ميدوم » لوحة ٤)
(From W. M. Flinders Petrie, « Medum » Plate IV).

١٤ — الهرم الأكبر ، قطاع في اتجاه الناحية الغربية (من مؤلف
الكولونيل ه. فيس « أبحاث على أهرام الجيزة » الجزء الأول .
الرسم المواجه لصفحة ٣)
(Adapted from Col. H. Vyse, Op. cit., Vol. I, Plan facing
Page 3).

١٥ — مقعد الوادى والمعبد الجنائزى لهرم خفرع (عن مؤلف ي .
هولشر « مدفن الملك خفرع » لوحة ٣)
(After U. Hoischer, « Das Grabdenkmal des Königs
Chephren », Plate III).

شكل

١٦ — هرم خفرع ، قطاع في اتجاه الناحية الغربية مع رسم قطاع أفقى (من مؤلف ي. هولشر « مدفن الملك خفرع » لوحات (٧ ، ٢

(From U. Holscher, Op. cit., Plates II & VII).

١٧ — هرم منكورع ، قطاع في اتجاه الناحية الغربية مع رسم قطاع أفقى (مقتبس من مؤلف الكولونيل ه. فيس « أبحاث على اهرام الجيزة » الجزء الثانى . الرسمان المواجهان لمفتحى (٨٠ ، ٧٢

(Adapted from Col. H. Vyse, Op. cit., Vol II, plans facing p. 72 & 80).

١٨ — اهرام أبو صير ، رسم تصويرى لما كانت عليه عند تشييدها (مقتبس من مؤلف ب. بورخارت « مدفن الملك نى. أوسر . رع » لوحة ١)

(Adapted from L. Borchardt, « Das Grabdenkmal des Königs Ne-User-Re », Plate I).

١٩ — معبد الشمس للملك نى. وسر . رع (من مؤلف ب. بورخارت « معبد رع للملك نى. أوسر . رع » الجزء الأول اللوحة ١) (From L. Borchardt, « Das Re-Heiligtum des Königs Ne-Woser-Re », Vol. I, Plate 1).

٢٠ — عامود من الطراز النخلى (من مؤلف ب. بورخارت « مدفن الملك ساحورع » الجزء الأول لوحة ٩)

(From L. Borchardt, « Das Grabdenkmal des Königs Sahue-Re », Vol. I, Plate 9).

٢١ — المجموعة الهرمية لساحورع (مقتبس من مؤلف ب. بورخارت ، الجزء الأول لوحة ١٦)

(Adapted from L. Borchardt, Op. cit., Plate 16).

٢٢ — عامود من طراز حزمة البردى (من مؤلف ل. بورخارت « مدفن الملك ساحورع » الجزء الأول لوحة ١١)

(From L. Borchardt, Op. cit., Plate II)

شكل

٢٣ - الحجرات والممرات في هرم أوناس (من مؤلف ك. زينه
« نصوص الاهرام » الجزء الثالث ص ١١٦)
(From K. Sethe, « Pyramiden-texte », Vol. III, p. 116).

٢٤ - المجموعة الهرمية لبيبي الثانى (من مؤلف ج. جكييه « الآثار
الجنائزية لبيبي الثانى » الجزء الثالث لوحة ١)
(From G. Jequier, « Le Monument Funeraire de Pepi II »,
Vol. III, Plote 1).

٢٥ - المعبد الجنائزى لـ « نب. حيت. رع منتوحتب » كما كان عند
تشبيده (من مؤلف ا. نافيل « معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير
البحرى » الجزء الثانى لوحة ٢٣)
(After E. Naville, « The XIth Dynasty Temple of Deir
El-Bahri », Vol. II, Plate XXIII).

٢٦ - المجموعة الهرمية لسنوسرت الاول (جمعت باذن خاص من
متحف المتروبوليتان للفنون من التقارير التمهيدية لحفائر اللثت
المنشورة فى نشرة متحف المتروبوليتان للفنون الجزء الثانى يوليه
١٩٢٠ صفحة ٤ والجزء الثانى مارس ١٩٢٦ صفحة ٣٧ ،
الجزء الثانى نوفمبر ١٩٣٤ صفحة ٢٣ ومن معلومات خاصة من
لندسلى ف. هول من متحف المتروبوليتان للفنون)

(Assembled by permission of the Metropolitan Museum
of Art from « Preliminary Reports of the Ex-
cavations at Lisht » published in the « Bulletin of
the Metropolitan Museum of Art » Part II, July 1920,
p. 4, Part. II, March 1926 p. 37, Part II, November
1934, p. 23, and from a private communication from
Lindsley F. Hall of the Metropolitan Museum of
Art.)

٢٧ - هرم امنحات الثالث بهواره (من مؤلف و. م. فلندرز بترى
« كاهون وغراب وهواره » لوحة ٢)

(From W. M. Flinders Petrie « Kahun, Gurab and
Hawara » Plate II).

٢٨ — حجرة الدفن لأممحات الثالث بهوارة (من مؤلف و. م. فلندرزيتري «كاهون ، غراب وهوارة » لوحة ٤)
(From W. M. Flinders Petrie, Op. cit., Plate IV).

٢٩ — مقابر الأشخاص بدير المدينة (من مؤلف ب. برويير « تقرير عن حفائر دير المدينة » ١٩٣٠ لوحة ٣٢)
(After B. Bruyere, « Rapport sur les Fouilles de Deir-El-Medineh » 1930, Plate XXXII).

٣٠ — النيل من اسوان الى الخرطوم

٣١ — هرم طهرقا (من مؤلف ج. ا. ريزنر « (لوك اثيوبيا — المعروفون منهم والجهولون » في نشرة متحف بوسطن للفنون الجميلة مجلد ١٦ ص ٧٠)
(After G. A. Reisner, « Known and Unknown Kings of Ethiopia » in Bulletin of Boston Museum of Fine Arts Vol. XVI, p. 70).

٣٢ — طريقة لمعرفة الشمال الحقيقي

٣٣ — نقل تمثال كبير (عن ب. ا. نيويرى « البرشا » الجزء الأول لوحة ١٥)
(After P. E. Newberry « El-Bersheh », Part I. Plate XV)

٣٤ — هرم ساحورع ، قطاع في اتجاه الناحية الشرقية (عن ب. يورخارت « مدفن الملك ساحورع » المجلد الاول لوحة ٧)
(After L. Borhardt, Op. cit. Vol. I, Plate 7).

مقدمة

ان السؤال الأول الذى يخطر على ذهن كل من يتطلع الى اثر قديم هو التساؤل عن تاريخه ، وغالبا ما تكون الاجابة على هذا التساؤل صعبة ، بل وفي بعض الأحيان مستحيلة بالنسبة للأثار المصرية ، اذا أردنا تحديد التاريخ بالسنين قبل بدء العصر المسيحى ، لأن معلوماتنا عن التقويم المصرى — وبالأخص فى العصور المبكرة — لم تكتمل بعد . فنحن نعرف تماما تتابع الحوادث وغالبا ما نعرف أيضا ارتباطها ببعضها ، ولكن — خلا حالات نادرة — قد لا يكون التاريخ المضبوط ممكنا ، اللهم الا اذا عثر الباحثون على أشياء أخرى محددة التاريخ أكثر مما عثرنا عليه حتى الآن ، للتسهيل من ناحية ولأن قرنا من الزمان قد مضى فى دراسة الآثار وأثبت صحة طريقة ترتيب ملوك مصر فى واحدة وثلاثين أسرة وهو ما عرفناه من مؤلف مانيتون « تاريخ مصر » (Manetho's « History of Egypt ») والذى أجمع المؤرخون المحدثون على الاعتماد عليه فى تحديد التاريخ . ولما كانت نهاية كل أسرة لم تستلزم حدوث تغييرات سياسية أو فنية هامة ، فقد وجد المؤرخون أنه من الأوفق أن تجمع الأسرات فى عصور تتناسب مع أهم ما طرأ من تغييرات . وهناك تسعة عصور أساسية هذه هى أسماؤها وتواريخها على وجه التقريب :

الأسرتان الأولى والثانية

العصر العتيق ٣١٨٨ — ٢٨١٥ ق.م

من الأسرة الثالثة الى الأسرة السادسة :

الدولة القديمة ٢٨١٥ — ٢٢٩٤ ق.م

من الأسرة السابعة الى الأسرة العاشرة :

عصر الفترة الأولى ٢٢٩٤ — ٢١٣٢ ق.م

من الأسرة الحادية عشرة الى الأسرة الثانية عشرة :

الدولة الوسطى ٢١٣٢ - ١٧٧٧ ق.م
من الأسرة الثالثة عشرة الى الأسرة السابعة عشرة :
عصر الفترة الثانية ١٧٧٧ - ١٥٧٣ ق.م
من الأسرة الثامنة عشرة الى الأسرة العشرين :
الدولة الحديثة ١٥٧٣ - ١٠٩٠ ق.م
من الأسرة الواحدة والعشرين الى الأسرة الخامسة والعشرين :
الدولة الحديثة المتأخرة ١٠٩٠ - ٦٦٣ ق.م
الأسرة السادسة والعشرون :
العصر الصلوى ٦٦٣ - ٥٢٥ ق.م

من الأسرة السابعة والعشرين الى الأسرة الواحدة والثلاثين :
العصر المتأخر ٥٢٥ - ٣٣٢ ق.م

ويستغرق عصر بناء الأهرام المدة الثانية من هذه المجموعة والمدة التي تبدأ بالأسرة الثالثة وتنتهي بالأسرة السادسة . وكان الملوك وبعض الملكات خلال هذه الفترة - ما عدا بعض حالات قليلة - يدفنون في مقابر يعولها بناء هرمى الشكل . وقد شيدت الأهرام أيضا لبعض الملوك والملكات في أسر تالية ، ولكنها كانت تحاول تقليد القديسين ولا يعوزها الكثير من الفخامة المعمارية التي كانت للأهرام السابقة . فحسب ، بل يعوزها أيضا بعض المعانى الدينية . ومجموع عدد الأهرام المعروفة لنا في مصر ثمانون هرما تقريبا ، ولو أن معظمها في الحقيقة قد تحول الى أكوام من الرمال والرديم إلا أنها مع ذلك ما زال من الممكن لعلماء الآثار أن يعرفوا أمكنتها وهم متأكدون أنها كانت يوما من الأيام أهراما قائمة .

والأهرام التي تنتمى الى عصر بناء الأهرام مشيدة على الضفة الغربية للنيل على مقربة من مدينة منف القديمة (Memphis) بين ميدوم جنوبا وأبو رواش شمالا . وإذا أخذنا بما جاء في الأحياء المتواترة فإن منف بنيت على أرض استصلحها الفرعون مينا (Menès) أول حاكم في الأسرة الأولى ، بعد عمل جسر للنيل فجعله يشق طريقه الى الشرق من مجراه الأصلي . ومهما يكن مبلغ هذه الأخبار المتواترة من الصحة في تفاصيلها فلا ريب في أن مينا هو على الأرجح مؤسس:

مدينة منف ، لأن كثيرا من البقايا الأثرية الموجودة حولها مباشرة يرجع تاريخه الى ايام الاسرة الاولى ، ولم يعثر على شئ يمكن ان ينسب الى عصر سابق عليها ، وان اكتشاف عدد كبير من المحلات الأثرية من عصر ما قبل الأسرات بالقرب من تلال المقطم على الضفة المقابلة من النهر يؤكد الحقيقة الأولى وهي عدم وجود أمثال هذه المحلات في مدينة منف نفسها .

وحتى الآن لا يمكننا الجزم بما اذا كان مينا قد انشأ منف لتكون عاصمة مصر او أنها بنيت في الأصل لتكون مجرد مدينة محصنة ثم أصبحت مقر الحكومة في عصر لاحق، ربما كان في بدء الأسرة الثالثة . ان الظروف التي أحاطت بتولى « مينا » عرش البلاد ترجح بدون شك اختياره هذا المكان ليكون عاصمة ملكه ، فقبل أيامه كانت مصر مكونة من مملكتين منفصلتين ، الأولى تمتد من أسوان في الجنوب الى منطقة منف ، والأخرى تشمل باقى القطر من جهة الشمال ، أى تشمل الدلتا بأكملها . وكانت عاصمة المملكة الجنوبية (مصر العليا) تقع عند مدينة نخن (Nekhen) (هيراكونبوليس Hierakonpolis) أما عاصمة المملكة الشمالية (مصر السفلى) فكانت عند مدينة بى (BA) (بوتو Buto) . وتغلب مينا — الذى كان ملكا للمملكة الجنوبية فقط — على المملكة الشمالية ، وأدمج المملكتين فى مملكة واحدة ، وشبت ملكه على البلاد كلها . ولهذا كانت منف هى أنسب مكان ليشيد فيه مدينة محصنة ، لأنها تقع تقريبا على الحد الفاصل بين المملكتين السابقتين، وتصلح لصد أية محاولة يقوم بها أهل الشمال المغلوبون على أمرهم اذا ما أحسوا يوما من الأيام بتسرب الضعف الى الجنوب ، كما كانت فى الوقت ذاته أنسب الأمكنة لإدارة شئون المملكة الجديدة المتحدة .

وباتحاد المملكتين أمكن لمينا أن يقوم بعمل حبرى ربما حاوله غيره من قبل فلم يكتب له الا نجاح مؤقت ، وعلى كل حال تمكن مينا من القيام بالعمل الحبرى اللازم لاتحاد المملكتين ، وإمكنه أيضا ان يتثبت من استمرار ما وصل اليه من نتيجة ذلك باتباعه سياسة رشيدة ، قامت عليها عظمة مصر فى الأسر التالية . ومع ذلك لم ينس أهل مصر الحقيقة التاريخية بأن بلدهم كانت تتكون يوما من مملكتين منفصلتين ، لأن الفراعنة — الى آخر أيامهم — ظلوا يستخدمون بين بقائهم لقب « ملك الوجهين القبلى والبحرى » .

ولا يكاد يوجد لدينا معلومات مفصلة عن طريق الادارة السياسية
التي سار عليها مينا وخلفاؤه الاولون ، ولكنه يلوح انهم اتبعوا
نظام تركيز السلطة الى حد كبير .

لقد كشفت الحفائر الحديثة التي قام بها و. ب. امري
(W. B. Emery) بسقارة في جبانة منف (Memphis) عن عدد
كبير من مقابر رجال البلاط والموظفين في الأسرتين الاولى والثانية ،
وما زال كثير منها تحت الرمال ينتظر الكشف عنه . ويتضح من
عدد هذه المقابر ومن القاب اصحابها ، ان الملك كان محاطا بعدد كبير
من المستشارين والموظفين الذين يقومون بالتنفيذ ، ولكن عدم معرفتنا
لاى شيء عن تفاصيل حياتهم يجعل محاولتنا لفهم تاريخهم الشخصي
أمرا متعذرا .

وقبل حكم مينا كانت مصر مقسمة الى مناطق نسميها عادة أقاليم
(Nomes) — وهى كلمة مشتقة من أصل يونانى — وعددها يختلف
من وقت الى آخر نظرا لآغارة القوى منها على الضعيف وضمه اليه ،
أو لأنه كثيراً ما يحدث أن يصيب الوهن والانحلال بعض الأقاليم الكبيرة
فتتفكك . وحينما تم النصر لمينا كان عددها على ما يظهر اثنين وأربعين
أقليما : اثنان وعشرون منها في مصر العليا ، وعشرون في مصر السفلى .
وسمح مينا أن تظل هذه الأقاليم كما كانت وحدات منفصلة ولكنه عين
لكل واحد منها حاكما مسئولا عن الاشراف على أموره الاجتماعية
والدينية . وفي البداية كان هؤلاء الحكام — أو رؤساء الأقاليم كما كانوا
يسمون عادة — يباشرون أعمالهم لمدة مغبنة فقط ، ثم تدرجت هذه
المناصب فأصبحت حقا وراثيا لبعض العائلات ، وهكذا أخذت تتكون
طبقة حكام الأقاليم التي أخذت تهدد سلطة الملك حتى وصل بها الامر في
نهاية الأسرة السادسة فقامت بدور هام في تقويض اركان الملكية
نفسها . ولستنا نعرف عن النظم السياسية لتلك الأقاليم أو عن الصلات
التي كانت تربطها بالعاصمة الا القليل .

وما من شك في أن كل اقليم كان مكلفا بتوفير الدخل للخزينة
الملكية، ولكن — على ما يظهر — كانت الأقاليم متمتعة بالكثير من استقلالها
الدينى ، وكان لكل اقليم الهه أو آلهته المحلية الخاصة ترسم عادة في
صورة حيوان أو انسان له رأس حيوان ، مثل وبواوت (Wepwawet)
الاله الذئب الذى كان يعبد في إقليم أسيوط ، وباستت (Bastet)
الالهة القطه معبودة بوباستت (Bubastis) وحرسافس (Hersaphes)

الاله ذو رأس الكبش الذي كان يعبد في اهناسية (Herakleopolis) وكان بعض الآلهة المحلية تمثل على صورة الانسان . مثل بتاح (Ptah) فى منف (Memphis) والاله مين (Min) فى قفت (Coptos) وأوزيريس (Osiris) وهم ثلاثة من أهم الآلهة المعروفين .

وربما عبد فى اقليم واحد آلهة كثيرة مختلفة تتباين أهميتها النسبية تبعاً لعدد المؤمنين بها أو تبعاً لثروة معابدها . ففى اقليم منف مثلاً نجد الى جوار الهه الرئيسى بتاح الآلهة سخمت (Sekhmet) ذات رأس اللبؤة ، والاله نفرتوم (Nefertum) ويرسم على صورة انسان وفوق رأسه زهرة اللوتس ، وسكر (Sokar) وهو اله ذو رأس على هيئة رأس الصقر وكان يسكن الصحراء غرب منف . وكان لكل من هذه الآلهة هيكله الخاص ، ولكن على مرور الزمن اعتبروا الآلهة بتاح وسخمت ونفرتوم عائلة واحدة وعبدت فى معبد واحد . ونجد أمثال هذا الثلاث فى بلاد أخرى ، مثل ثلاث أوزيريس وإيزيس وحورس وهم الذين يكونون أشهر ثلاث فى الديانة المصرية .

ونحن لا نستطيع أن نقول ان الملوك الأوائل عندما سمحوا للأقاليم بأن تتمتع باستقلالها الدينى كانوا يحاولون تصريف الأمور وفقاً لما تمليه عليهم الضرورة السياسية ، ففى عهد سادت فيه فلسفة تعدد الآلهة لم تكن هناك ضرورة أو رغبة لتغيير النظام الدينى السائد اذ ذاك . ولو استثنينا بعض الآلهة القليلة العدد المتصلة بعناصر الكون ، والتي يبدو أنه كان معترفاً بها الى حد كبير منذ عهد بعيد ، فإن العدد الأكبر من الآلهة كان ينحصر نفوذه فى حدود جغرافية معينة . ولا جدوى من التكهن بالاثـر الذى كان يحدث على تطور الديانة المصرية لو لم يتبع الملوك سياسة التسامح ، إلا أنه من الأهمية بمكان أن نضع فى أذهاننا أن العناصر المختلفة التى حددت طبيعة هذا الدين — كما هو معروف لنا — كانت محلية فى أساسها ، وهذا هو سبب ذلك التشعب، بل والتناقض ، فى بعض العقائد التى كان يعتقدونها المصريون فى أيام الأسرات .

وبدا نضج وإكتمال دين رسمى لمصر فى عصر بناء الأهرام ، فقد استمدوا ذلك من طقوس معبد له كهنوت قوى ، يقع بالقرب من شهبال منف عند المدينة التى أطلق عليها اليونانيون فيما بعد اسم

هليوبوليس (Heliopolis) التى كان يسميها قدماء المصريين أون (On) وذكرت بهذا الاسم فى كتاب سفر التكوين حيث وصف بوتيفار بأنه كاهن من كهنة أون .

وفى العصور الموعلة فى القدم كان يرمز للمعبود الذى فيه برمز على هيئة عمود ، ولكن ابتداء من عصر الأسرات أصبح ذلك المعبد مركزا لديانة الشمس ، وكان أعظم الأشياء تقديسا فى هذا المعبد هو الـ « بنبن » (Benben) وهو حجر هرمى الشكل كانوا يعتقدون أن اله الشمس أظهر نفسه وهو واقف عليه على هيئة طير العنقاء (Phoenix) طائر الخلود .

وما ان جاءت العصور التاريخية حتى كان كهنة هليوبوليس قد وضعوا قصة خلق الكون وقالوا فيها أن رع - أتوم (Ra-Atum) اله الشمس قد خلق نفسه من نون Nun المحيط الأزلئ . وجاء من نسل رع - أتوم الإله شو Shu ، وهو اله الهواء ، والإلهة تفنوت (Tefnut) ، وهى الهه الرطوبة ، اللذان أنجبا بدورها جب (Geb) اله الأرض ونوت (Nut) الهه السماء . ومن جب ونوت أتى الى الوجود أوزيريس وإيزيس وست ونفتيس .

وأطلقوا على هذه الآلهة التسعة « تاسوع هليوبوليس العظيم » . وكان هناك أيضا تاسوع صغير يتكون من مجموعة من الآلهة الذين يقلون أهمية عن السابقين ، وكان يتزعمهم الإله حورس . ومع ذلك فلم يكن رع - أتوم هو الصورة الوحيدة التى عبد فيها اله الشمس فى هليوبوليس ، فهناك أشكال أخرى مثل حوراختى (Horakhti) - وترجمتها حورس الذى فى الأفق - وخبرى (Khepri) على هيئة جعل ، وكانا يعبدان هناك . وقد جاول كهنة هليوبوليس أن يفرقوا بين هذه الأشكال ، فقالوا بأن خبرى هو الشمس المشرقة فى الصباح ، ورع - أتوم الشمس الغاربة فى المساء ، ولكن المصريين القدماء لم يراعوا بدقة هذه التفرقة . ولم يجد المصريون فى عهد إنشاء الأهرام صعوبة فى اعتبار اله الشمس كائنا مركبا أى أنه لم يكن كائنا واحدا لا يتجزأ بل كان الها مكونا من أكثر من عنصر واحد مستبد كل منها من أحد آلهة الشمس المحلية التى كانت فى الأصل منفصلة عن بعضها ثم اتحدت فيما بعد دون أن تتساوى فى المرتبة مع رع اله هليوبوليس . ولم يكن عجيبا إذن أن تحوى عبادة الشمس متناقضات عدة كما نرى

ذلك فى أقدم مجموعة للنصوص الدينية التى وصلت إلينا ، وهى النصوص المحفورة على جدران حجرات وممرات الأهرام فى الأسرتين الخامسة والسادسة .

ولكى نوضح العقائد المختلفة التى ربما وجدت فى وقت واحد ، يكفى أن نذكر التفسيرات المختلفة التى فسروا بها تحرك الشمس اليومى عبر الأرض . فأكثر النظريات قبولا ، هى النظرية القائلة بأن رع كان يعبر السماء كل يوم مصحوبا بأتباعه راكبا أحد القوارب .

واعتقدوا أيضا أن القمر والكواكب تعبّر السماء أيضا فى قوارب ، وذلك لأنه لم تكن هناك طريقة للمواصلات أنسب عند المصرى القديم من القارب ، لأنه هو وأجداده قد ركبوا متن النيل ليسافروا عليه من مكان إلى آخر ، ولهذا فإن سفر الكائنات المقدسة فى رحلتها السماوية بنفس الطريقة ، كان أمرا منطقيا .

وهناك مدرسة فكرية أخرى كانت تقول بأن الشمس كانت تحمل فى الجو على أجنحة مثل الطائر ، وكان هذا الاعتقاد متصلا بصفة خاصة باله الشمس فى صورة حورا ختى الذى كانوا يعتبرونه منذ أقدم العصور أنه كان على صورة الصقر .

ونظرا لأنه لا يمكن لأى كائن منظور أن يحمل نفسه فى الفضاء مدة طويلة الا اذا كانت له أجنحة ، فلماذا كان معقولا أن تخضع الشمس لنفس القوانين الأساسية كالأشياء الأخرى ، ووقع اختيارهم على الصقر لأنه يفوق كل الطيور الأخرى المعروفة للمصريين فى قدرته على التحليق فى الجو على ارتفاع عال جدا .

وربما كان أطرف الآراء المختلفة التى وضعت لتفسير سير الشمس عبر السماء ، ذلك الذى قال بأن إله الشمس كان على شكل الجمل ، وكان هذا التصور يتجاوب على الأخص معه فى اسمه خبرى . كان المصرى القديم يعرف جيدا منظر الجمل ، وكثيرا ما كان يلاحظه وهو يدفع أمامه على الأرض كرة صغيرة من الروث حتى يعثر على شق مناسب يضعها فيه . واعتقد المصرى أن صفار الجمل تخلق نفسها بنفسها ، ثم تخرج من تلك الكرة . وتخيل المصرى أنه يوجد شبه بين الشمس منبع الحياة كلها وتلك الكرة من الروث التى اعتقد أن صفار الجمل تخرج منها . فليس من المستغرب إذن أن تكون القوة التى تدفع بالشمس عبر السماء ، وهى إله الشمس ، شبيهة بجمل هائل الحجم

يدفع الشمس أمامه كما يدفع جبل الأرض كرة البروث ، فريسموه على هذه الصورة . وبهذه المناسبة يجب أن نذكر أنه ليس بالأمر ذى البال أو الأهمية إذا كان علماء الحشرات يقررون أن كرة البروث التى يدحرجها الجبل أمامه انها تحوى ما يختزنه من طعام ، بينما الكرة التى تحوى بيض الجبل ليست مستثيرة بل كثرية الشكل وتحفظها انثى الحشرة فى ثقب حتى يحين وقت نفسها .

وكان سير الشمس أثناء الليل سبباً فى ظهور نظريات مختلفة . فهناك التفسير الطبيعى أنها تضى ساعات الظلام سائرة فى مركب خلال العالم السفلى المسمى دات (Dut) قيل أن تظهر مرة ثانية فوق الأرض فى كل يوم عند الشروق ، ويفرض تفسير آخر فيه الكثير من الخيال أن البقاء ليست إلا جسيم الإلهة نوت التى تظلل الأرض على هيئة قنطرة هائلة رأسها فى مستوى الأفق الغربى وعجزها فى مستوى الأفق الشرقى ويمتد ذراعها ورجلاها تحت الأفق ، وتغيب الشمس فى هذه الإلهة كل مساء عند الغروب ، وتمر فى جسدها أثناء الليل لى تولد ثانية عند الشروق . ولم يقل قبول المصريين لهذا التفسير فى أى وقت من الأوقات ، بل استمر حتى آخر العصور جنباً الى جنب مع نظرية رحلة الشمس أثناء الليل خلال الـ « دات » (*) .

واضطرت ديانة الشمس فى هليوبوليس — فى الوقت الذى كانت تتمتع فيه بأعظم نفوذ فى عصر بناء الأهرام — الى قبول ، ثم الى ادماج ، ديانة أخرى لم يكن لها صلة بعبادة الشمس ، ألا وهى ديانة الآلهة أوزيريس . وهذه الديانة — بالشكل الذى نعرفه — حوت كثيراً من المتناقضات ، مثل عبادة الشمس ، كما اضطرت أيضاً الى ادماج معتقدات كانت فى أصلها متصلة بالآلهة محلية أخرى لم تكن فى الأصل ذات صلة بالآلهة الرئيسى الذى اندمجت فيه .

وفى الأزمنة الفارقة — قبل اتحاد مصر العليا بمصر السفلى تحت حكم مينا — ربما كان الآلهة أوزيريس فى الأصل ملكاً ، ثم أصبح الآلهة المحلى للاقليم التاسع من أقاليم مصر السفلى وعاصمته أبو صير وانتشر نفوذه فيما بعد حتى أصبح الآلهة الرئيسى المجموعة من الأقاليم فى شرق الدلتا . وعبد فى وقت ما أثناء هذا التقدم مع الآلهة محلى يسمى عنجتى (Anjiti) وكان الرمز الخاص به هو عصا الراعى والسوط . وكان حورس ، الذى اعتبر فيما بعد ابناً

(*) عالم الموتى

لأوزيريس ، في ذلك الوقت الها مستقلا تماما له نفوذه وسلطته على مجموعة من الأقاليم في غرب الدلتا . أما ايزيس — التي اعتبرت في عصر بناء الأهرام زوجة لأوزيريس — فيلوح أنها كانت هي الأخرى الهة في الدلتا ، ولكننا لا نعرف على وجه التحقيق شيئا عن أصلها .

وبعد أن ارتبطت عبادة أوزيريس بعبادة حورس الإله المجاور له ، اعتبر هذان الآلهان كوالد وولد ، وبدأ نفوذهما ينتشر جنوبا حتى أصبح أوزيريس في عصر بناء الأهرام يعبد مع سكر الهه جبانة منف ، ومع وبواوت الإله الذئب في أسيوط ، ومع خنتي — أمنتيو Khentimentiu الإله الذى كان على صورة ابن آوى وكان يعبد في أبيدوس ، وربما مع آلهة آخرين أيضا ، ولكن أهم هذه الصلات هي بلا شك تلك التى كانت مع خنتي — أمنتيو ، لأنه بمرور الزمن أصبح أوزيريس ذا صلة رئيسية بأبيدوس بينما فقدت أبو صير — مقره الأصلي — أهميتها تدريجا .

واحتوت نصوص الديانة المصرية على اشارات لا حصر لها الى القصة التى كانت أساسا لديانة أوزيريس ، ولكن لا توجد قصة متصلة كاملة منها . وليس من الصعب علينا أن نتكهن بالسبب في هذا ، من المتبعة لبد أنها كانت معروفة تماما منذ زمان بعيد لدرجة أنهم لم يجدوا ضرورة لاثبات نصها .

وأول نسخة كاملة معروفة في الوقت الحاضر هي ما كتبه بلوتارخ (Plutarch) في مؤلفه «أيزيس وأوزيريس» (De Iside et Osiride) وهى وان اختلفت في بعض التفاصيل الا أنها تتفق في كل المواقف المهمة مع الاشارات الواردة في النصوص المصرية . ولهذا يمكننا اعتبارها ممثلة بوجه عام للقصة الأصلية في جميع الأزمان .

وفيما يلى النقاط الأساسية لهذه القصة كما جاءت في مؤلف بلوتارخ والنصوص المصرية :

كان أوزيريس — الابن الأكبر لاله الأرض جب والهه السماء نوت — ملكا عادلا محبا للخير يحكم الأرض كلها ، وعلم الناس مختلف الفنون والصناعات وحولهم من حالة الهمجية الى الحضارة . وفي يوم من الأيام قتله أخوه ست مدفوعا بعوامل الحسد . ويقرر بلوتارخ أن الجريمة قد ارتكبت بحيلة دبرت بدهاء . فقد أقام ست وليمة مدعيا

أنها لتكريم أخيه بمناسبة عودته الى مصر من بلد أجنبي ، ودعا إليها اثنين وسبعين من أصدقائه ، وفي أثناء الوليمة جيء الى الحجرة بصندوق دقيق الصنع ، وأعلن ست أنه يقدمه هدية الى أى شخص ينام فيه فيناسبه تماماً . وتنفيذاً للخطة التى اتفقوا عليها حاول عدد من الضيوف أن يناموا فى الصندوق ، ولكن حجمهم لم يوافق حجم الصندوق تماماً . وقام أوزيريس بعد ذلك ونام داخل الصندوق فكان مناسباً له كل المناسبة نظراً لحجم جسمه غير العادى ، وأسرع بعض المتأمرين فأغلقوا الصندوق بينما كان أوزيريس فى داخله ، ثم حملوه الى النيل . وبعد أن حملوه فى الماء حتى مدخل فرع النيل عند تانيس ، دفعوه ليعوم فى البحر حتى قذفت به الأمواج على الشاطئ عند مدينة جبيل (Byblos) .

وعندما علمت ايزيس بأن أوزيريس قد اغتيل ، بدأت تبحث عن جثمانه بحثاً طويلاً مليئاً بالحوادث ، حتى عثرت عليه فى النهاية وعادت به الى مصر من جبيل ، وأقامت مدة من الزمن بمدينة خيمس (Khemmis) فى منافع الدلتا تحرس تابوت أوزيريس وتنتظر ولادة ولدها الذى حملت به على ما يظهر بعد موت أبيه . وعثر ست على التابوت عندما خرج فى أحد الأيام للصيد ، فأخرج الجثة وقطعها الى أربع عشرة أو ست عشرة قطعة بعثرها فى بلاد مصر المختلفة . وذهبت ايزيس للمرة الثانية للبحث عن الجثة ودفنت كل قطعة وجدها : الرأس فى أبيدوس ، والرقبة فى هليوبوليس ، والفخذ الأيسر فى بيجه (Bigeh) وباقى الأجزاء فى بلاد أخرى . وكان عضو الذكر هو الجزء الوحيد الذى لم تعثر عليه ، لأن ستلقى به فى النهر فابتلته سمكة الأنوم (Oxyrhynchus) .

ويذكر نص آخر لهذه القصة أنه بعد عثور ايزيس على الجثة أمره بالاله أنوبيس (Anubis) ليحنطها ، وعلمت ايزيس بجناحها حينذاك عليه فأعادت اليه الحياة . وهذه النقطة فى غاية الأهمية ، لأن عملية التحنيط كما عرفناها من الموميات المصرية ، كانت متصلة اتصالاً مباشراً بأسطورة أوزيريس ، لأنه بعد أن أعيدت له الحياة أصبح أوزيريس ملكاً على الموتى ، وبذا أصبحت له هذه الصفة التى ظهر بها فى جميع العصور التاريخية . ولهذه القصة بقية مسجلة على ملف من البردى سلم من أى عطب ويرجع تاريخه الى أيام الدولة الحديثة ، تقرأ فيه قصة الصراع الطويل العنيف بين ست وحورس الذى صمم

على قتل عمه انتقاماً منه لقتل والده . وفى أثناء الصراع قلع ست
احدى عيني ابن أخيه . ولكن حورس انتصر فى النهاية وجلس على
عرش أوزيريس ، وأعاد الاله تحوت (Thot) الى حورس عينه
المفقودة ، وأيده فى أحقيته فى الجلوس على عرش أبيه حكم بحكمة
الآلهة فى هليوبوليس .

وكنتيجة لهذه القصة أصبح حورس على مهر العصور نموذجاً
للابن البار ، بينما اعتبرت عينه التى فقدتها أثناء الصراع رمزا لأى
نوع من أنواع التضحية .

وفى الحقيقة لم تكن هناك صلة بين ديانة الشمس وديانة أوزيريس،
سواء فى الأصل أو من ناحية التفكير اللاهوتى . فقد كان رع قبل
أى شئ آخر الها للأحياء ربها صاحبه فئة من الأشخاص المحظوظين بعد
الموت ، بينما كان أوزيريس الها للموتى يختص بالدار الآخرة ولكن
اشترك هذان الالهان فى صفة على أكبر جانب من الأهمية ، فقد أعطيا
مثلا الهيا للخلود بعد الموت . فبالرغم من أن ست قد اغتال أوزيريس
فقد عادت الحياة الى هذا الأخير بسحر ايزيس ، وكذلك اعتبر اختفاء
رع اليومى تحت الأفق الغربى موتاً له ثم يولد من جديد فى الصباح
عند الشروق . ووجد المصرى القديم فيما مر على كل من هذين الالهين
ما يجعله يأمل فى الخلود نفسه ، ولكن استمرار الحياة بعد موت
الجسد لا يمكن قبوله كأمر طبيعى معقول ، ولا يمكن أن يتحقق
الا بالقيام بطقوس خاصة وبإمداد الميت بكل المساعدات المادية التى
كانت تتطلبها الآلهة لاستمرار بقاءه ، ومن هنا جاءت الحاجة لأن يكون
للميت قبر — سواء أكان هرما أم غير ذلك — ويكون دفنه متفقاً مع
جميع النقاط الجوهرية حسب نظام متبع .

وبالرغم من تدقيق المصريين فى عصر بناء الأهرام ، وعنايتهم
بالتفاصيل فى الأمور العملية ، الا أنهم لم يكونوا لأنفسهم فكرة واضحة
دقيقة عن الحياة بعد الموت . ونلاحظ محافظتهم الشديدة فى الفن
المصرى ، ولكنهم كانوا أكثر محافظة فيما يتعلق بالأمور الدينية ، فقد
استمرت بعض العناصر التى كان مسلماً بها فى يوم ما جنباً الى جنب
مع ما استجد بعد ذلك ، حتى ولو كان ذلك أمراً تافهاً من ناحية المنطق
أولا يمكن تطبيقه فى بعض الأحيان .

ومثل هذا يجل الذين يحللون الأمور فى ضوء التفكير الحديث
يحسون بأن قدماء المصريين كانوا قوماً يبحثون فى الظلام عن مفتاح

الحقيقة ، وانهم لم يجدوا مفتاحا واحدا فحسب بل وجدوا عدة مفاتيح .
تشبه كلها النوع المناسب للقفل ، فاحتفظوا بها جميعاً لئلا يحدث
لسبب من الأسباب أن يكون المفتاح الذى يتركونه هو المفتاح الصحيح .

وحتى فى العصور الموعلة فى القدم ، وقبل أن يكون لديانة أوزيريس
أو ديانة الشمس أتباع كثيرون ، اعتقد المصريون أن الانسان مركب
من الجسم والروح ، واعتقدوا ايضا أن الروح يمكن أن تبقى حية
بعد موت الجسد اذا حافظوا على الجسم وزودوه بها . يحتاج اليه من
القوت اللازم . ولسنا نعرف تماما المكان الذى كانت تعيش فيه الروح
بعد الموت ، اذ ربما كانت تعيش فى مكان من العالم السفلى يمكن
الوصول اليه عن طريق بئر المقبرة . وهذه الفكرة البسيطة عن الحياة
بعد الموت وصلتها بالقبر والمحافظة على الجسم ظلت دائما صاحبة
المكانة الاولى ولم تأخذ مكانها فكرة أخرى . الى أن جاء فى العصور
المتأخرة الوقت الذى كانوا يضعون فى القبور كل ما يطرا على الذهن
من أدوات يمكن أن يستعملها الميت . فمقبرة توت عنخ أمون
(Tutankamon) وما حوت من أدوات فخمة شملت حتى العربات
والملابس الملكية الحربية لم تكن الا مثالا من الاصرار على اتباع تلك
الفكرة فى صورة مهذبة جداً بعد مضي أكثر من ألفى سنة على أول
ظهورها .

وفى الوقت ذاته نمت نظرية تقديمية عن الحياة بعد الموت ، وهى
ديانة أوزيريس . وقد أظهرت الاكتشافات الأثرية الحديثة أنه كان
لتلك الديانة أتباعها منذ الأسرة الأولى على الأقل ، ولكن عدم ظهور
أية وثيقة مكتوبة عن هذه العقائد والمذاهب يرجع تاريخها الى ذلك
العصر — بل لم يصلنا عنها الا من العصور المتأخرة — جعل من الصعب
معرفة تلك الديانة فى أصلها الأول . وحتى فى العصور المبكرة ربما
اعتبر المصريون أن الحياة بعد الموت — حسب ديانة أوزيريس — ليست
الا صورة مجسمة من الحياة فى الدنيا ، ولكنها كانت فى جهة تقع تحت
الأمق الغربى ، وأن أوزيريس كان حاكما عليها . وهذا المكان الذى
أطلق عليه المصريون اسم حقول القصب (Fields of Reeds)
وعرف فيما بعد عند اليونانيين بحقول الفردوس Elysian Fields
مثله فيما بعد مجموعة من الجزر يمكن الوصول اليها فى قارب سحرى
حيث يستطيع أن يسكن فيها فى ربيع دائم أولئك الذين رضى عنهم الاله .
ونظراً الى أن أوزيريس كان الها للخصب فانه يصبح أمراً طبيعياً أن

تنتج ارض مملكته محصولا خياليا من القمح النامى الى ارتفاع تسعة اذرع ، وكانت زراعة هذه المحاصيل هى العمل الذى يقضى فيه سكان الفردوس المحظوظون وقتهم وهو عملهم الرئيسى .

وأصبح لأبيدوس مركز ممتاز بين أتباع المذهب الأوزيرى ، وحلت محل أبو صير كمركز رئيسى لتلك الديانة ، وأقيمت بها معابد لهذا الاله تضارع أفخم المعابد التى بنيت فى أى جهة أخرى فى مصر . وبناء على ما جاء فى احدى الأساطير كانت أبيدوس (Abydos) هى المكان الذى عثرت فيه ايزيس على رأس أوزيريس وأنها دفنتها هناك ، وفى رواية أخرى أنها دفنت فيها الجسم كله ما عدا عضو التذكير .

وفى كل سنة كان يقام فى أبيدوس احتفال مؤثر تمثل بين برامج تمثيلية دينية يمثلون فيها الحوادث الأساسية لحياة وموت أوزيريس . وتشهد الآلاف من قطع الفخار الملقاة على الأرض بعدد القرابين التى قدمها قربانا لهذا الاله أولئك الذين كانوا ينفذون الى تلك المدينة حاجين الى معبد أوزيريس . وكان من الصعب على المصرى القديم أن يتصور ، وهو يعتبر الحياة بعد الموت كمراة للحياة الدنيا ، أن حادثا له تلك الأهمية الكبرى فى حياته الدنيوية — وهو الاحتفال السنوى فى أبيدوس — لا يكون له مثل فى الحياة المقبلة . فلهذا نرى — ابتداء من نهاية الدولة القديمة — أن كثيرا من المقابر تحتوى على قوارب لى تمكن أصحابها من أداء الرحلة الى أبيدوس . وما جاءت الدولة الوسطى — وربما قبل ذلك — حتى كان القادرون على دفع التكاليف يبنون مقبرة أخرى رمزية فى أبيدوس ، وبهذا تستطيع أرواحهم — اذا شاعت — أن تسكن بالقرب من أوزيريس وتساهم فى احتفاله السنوى . بينما يظلون عن طريق مقابرهم الحقيقية متصلين بمدنهم الأصلية ، فمثلا أمر سنوسرت الثالث (Senusert III) أعظم ملوك الدولة بأن ينحتوا له فى الصخر مقبرة رمزية فى أبيدوس ، بينما دفن جسمه فى هرمه بدهشور . أما هؤلاء الذين لم يستطيعوا بناء مقابر رمزية ، فكانوا يقيمون فى الغالب بالقرب من الهيكل الذى ينسبون له الى أوزيريس لوحة من الحجر نقش سطحها ، وعليها كتابة حسب الطراز المعروف لى يضمّنوا الخلود لأسمائهم فى حضرة الاله .

وفى كل الأمور التى تتعلق بالدين اعتمد المصريون اعتمادا كبيرا على القوة السحرية الكامنة فى الكلمة المكتوبة ، واعتقدوا أنه باستعمالهم الصيغ الصحيحة يستطيعون أن يملوا أراذلهم على الآلهة ، وأن

للتعاويد المنقوشة على جدران الحجرات والممرات في اهرام الاسرتين الخامسة والسادسة لتعد احسن الامثلة لهذا النوع من السحر في عصر بناء الاهرام . وهناك مثل واضح كان يفعله معتنقو المذهب الاوزيري ، وهو وضع اسم اوزيريس كلقب قبل اسم الميت ، وذلك ليجعلوا الميت يتحول فيصبح الاله نفسه . وتفسير هذا التالىه العام انه ربما جاء امتدادا لامتياز خاص كان وقفا على الملك وحده ، ففى اثناء حياة الملك الدنيوية كانوا يعتقدون أن الاله حورس بن اوزيريس قد تجسد فيه ، ولهذا كان طبيعيا أن يصبح بعد وفاته مثل الاله اوزيريس ، وأن يكون ابنه الذى يتلوه على العرش هو الذى يتجسد فيه الاله حورس . وبمرور الزمن أصبح امتياز التحول الى اوزيريس شاملا لأفراد العائلة الملكة أولا ، ثم شمل نخبة منتقاة من الناس من دم غير ملكى ، وفى النهاية أصبح حقا يطالب به جميع الناس . ولا نستطيع حاليا أن نتتبع الدرجات المتعاقبة لهذه الديمقراطية فى العبادة الاوزيرية ، ولكن — قياسا على ما حدث فى الديانات الأخرى وبعض الطقوس الجنائزية — يمكننا أن نستنتج ما حدث من تطور ونحن واثقون الى حد غير قليل .

وفى عبادة الشمس اعتبروا الحياة بعد الموت أنها كانت فى الاصل وقتنا على الملك ، الا أن هذه الحياة بعد الموت لم تكن فى الغرب أو فى العالم السفلى ، وانما فى منطقة سماوية فى ناحية الشرق . ولكى يصل الميت اليها يتحتم عليه أن يعبر بحيرة تسمى « بحيرة الزنبق » (Lily Lake) امتدت من الأفق الشمالى الى الأفق الجنوبى ، وهناك مخلوق صارم يسمى « الناظر الى الخلف » وسمى بذلك لأنه كان يؤدى أعماله ناظرا الى الخلف، وكان هذا المخلوق يحمل الملك عبر البحيرة ولكن فقط بعد أن يقتنع بأن الملك قد أعطى الاذن بالدخول الى « الحقول التى ولدت فيها الآلهة وبها يفرح الآلهة فى أعياد السنة الجديدة » وذلك هو اسم الناحية الشرقية من السماء . ولكى يقتنع المعداوى كان على الملك أن يلتجئ الى عدد من الحيل المختلفة ، فمثلا يستطيع أن يقتنعه بأنه احضر لاله الشمس بعض الأشياء التى يحتاج اليها ، ويمكنه أن يدعى أن اله الشمس طلب منه أن ينجز له بعض الأعمال ، أو ربما يلجأ الى السحر ويأخذ معه جرة تحتوى على مادة تجعل المعداوى عاجزاً عن معارضة طلباته ، فاذا فشلت باقى الطرق يستطيع الملك أن يتوسل الى اله الشمس نفسه ليصدر امره الى المعداوى لينقله الى الناحية الأخرى .

وبعد أن يعبر الملك البحيرة يقف على بوابة العالم الآخر . وكان المنادون يقفون على استعداد لإعلان خبر وصوله وتتجمع الآلهة في الحال لتحيته . وشرح نص من نصوص الأهرام ذلك المنظر في الكلمات الآتية : « وجد الملك بيبى هذا ، الآلهة وقوفاً ملتفين بملابسهم وأحذيتهم البيضاء في أرجلهم ، أنهم يلقون أحذيتهم البيضاء على الأرض ويرمون بملابسهم قائلين : لم يفرح قلب حتى مجيئك » . (تعويذة رقم ٥١٨) .

كيف كان الملك يقضى وقته بعد السماح له بالدخول الى العالم الآخر ؟ ان النصوص المصرية غير متفقة في هذه النقطة . ففى نص من أقدم نصوص الأهرام يذكر أنه يصبح أمينا لسر اله الشمس ويصف واجباته كما يلى : « يجلس الملك أوناس وأمامه (رع) ، ويفتح الملك أوناس صندوقه (الذى به الأوراق) . ويكسر الملك أوناس اختام أوامره ، ويوقع الملك أوناس أوامره ، ويبعث الملك أوناس رسله الذين لا يعترهم تعب ، ويفعل الملك أوناس ما يأمر به (رع) الملك أوناس » (تعويذة رقم ٣٠٩) . فى حين أن نصوصاً أخرى تمثل لنا الملك وهو يحكم بكل ما كان له من جلال عندما كان يعيش فى الدنيا ، ويحيط رجال البلاط بعرشه ، بينما تسجد رعيته أمامه وتقبل الأرض عند قدميه ، ويجلس هو أحياناً للفصل فى قضاياهم ، ويصدر الأوامر كما كان يفعل عندما كان يعيش فى الدنيا .

وفى كل يوم يرافق الملك اله الشمس فى رحلته عبر السماوات ، فأحياناً يوصف بأنه أحد المجدفين فى السفينة ، فمثلاً : « يتسلم الملك بيبى بنفسه مجدافه ، وياخذ مجلسه ، ويجلس فى مقدمة السفينة ، ويجدف برع (لبوصله) الى الغرب » (تعويذة رقم ٤٦٩) .

وفى مكان آخر نراه وقد رقى الى وظيفة قائد السفينة ، وأثناء الليل تجرى الرحلة فى الاتجاه المضاد فى العالم السفلى ، وتمنح بذلك نورها الى الأموات العاديين غير الخالدين الذين كان يظن أنهم يقطنون هناك .

وعلى مر الأيام أصبح الملك الميت أكثر قرباً من اله الشمس ، الى أن أصبح فى الأسرة السادسة هو اله الشمس نفسه . ففى نص من متنون هرم تيتى (Teti) تبدو العلاقة فى العبارة الآتية : « يارع .. أنك تيتى .. وتيتى أنت .. وأنت تضئ كيتى .. وتيتى يضئ .. »

مثلك » (تعويذة رقم ١٠٥) . وهناك ما هو أكثر من ذلك ، ففى
نصوص الاهرام أيضا نراهم يوجهون القول الى الملك بيبى هكذا : « أنت
تركب السفينة (سفينة الشمس) مثل رع . أنت تجلس على عرش
رع ، لكى تستطيع أن تأمر الآلهة ، لأنك أنت رع الذى ولدته نوت
والتي تلد رع كل يوم » (تعويذة رقم ٦٠٦) .

ويتصل اتصالا وثيقا بمسألة موقع مكان الحياة الأخرى وماذا
يفعله الناس فيها مسألة الصورة التى يكون عليها الملك حينما يدخلها .
فكان الجسد عادة وفى كل العصور يوضع فى القبر أو قريبا منه ،
بينما كان المصريون يعتقدون أن العنصر غير المادى يصبح عند الموت
وحدة منفصلة تسمى « با » ، وكانت الـ « با » فى الكتابة الهيروغليفية
فى العصور المبكرة تمثل ببجعة لها خصلة من الريش فى مقدم رقبتها .
وبعد ذلك تغيرت هذه العلامة الى طائر له له رأس آدمى ملتح وأمامه
مصباح . وربما كانت هذه العلامة الأخيرة تشير الى اعتقاد قديم بأن
النجوم لم تكن الا عدداً كبيراً لا حصر له من الـ « با » مضاءة بمصباحها .
ومع أن الجسم والعناصر الروحية كانت هكذا منفصلة ، الا أنها
لا تزال تعتمد على بعضها البعض لأنه يشترط لبقاء الروح (BA) أن
يبقى الجسد على حالة من الحفظ تمكنه من استقبالها . وهذا هو
سبب الاعتناء الفائق فى المحافظة على الجسد من أن يعتدى عليه
معد أو يتحلل .

وهناك شيء آخر لعب دوراً هاماً فى حظ الملك ، ألا وهو القرين
(KA) . كان القرين يمثل أحيانا برمز على هيئة انسان ملتح يلبس
تاجا مكونا من ذراعين مرفوعين الى أعلى ومثنيين عند المرفقين .
وأحيانا أخرى بالذراعين على هذه الصورة بدون باقى الجسم . ويأتى
القرين الى الوجود وقت ولادة الملك ويبقى معه بعد الموت . ونرى
فى نقوشين هاميين أحدهما فى معبد الدير البحرى والثانى فى معبد الأقصر
يرجع تاريخهما الى الأسرة الثامنة عشرة ، نرى الاله خنوم يخلق فى
وقت واحد كلا من الطفل الملكى وقرينه بتشكيلهما على عجلة الفخار .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق ما هى طبيعة القرين . وقد قدم
الباحثون أربعة تفسيرات مختلفة ، فاعتبره « جاستون ماسپرو »
(Gaston Maspero) أحد كبار الأثريين الفرنسيين كتوام أو صورة
مزدوجة لصاحبه مصنوعة من نفس مادته ومساوية له تماما . وظن
أدولف ارمان (Adolf Erman) أنه تجسيم لقوة الحياة وأنه ذلك

العنصر الخفى الذى يميز بين الحى والميت . واعتقد ج. ه. برستيد (J. H. Breasted) أنه ليس الا قوة حافظة لصاحبها كفكرة الملاك الحارس لدى المسيحيين . ووجد فيه كيس (Kees) تشخيصاً لتلك المزايا المجردة ، مثل القوة والنجاح والاحترام والفخامة . التى كانت أساسية لاستمرار هذه الحياة التى نجياها على الأرض . وكل هذه التفسيرات الأربعة يمكن تبريرها فى مناسبات مختلفة ، ولكن لا يوجد واحد من بينها ينطبق على كل المناسبات فى جميع الحالات . وربما كان المصريون القدماء انفسهم لم يلزموا دائماً فكرة واحدة ثابتة عن القرنين ، وانما سمحوا لأفكارهم أن تتعدل حتى فى المسائل الأساسية تبعاً لعقائدهم المختلفة عن تركيب الانسان .

ومهما تكن وظيفة القرنين بالنسبة لصاحبه أثناء حياته ، فانه من المؤكد أنه كان يتوقع أن اشترك القرنين معه فى الحياة الأخرى سوف يحقق له أحلى آمانيه فى الحياة بعد الموت .

فى نصوص الأهرام نراهم يذكرون دائماً الملك وقرينه معا ، وفى مملكة اله الشمس يعمل القرنين أحياناً كدليل له ، بل يصل الأمر الى أن يقدمه الى الاله أو يمهده بالطعام اللازم لبقائه ، ونراه أحياناً فى القبر ، حيث يشاطر القرنين ما فيه من مزايا مع صاحبه ، وفى الواقع كان أحد أسماء القبر عند قدماء المصريين « بيت القرنين » ، وكان الكهنة المسئولون عن المحافظة عليه يسمون « خدمة القرنين » . فلا عجب إذن اذا أشارت النصوص المصرية فى بعض الأحيان الى الأموات بأنهم « الذين ذهبوا الى قرنائهم » ، لأن الاتحاد مع القرنين كان عنصراً مهماً فى الحياة السعيدة التى يتوقعون أن يحيوها فى العالم الآخر .

الفصل الأول

« المصاطب »

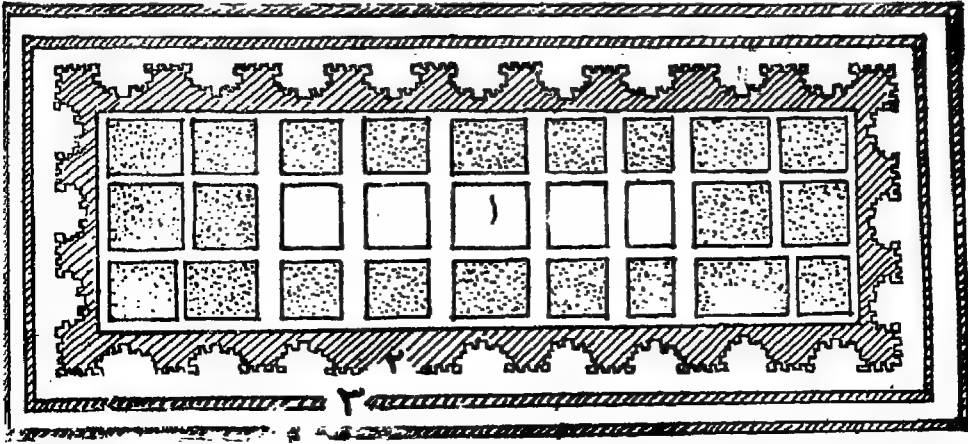
من الجزء الأكبر من مجموعه الآثار المصرية القيمة الموجودة الآن في متاحف مصر وأوروبا وأمريكا حصلنا عليه من المقابر . وهذه حقيقة رائعة وتفسيرها بسيط ، فبينما نجد عدد المقابر من كل عصر تقريباً خلال الثلاثة الآلاف سنة من تاريخ عصر الأسرات المصرية وافرأ كبير العدد ، اذا بنا لا نجد الا قليلاً من المنازل التي كان يعيش الناس فيها ، وقليلاً من المباني التي كانوا يعملون فيها ما زال قائماً الى الآن . حتى العواصم الكبيرة المهمة مثل منف وطيبة قد اختفت ولم تترك أثراً منها . فلم يبق شيء من قصور هؤلاء الملوك الذين أصبحت أهرامهم من اوسع الآثار شهرة في العالم ، بل اننا لا نعرف على وجه التحديد أين أقيمت هذه القصور ، هل كانت في منف نفسها أم في مكان آخر قريب من مناطق الأهرام الحالية ؟ ومثل هذا الاختفاء الكامل لا يمكن أن يحدث الا بسبب طبيعة المواد والطريقة التي استعملت في البناء . فمن المؤكد أن المنازل والقصور كانت دون ريب تبنى من الطوب اللبن والخشب والجبس ، بل وأدهى من ذلك أنها كانت تبنى فوق سطح الأرض . بينما يقع جزء من المقابر تحت الأرض ، وكان ما يعلو منها فوق سطح الأرض — بعد الأسرات الأولى — يبنى عادة من الحجر . ومع أن عدد ما تبقى منها حتى يومنا هذا كبير جداً ، الا أنه ليس الا جزءاً مما بنى أصلاً ، لأن الأجيال المتعاقبة التي سكنت مصر كانت تأخذ الأحجار من مباني أجدادهم عندما كانوا يبنون ما يحتاجون اليه .

وربما يبدو غريباً في بلد يمكن فيه الحصول على كميات كبيرة من أصناف الحجر الجيد أن يقضى الملوك والطبقة الحاكمة أعمارهم في بناء مقابرهم من مواد رديئة . ولكن المصري القديم كانت له وجهة نظر مختلفة . فمنزله أو قصره كان يبنى ليظل عدداً محدوداً من السنين يمكن بعدها أن يحدده أو يبنى غيره مكانه اذا لزم الأمر ، ولكن قبره الذي

يطلق عليه اسم « حصن الخلود » كان يصمم على أساس أنه سيبقى إلى الأبد . وكان شيئاً عادياً طبيعياً أن ينتهى من بنائه أثناء حياته ، ويحدث أحياناً أن يموت صاحب القبر قبل أن يتمه ، وفي مثل تلك الحالة يتمدل أحياناً التصميم الأصلي للبناء لينتهوا منه على وجه السرعة ، أما ليدفن فيه في أقرب وقت دون تأخير ، وأما لأن أقاربه يريدون أن يوفرّوا على أنفسهم التكاليف اللازمة إذا واصلوا العمل فيه . كما أنه من المحتمل أيضاً أنه إذا طالت حياة الشخص فرأى قبره يسير قدماً نحو الانتهاء ، فربما وسع فيه ليزود نفسه بمكان أكبر وأرحب مما كان يريد تشييده في الأصل .

وكان الباعث الذي دفع المصرى القديم على أن يصرف هذا المجهود الضخم في بناء قبره ، هو اعتقاده بأن الوصول إلى الحياة التي يتنناها في العالم الآخر يتوقف على تحقيق غرضين أساسيين : أولهما ضرورة حفظ جسمه من التلف أو التحطم ، وثانيهما ضرورة حصوله هو وقرينه على ما يحتاجان إليه من أشياء مادية . وظل هذا الباعث لا يتغير طوال أيام التاريخ المصرى ، وكثيراً ما كانت تطرأ تغييرات في شكل القبر ، وكان ذلك راجعاً إلى نتيجة الخبرة أو إلى تطورات دينية جديدة ، ولكن الغرض الأساسى من القبر ظل كما هو لم يغيره تغيير .

وفي عصر ما قبل الأسرات كان الموتى يدفنون في جفرة مستطيلة أو بيضية الشكل حفرت في الرمل . وكان الجسم المالح على جانبيه في هيئة مرفصة يلف في حصير من البوص ، ويوضع حوله قليل من ممتلكات صاحبه الشخصية ، مثل العقود والأساور وأدوات الصيد والأواني التي تحوى الطعام والشراب . وكانت جوانب هذه القبور في كثير من الأحيان تغطى بالواح من الخشب تربط إلى بعضها من الأركان بسيور من الجلد ، فيتكون منه ما يشبه التابوت حول الجسد . ولم تحفظ لنا الأيام مثالا من الابنية التي كانت فوق ارض ، ولكنها على اى حال لم تزد على الأرجح عن كومة من الرمال يدعم جوانبها افريز من الخشب . وكان الرمل معرضاً على ممر الزمن إلى أن يتطاير في الهواء ، فينتج من جراء ذلك أن يتعرض الجسم وما معه ، فإذا لم يبادرأ بدفنه ثانية فانه يتعرض حتا للفناء . وبدون شك علمت التجارب أحفاد هؤلاء المصريين السابقين أن قليلا من الأجساد اذا تعرت مرة يصبح من غير المتوقع أن يعاد دفنها .



٢

شكل (٢) مصطبة الملك عحا بسلو

وابتداء من عصر الأسرات تغلب الملوك والنبلاء على ما عساه أن يصيب قبورهم من تحطيم بسبب عناصر الطبيعة ، وذلك بإقامة بناء فوق حفرة الدفن ، وكان هذا البناء من الطوب اللبن المجفف في الشمس . وأصبح هذا النوع من المقابر معروفا في العصور الحديثة تحت اسم « مصطبة » ، وهى كلمة عربية معناها مقعد طويل ، وسميت كذلك لأنها — حينما تنفر بالرمال الى ما يقرب من أعلاها — تشبه المقعد الواطئ المبنى خارج بعض البيوت المصرية الحديثة والذي يجلس عليه صاحب الدار مع أصدقائه ليشرّبوا القهوة .

ومن بين أقدم المصاطب المعروفة من العصر العتيق تلك التى كشف عنها بسقارة و . ب . امري والتى يظهر أنها كانت قبر الفرعون عا (Aha) الملك الثانى لمصر العليا والسفلى . ويتكون هذا المدفن من حفرة مستطيلة قليلة الغور سقفت بالخشب وقسمت الى خمسة أقسام منفصلة بحوائط فاصلة . وربما احتوى القسم الأوسط (شكل ٢ ، ١) جسم الملك داخل تابوت خشبى ، بينما وضعت بعض أدواته الخاصة فى الحجرات المحيطة بذلك القسم . وعلى أى حال فإن هذا المدفن ليس الا صورة مكبرة لمدافن عصر ما قبل الأسرات . وكان يعلو هذه الحجرات ويغطى مساحة لا بأس بها ، بناء من الطوب اللبن قسم داخله الى سبع وعشرين حجرة صغيرة خصصت لخزن أواني الخمر وصحاف الطعام وأدوات الصيد وحاجيات الحياة الأخرى ، وبُنيت الأوجه الخارجية لجدران هذا البناء الذى يميل الى الداخل ، من أسفل الى أعلى ، على هيئة مجموعة من الدخلات العميقة تسمة منها على كل جانب وثلاثة منها فى كل طرف (شكل ٢ ، ٢) .

أما شكل السقف فعلى أن نتخلله ، لأنه لم يعثر حتى الآن على مصطبة من هذا العصر لها سقف محفوظ فى مكانه ، ولكنه يحتمل أنه كان منحنيا أو مستقيما . ويحيط بهذا البناء سوران خارجيان يتصل بينهما طريق مرصوف بالطين . وربما كان بين السور الداخلى والواجهة الشرقية للمصطبة مكان لتقديم القرابين ، حيث يستطيع الأقارب أن يضعوا عليه ما يحضرونه من الأطعمة الطازجة لصاحب المقبرة ، كما لطسوا البناء العلوى والأسوار الخارجية بطبقة من الجير كانت بعض أجزائها مزينة برسوم ملونة .

وكانت المصطبة من هذا النوع صورة طبق الأصل من المنازل المعاصرة لها ، أى أنهم اعتبروا القبر المكان الذى يسكنه الميت . ولا شك

أن الحجرات الصغيرة كانت حسب ما يحتاجه المدفن ، ولكنها تمثل حجرات المنزل المختلفة. أما الردهات التي قد تضعف متانة البناء فلم يكن لوجودها ضرورة ، لأن روح الميت كانت تستطيع أن تخترق الحواجز المادية دون عائق .

وما جاء عصر الأسرتين الثانية والثالثة حتى كان الجزء العلوى من المصاطب قد أصبح كتلة صلبة من الرديم كسيت من الخارج بطبقة من الطوب ، ولكنها مازالت تحتفظ بمظهرها الخارجى على شكل منزل . ونقص عدد الدخالات فى الحوائط الى اثنتين : واحدة بالقرب من كل من طرفي الحائط الشرقى . ثم تحولت الجنوبية منها الى حجرة للقرايين ، فأحيانا نجدها داخلة فى نفس البناء العلوى للمصطبة . وأحيانا أخرى تبني خارج هذا البناء وكان يوجد فى الجدار الغربى لهذه الحجرة — التى كان يطلق عليها حجرة القرايين — جزء غائر فى الجدار ، استخدموه كباب وهمى كانت تستخدمه الروح عندما تترك القبر أو تعود اليه كما تشاء . أما البناء السفلى للمصطبة فقد زاد حجما وأهمية وأصبح يحتوى غالبا على ردهة وسطى تتفرع منها عدة غرف جانبية كان الغرض منها حفظ الأشياء التى كانت توضع من قبل فى البناء العلوى . ومن بين هذه الحجرات السفلية التى كانت تنحت فى الصخر نرى حجرة صغيرة لاستخدامها كمحاض (رمزى) . ونصل الى الردهة من باب يفتح من الجنوب فى أسفل بئر عمودية عميقة تبدأ من سطح الأرض ، ويتصل بالبئر عدد من درجات سلم أو منزلق يبدأ من طرف المصطبة الشمالى ، ويلتقى به عند نقطة ترتفع عن قاعه بعدة أقدام . وعن طريق هذا المنزلق أو هذا السلم يدخل الجسد وبعض الأشياء الشخصية المهمة الى القبر ، وبعد أن يوضع كل شيء داخل القبر ، ينزلون سقطة حجرية *Porteullis* وهى عبارة عن لوح سميك ثقيل من الحجر تحمل فوق دعائم ، وتنزل هذه السقطة عمودية داخل خدتين داخلتين على جانبي الباب . وعند ذلك يملا البئر والسلم الموصل اليه بالحصى أو الرديم ، ويفطى من الخارج بطبقة من الطوب اللبن ليختفى كل اثر يدل عليهما .

وأما السبب فى نقل حجرات المخازن من البناء العلوى الى البناء السفلى بالمصطبة ، فيرجع الى ما استلزمته ضرورة التفكير فى حماية الجسم وما يدفن معه .

واتفق البدء فى ادخال نظام المصطبة مع الزيادة الملحوظة فى العناية بتأثيث القبر ، فزاد فى الوقت ذاته تعرضه للنهب . وحينما كان هذا الأثاث يوضع فى بناء فوق سطح الأرض أو فى حفرة قليلة العمق تقع تحت الجزء الأوسط من البناء ، فإن لصوؤ المقابر لم يجدوا صعوبة كبرى فى الوصول الى مقصدهم . ولكن المرافق العميقة تجعل مهمة السارق عسيرة وتعيقه . ولكنها فى الوقت ذاته تزيد من المصاعب الملقاة على عاتق من يبنى المقبرة ، ولذلك فقد استلزمت هذه الزيادة فى العمق تقليلا فى مساحة المخازن وتبسيطا فى التصميم .

ظل الكثير من مصاطب الأسرة الرابعة يبنى من الطوب اللبن ، ولكن استعمال الحجر الذى كان مقصوراً من قبل على آثار الملوك كان له الأثر الأكبر فى تطور بناء المقابر فى ذلك العصر ، حتى المصاطب التى بنيت باللبن كانت حجرة القرايين والحجرات السفلية فيها تكتسى جدرانها غالبا بالحجر . واستخدموا فى هذه الأغراض أحجاراً من أجود أنواع الحجر الجبرى المقطوع من جبال المقطم عند طرة ، واستعملوا أيضا هذا النوع من الحجر الجبرى فى تغطية جوانب المصاطب المبنية بالحجر ، بينما أقيم البناء الداخلى للمصطبة من نوع ردىء من الحجر المأخوذ من المحاجر القريبة .

وفى المباني السفلية لمصاطب الأسرة الرابعة ، سواء المبنى منها باللبن أو الحجر ، نرى عدة ظواهر جديدة . وكان لكل من هذين النوعين من المصاطب دخلة عميقة فى أحد جدرانها خصصت لوضع تابوت من الخشب أو الحجر . وفى الزاوية الجنوبية الشرقية لهذه الحجرة احتوت المصاطب المشيدة من الحجر على حفرة لا نعرف على وجه التحقيق الغرض من وجودها ، ولكن من المحتمل أنها كانت تحفظ بها الأثاث التى تستخرج من جسم الميت لتساعد على بقاءه . وبعد الدفن يسد مدخل هذه الحجرة بسقطة ثقيلة من الحجر الجبرى ويملأ بعد ذلك البئر العمودى الموصل الى سطح البناء العلوى بالرديم وتقفل فتحتة بغطاء محكم من الحجر . أما المنزلق الواصل الى هذا البئر ، والذى نراه عادة فى مصاطب الأسرتين الثانية والثالثة ، فقد استفنى عنه فى المصاطب الحجرية ، ولكنهم ظلوا محتفظين به فى المصاطب المبنية بالطوب .

واحتوت المباني العلوية لمصاطب الأسرة الرابعة فى بعض الحالات على تجديدين واضحين لم يعم استعمالهما الا فى عصر الأسرة الخامسة . وكانت الظاهرة الاولى هى وجود تمثال لصاحب القبر مصحوب أحيانا

بتمثيل لأعضاء آخرين من أسرته ، أما الثانية فهي تزين الجدران
لحجرية لحجرات القوابين بمناظر نقشت بالبارز ولونوها بعد ذلك .
وكننت التماثيل توضع داخل حجره فى داخل بناء المصطبة ، ونطلق عليها
الآن اسم السرداب (Serdab) ، وهى حكمة عربية تعنى مبنى تحت
الأرض . وسمى السرداب بذلك لأنه لم يحتو على أبواب ولا نوافذ
ولا أى نوع من الفتحات سوى ثقب أو فتحة ضيقة فى أحد جدرانه فى
مستوى وجه التمثال تقريبا ولم يكن ينفذ الى داخله أى ضوء . وفى
بعض المصاطب الحجرية فى منطقة الجيزة وضعوا بدلا من السرداب
والتمثال رأساً للميت مصنوعا من الحجر الجيري . وكانت هذه الرأس
توضع فوق بعض الأحجار خلف السقطة عند مدخل حجرة الدفن .

ولم يكن تزيين حجرات القوابين الا بداية لعدد من التطورات ،
ففى الأسرتين الخامسة والسادسة أصبح فى المبنى العلوى للمقبرة
حجرات وأبهاء ذات أعمدة غطيت جدرانها جميعها بنقوش بارزة .
ونعرف مثلا أن احدى المصاطب الشهيرة فى الأسرة السادسة حوت
ثلاثين حجرة نقشت جدرانها ، وكان من بين المناظر المألوفة المنقوشة
على الجدران تلك التى تصور الخدم وهم يحملون القوابين من الطعام
والشراب الى سيدهم الذى مات ، كما نرى مناظر الحصاد ومختلف
الأعمال ، وتفقد صاحب المقبرة لضياحه أو خروجه للصيد ، الى جانب
مناظر أخرى متعددة الأغراض ولكنها متصلة اتصالا وثيقا بعمله أثناء
حياته .

وكانت أهم التطورات التى أدخلت على المصطبة — ابتداء من
الأسرة الرابعة — بعد أن أدرك المصريون أن الوسائل التى اتبعت
للتغلب على العناصر الجوية ولصوص المقابر لم تحقق الهدف الرئيسى
لها وهو المحافظة على الجسم . فقد كانت النتيجة الحتمية لدفن الجثة
فى حجرة عميقة بعيدة عن الجفاف الناتج من سخونة الرمل هو تحليل
هذه الجثة ، ما لم يلجأوا الى بعض وسائل التحنيط ، وما من شك فى
أنهم غاموا بتجارب عديدة لحفظ الجسد ، ولكنهم لم يكتشفوا طريقة
تحنيط فعالة الا فى العصور التالية .

ويلجأ الناس الى السحر عندما تفشل الوسائل المادية . فقد كان
من معتقدات المصريين المتعلقة بالموتى أنه يمكنهم عمل نموذج من أى
شئ ليكون بديلا عما لم يقدموه للحيت ، دون أن يكون فى ذلك حرمان
للميت من الحصول على الفوائد التى كان يرجوها من الأشياء لأصلى
نفسه . ففى بعض مصاطب الأسرة الثانية مثلا نرى أنهم كانوا يضعون

نماذج تشبه الأواني بدلا من الأواني المملوءة بالأطعمة ، وكانوا يعتقدون أنها كانت تؤدي نفس الفائدة لصاحب القبر . وكذلك كانوا يعتقدون أن التمثال — أو حتى الرسم المنقوش على الجدار — يستطيع أن يكون بديلا من الجثة في حالة فنائها . وفي إحدى المصاطب الشهيرة من عصر الأسرة الثالثة — وهى مقبرة موظف كبيرة يسمى حسي رع (Hasy-Ra) — نراهم قد وضعوا لوحات خشبية مزينة بنقوش بارزة وركبت في الدخلات الواقعة في الواجهة الشرقية لجدار البناء العلوى في المصطبة . وكان القصد من هذه الصور أن تمكن حسي رع من مغادرة القبر والعودة إليه . الا أن هذا النوع من الألواح كان معرضا للضياع . بينما ضمن تصميم السرداب أن يحفظ التمثال دون أن يؤثر في قوته الفعالة ، كما حصلوا على ضمان أقوى عندما استخدموا التماثيل المصنوعة من الحجر بدلا من التماثيل الخشبية .

وما أن أقر المصريون مبدأ الاستعاضة عن الشيء الأصلي بصورته حتى بدأوا خطوة أخرى ، فجعلوا هذا المبدأ لا ينطبق على الأشياء الشخصية مثل أوعية الطعام والتماثيل فحسب ، بل ينطبق أيضا على المناظر التي تتناول بعض نواحي حياة صاحب القبر التي أراد أن يتمتع بها في الحياة الأخرى .

فالمناظر التي تمثله وهو يصطاد الحيوانات والطيور أو يتفقد ضياعه كانت تمده بالوسائل التي تمكنه من الاستمرار في مباشر هذه الأعمال بعد موته ، كما أن مناظر الحصاد وذبح الحيوانات وصنع الجعة والخببز كانت تضمن له مؤونة دائمة مما تنتجه .

ولكى يتفادوا أى مخاطرة في أن تضل روح الميت في التعرف على تمثاله ، فانهم كانوا يكتبون على التمثال عادة اسمه والقباه بالهيروغليفية ، كما كانوا يكتبون جملا قصيرة على المناظر المنقوشة على الجدران لتوضيح الغرض منها . وكثيرا ما نرى عليها أسماء الأشخاص المرسومين ، وأحيانا ما توضح الكتابة الأعمال التي يقومون بها . وكان هؤلاء الأشخاص في أغلب الأحيان أقرباء الميت أو خدمه ، وكانوا يضمنون بذلك الحياة بعد الموت واستمرارهم في خدمة سيدهم .

وبالرغم من كل التدابير المختلفة التي اتخذت لد صاحب القبر بما يحتاجه بوضعه معه في القبر ، فانهم كانوا يعتقدون أيضا أن انتظام

تقديم الأطعمة الطازجة أمر ضرورى لضمان سعادة الميت ، ولهذا كانوا يضعونها على مائدة مسطحة واطئة أمام الباب الوهمى الذى يبنى فى الحائط الغربى لحجرة القرايين التى كانوا يبنونها فى الجهة الشرقية من البناء العلوى للمصطبة . وربما نتج هذا من تشييد المصاطب فى بقعة مرتفعة من الصحراء غرب النيل ، ولذلك عندما كان يطل الميت من الباب الوهمى يرى أمامه الوادى الذى كانت تأتية منه القرايين .

ومن الممكن أن القرايين الأولى كان يقدمها الابن — الذى كان بتقديمه ما يحتاج اليه والده المتوفى يمتد حورس بن أوزيريس — أما ما يتلو ذلك من قرايين فإنه كان من تسان كهنة الموتى ، الذين كانوا يكلنون بهذه الخدمات بعقود مكتوبة ويأخذون أجراً على عملهم ، وكانت تلك الأجور تدفع أرضاً يوصى بها المتوفى للكهنة . ولنضرب لذلك مثلاً بأحد أولاد الملك خفرع باني هرم الجيزة الثانى الذى أوصى باثنتى عشرة مدينة على الأقل لتكون وقفاً جنازياً لهذا الغرض ، وتصبح هذه الأراضي ملكاً للكهنة تنتقل بعدهم الى ورثتهم الذين يرثون أيضاً كل الالتزامات التى عليهم نحو العناية بالقبر . وقد علمتهم التجارب أن اشد العقود لا يستمر العمل بها الا لمدة محدودة ، ولذلك وضعوا ما يسمى اللوحة الجنازية فى القبر منذ العصور المبكرة ، لتقوم مقام القرايين الفعلية . وتحتوى هذه اللوحة على صيغة سحرية معلنة أن المتوفى قد تسلم القرايين اليومية بكمية وافرة ، وغوق هذه الصيغة كانوا يرسمون فى أغلب الحالات منظرًا يمثل صاحب القبر جالساً الى مائدة كدست فوقها القرايين التى قدمها اليه أفراد أسرته . وهم اذ يفعلون ذلك لم يقصدوا الاستغناء عن تقديم الأطعمة الطازجة ، ولكنهم اعتقدوا أن اللوحة تمد المتوفى بما يؤكد له بطريقة عظيمة الجدوى انه لن يتعرض للجوع او الاهمال ، وذلك بما كان للكلمات المسطرة على اللوحة من قوة سحرية .

ومهما بدت لنا فكرة المصرى القديم عن الحياة بعد الموت بدائية ومادية ، الا أنه يجب أن نسلّم بأنها كانت سبباً فى انتاج عدد من أحسن ما أخرجه العالم القديم من أعمال فنية . فلولا الحافز الذى جاء نتيجة لدافع عملى ، فأننا نشك أنهم كانوا يصنعون جزءاً ولو قليلاً من العدد الكبير من التماثيل والنقوش والكتابات التى صنعوها والتى أجمع الناس على الإعجاب بها .

الفصل الثانى

الهرم المدرج

كان الملوك والنبلاء — الى نهاية العصر العتيق — يدفنون على الارجح فى مقابر بنيت من اللبن ، ألا أنه فى الأسرة الثالثة توسع الملوك فى استخدام الحجر الذى لم يكن يستخدم قبل ذلك الا فى مواضع متفرقة من المباني . والى ايمحوتب (Imhotep) معمارى الفرعون زوسر (Zoser) يعزى دائما بناء أول مقبرة مشيدة بالحجر . وأصبح اسمه أسطورة تروى فى الأجيال المتعاقبة عند المصريين الذين لم يعتبروه معماريا فحسب ، بل ساحرا وفلكيا ، وأبا علم الطب أيضا . وفى العصر الصاوى إلهه المصريون وقالوا انه ابن بتاح (Ptah) ، بينما وحده اليونانيون مع اله الطب عندهم المسمى اسكليبيوس (Asklipios) .

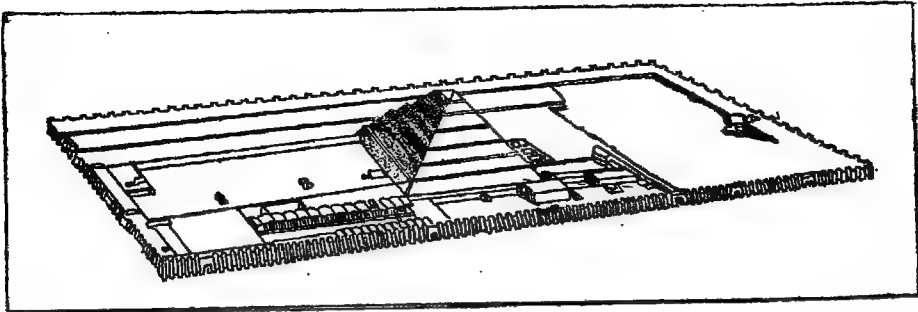
والموقع الذى اختاره ايمحوتب لبناء ذلك المدفن ليس الا جزءاً من منطقة مرتفعة عند سقارة ، تطل على مدينة منف وتشغل مساحة طولها ٥٩٧ ياردة من الشمال الى الجنوب ، وعرضها ٣٠٤ ياردة من الشرق الى الغرب ، وعلى مسافة قريبة من شمالها تقع جبانة الاسرتين الأولى والثانية بمصاطبها العظيمة التى تضم مصطبة عحا (Aha) وربما أثبتت الحفائر المقبلة أنها تحوى مقابر من سبقوا زوسر أيضاً . ولم يدفن زوسر فى مصطبة مثل من سبقوه ، بل دفن تحت بناء كبير يطلق عليه الآن اسم الهرم المدرج (لوحة رقم ٢) .

وكان هذا البناء هو اعظم المجموعة من المباني الحجرية التى حوله ومركزها الرئيسى ، وكانت تلك الابنية وما حولها من ابهاء واسعة مخصصة لاقامة الطقوس الدينية المتعلقة بالحياة الأخرى لهذا الملك (شكل ٣) ، وأقيم حول هذه المجموعة من المباني سور ضخم ، واستخدموا الحجر الجيرى المقطوع من محاجر طره لكساء السطح

الخارجى لتلك المباني ، أما قلب المباني نفسها مكان مكسواً من أحجار المنطقة نفسها .

ومع أن معظم الأجزاء الواقعة تحت سطح الأرض من الهرم المدرج قد فحصت أثناء القرن التاسع عشر ، فلم يعرف أحد حتى العشرين سنة الأخيرة شيئاً عن المباني المحيطة به ، وقد أحال الزمن والهدم المتعمد تلك المباني — ما عدا الهرم نفسه — الى أكوام من الخرائب تعلوها طبقة سميكة من الرمال . وقد قامت مصلحة الآثار المصرية بحفائر علمية منظمة أتبعتها بترميم دقيق . وكلفت بذلك سن. م. فيرث C. M. Firth وج. ا. كويل J. E. Quibell وج. ب. لوير J. P. Lauer فكان من نتيجة تلك الحفائر أنه أصبح في استطاعتنا معرفة شكل تلك المجموعة كلها أيام دفن الملك زوسر .

كان شكل الهرم المدرج عندما تم بناؤه عبارة عن كتلة من البناء ترتفع في ست طبقات غير متساوية في الحجم الى علو ٢٠٤ أقدام .

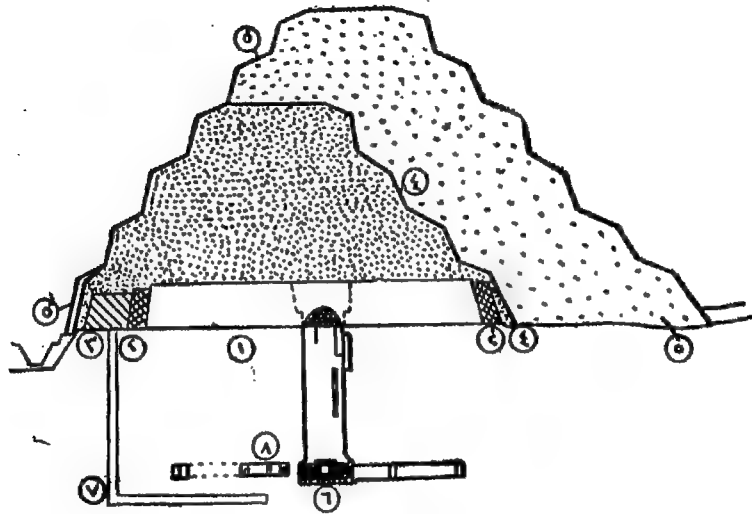


شكل (٣) السور الخارجى حول الهرم المدرج

وكانت أطوال قاعدته ٤١١ قدما تقريبا من الشرق الى الغرب ، و٣٥٨ قدما من الشمال الى الجنوب ، الا انه قبل ان يستقر الراى على هذه الأبعاد حدثت عدة تغييرات فى تصميم البناء .

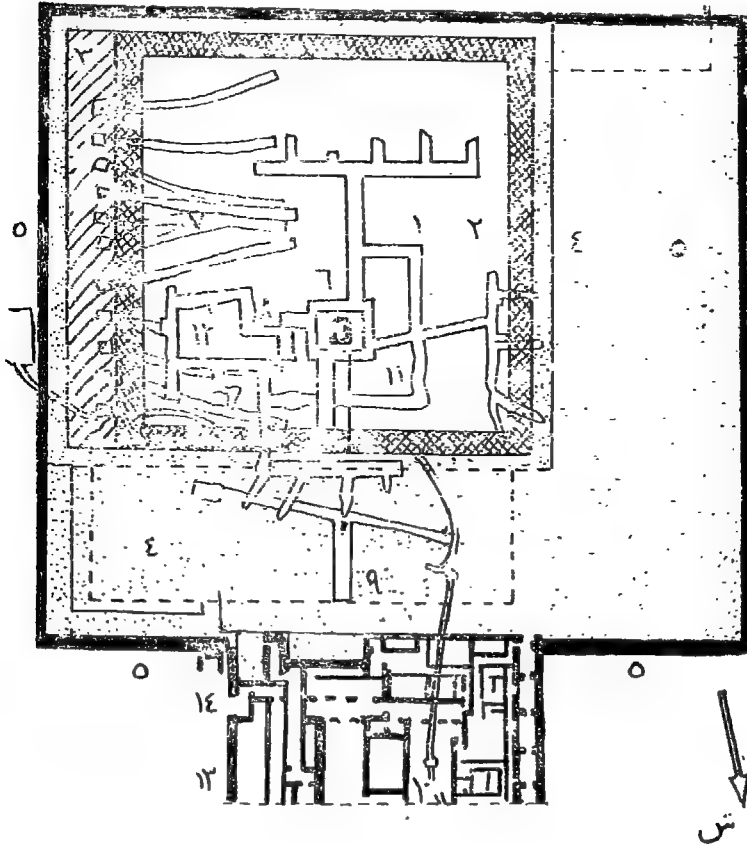
ويمكننا بسهولة مشاهدة بعض تلك التغييرات ، اما الباقي فقد أمكن تصويره ولا يمكن اثباته بدون هدم جزء كبير من بناء الهرم نفسه . وتظهر التغييرات التى أمكن اثباتها فى الأجزاء المتهدمة من الأثر ، اذ كانت مغطاة بطبقات من الأحجار زالت الآن وأصبح ما تحتها ظاهرا للعيان . وهى حالة من الحالات التى تكررت فى علم الآثار ، حيث زانت معلوماتنا العلمية على حساب خسارتنا الفنية .

وقد أقام زوسر فى أول الأمر مصطبة بنيت من أحجار المنطقة وكسيت من الخارج بطبقة من الحجر الجيري الذى جاءوا به من طره (شكل ٤ ، ٥ - ١) . ويظهر أن هذه المصطبة - التى كان ارتفاعها ٢٦ قدما - التى بنيت على مساحة مربعة ويواجه كل جانب منها تقريبا احدى الجهات الأصلية الأربع ويبلغ طوله ٢٠٧ أقدام - كانت فريدة فى تصميمها . وبعد اتمامها زيدت جوانبها الأربعة بمقدار ١٥ قدما تقريبا ثم غطيت ثانية بعد ذلك بكساء من الحجر الجيري (شكل ٤ ، ٥ - ٢) وكان ارتفاع هذه الزيادة أقل من ارتفاع المصطبة الأصلية بمقدار قدمين تقريبا ، وبذا تكونت مصطبة مدرجة (شكل ٤ - ٢) . وأضيفت زيادة ثالثة ، حوالى ٢٨ قدما من الجانب الشرقى ، جعلت القبر مستطيلا محوره الأطول من الشرق الى الغرب (شكل ٤ ، ٥ - ٣) .



شكل (٤) : الهرم المدرج . قطاع فى اتجاه الناحية الجنوبية

وقبل تغطية الزيادة الثالثة بكساء ، غيروا تصميم البناء كله وأصبحت المصطبة التي زيدت من كل جانب ٩٥ قدم هي الدرجة السنبلية لهرم ذى أربع درجات (شكل ٤ ، ٥ - ٤) . وبدى في بناء معبد جنازى من الناحية الشمالية ، ولكن قبل أن يتم أى بناء منها قرروا أن يزدوا بناء الهرم نحو الشمال والغرب (شكل ٤ ، ٥ - ٥) . ولو نفذت هذه الزيادة ل زاد ارتفاع الهرم ، ولزید عدد الدرجات الى ست ، ولكنهم أوقفوا التنفيذ عند مستوى الدرجة الرابعة . والتغيير السادس والأخير فى تصميم الهرم المدرج كان عندما أضافوا شيئاً قليلاً الى كل جانب من الجوانب الأربعة وأتموا الدرجات الست وكسوا البناء كله ببطقة نهائية من حجر طرة الجبرى (شكل ٤ ، ٥ - ١٥) .



شكل (٥) الهرم المدرج : الأبنية الواقعة تحت سطح الأرض مسقط أفقى

ويتكون البناء السفلى للهرم المدرج من بئر عميق يفضى الى عدد كبير من المرات والحجرات ، جعلت منها مدفنا لا مثيل له بين الأهرام الأخرى التى من عهد الدولة القديمة ، لأن بعض هذه الأجزاء السفلية لم يكن قد تم بناؤه ، فليس من الميسور ان يعرف أيها كان من تصميم عهد زوسر وأيها أضيف فيما بعد أثناء البحث والتنقيب عن الكنوز . الا أنه يمكن تحديد مدفن زوسر ومراحل البناء المتعاقبة بكل اطمئنان (شكل ٥) . فقد حفروا بئرا مساحتها ٢٣ قدما مربعا تقريبا وتصل الى عمق ٢٨ قدما فى باطن طبقة الحجر الجيري ، ثم حفروا نفقا مسقفا على عمق ٢٣ قدما تحت سطح ارض يبدأ من هذه البئر الى مسافة ٦٦ قدما تقريبا ، وعند هذه النقطة — أى بعد اجتياز الحد الشمالى للمصطبة التى قصد زوسر فى ذلك الوقت بناءها — يستمر النفق مسافة ٧٠ قدما أخرى على هيئة خندق مفتوح تنحدر أرضيته الى أعلى حتى تصل الى مستوى الأرضية (شكل ٥ — ٩) . ثم عادوا يحفرون فى البئر حتى وصل الى عمق ٩٢ قدما (شكل ٥ — ٦) . وترتب على تعميق البئر أن انخفضت أرضية الخندق حتى أصبحت منزلقا ينحدر تدريجا اليها . ولكنهم لم يخفضوا الأرضية الى آخر مستوى عمق البئر ، بل الى نقطة تبلغ نحو ٤٠ قدما فوق قاعدته فقط .

وقد كان تصميم البئر والمنزلق فى الجزء السفلى للهرم المدرج شبيها بما كان متبعاً فى المصاطب الخاصة فى ذلك العصر . ولكننا نجد فى المصاطب باباً عند قاع البئر يفضى الى ردهة أحيطت بعدد من الحجرات تحوى واحدة منها الجسد ، ولكن حجرة الدفن فى الهرم المدرج أصبحت هى الجزء المركزى فى ترتيب الحجرات ، فقد بنيت كلها من حجر الجرانيت الوردى المجلوب من أسوان ، وتقع فى قاع البئر (شكل ٤ ، ٥ — ٦) .

وفى طرفها الشمالى ثقبوا فتحة فى أحد أحجار السقف لينزلوا منها الجثة عند الدفن . وبعد أن وضعوا الجثة فى الحفرة سدوا هذه الفتحة بسدادة من حجر الجرانيت ارتفاعها ست أقدام تقريبا وتزن حوالى ثلاثة أطنان على وجه التقريب ، وفوق حجرة الدفن هذه كانت توجد حجرة يصلون اليها من المنزلق بواسطة باب وضعوا فيها السدادة الجرانيتية حتى جاء وقت وضعها فى مكانها . ولم يبق لهذه الغرفة من أثر الآن ، ولكنها ربما كانت مبنية من كتل من الحجر الجيرى ، ومن المرجح أن سقفها كان يتداخل كلما ارتفع (Corbelled) وكان متينا

الى درجة استطاع معها ان يتحمل ثقل وزن الرديم الذى ملئ به
باقى البئر .

وعلى بعد ٧٠ قدما تقريبا من حجرة الدفن وموازيا لجوانبها
تعدت فى الصخر اربعة ممرات طويلة . وتوجد بضع درجات من
السلالم تبدأ من ابواب فى الجدارين الشرقى والغربى للمزلق مؤدية الى
توصل ممرات هذه الردهات ببعضها (شكل ٥ - ١١) . ولم يتم انجاز
بعض هذه الردهات والممرات ، ولكنه من المرجح أنهم كانوا
ينوون تغطية كثير من جدرانها بالواح صغيرة من الفينانس بطريقة
تجعلها تشابه الحصر المصنوعة من نبات القصب المائى التى كانت تغطى
جدران قصر زوسر ، وقد عثر على ألواح الفينانس (*) من هذا النوع
فى الممر الشرقى (شكل ٥ - ١٢) التى كشفت عنها فى سنة ١٩٢٨ ،
وكذلك فى حجرتين قريبتين من الزاوية الجنوبية الشرقية لحجرة
الدفن (شكل ٤ ، ٥ - ٨) . وبين لوحات الفينانس على الحائط الغربى
من الممر الشرقى وضعوا نقوشا بارزة على الحجر الجيرى تمثل الملك
وهو يؤدى بعض الطقوس الدينية (لوحة ١٣) . وحول الحائات
الخارجية للدخلات التى رسمت داخلها هذه المناظر كتب اسم الملك
والقابه . وتوجد كتابات مماثلة على جانبي الباب الذى يفصل بين
الحجرتين المكسوتين بالفينانس الأزرق بالقرب من الزاوية الجنوبية
الشرقية لحجرة الدفن ، وقد نقل عالم الآثار الألمانى ريتشارد ليبسيوس
Richard Lepsius الباب وبعض الفينانس الى متحف برلين فى عام
١٨٤٢ .

ومن المحتمل أنه عندما وضع التصميم الأسمى لمصطبة زوسر كان
يقصد أن يحتوى البناء السفلى على الحجرتين فقط اللتين فى أسفل البئر
وعلى الردهات الأربع والممرات الموصلة بينها ، ولكن بعد أن قرروا
الزيادة فى تصميم البناء العلوى لأول مرة حفروا احدى عشرة بئرا
فى الأرض الواقعة فى الجانب الشرقى الى عمق ١٠.٨ أقدام تقريبا .
ونجد فى أسفل كل بئر من الأحدى عشرة ، ردهة متجهة نحو الغرب
تحت البناء العلوى (شكل ٤ ، ٥ - ٧) . وقد عثر على تابوتين صنعا
من المرمر الجميل احتوى أحدهما على جثة طفل فى نهاية الردهة الخامسة
من اليسار ، كما عثر على قواعد من الحجر الجيرى لمثل هذين التابوتين
فى بعض الردهات الأخرى . وبناء على ذلك يتضح لنا أن هذه الآبار
والردهات كانت فى الغالب قبورا لأفراد الأسرة الملكية . ومن
الجائز أنهم كانوا يريدون إقامة بناء علوى فوق كل قبر ، ولكنها

(*) بلاطات من الفخار المزجج كالقيشاني .

دفعت جميعا تحت الزيادة الثالثة للهرم ، وكانت الوسيلة الوحيدة للوصول اليها هى سلم طويل يؤدي الى القبر الذى فى أقصى الشمال .

ومنذ البداية حتى تعديل البناء العلوى للمرة الخامسة ، كان الوصول الى الحجرات السفلية والردهات عن طريق النزول فى الخندق المفتوح والمنزلق من الجانب الشمالى (شكل ٥ - ٩) . الا أن هذا الخندق المفتوح قد سد بالرديم عندما عدل البناء العلوى من جهة الشمال ، وأصبح من الضرورى أن يحفر نفق آخر بدلا منه . وبدأ النفق الجديد ببعض درجات من السلالم قريبة من الطرف الشمالى للبناء العلوى (شكل ٥ - ١٠) ثم يسير فى طريقه الى غرب الخندق السابق ، ثم ينحنى نحو الشرق ليلتقى بالمنزلق الأسمى بالقرب من نهايته العلوية . وواضح أنه أخذ طريقا متعرجا من غير ضرورة ، ومن الصعب أن نفهم الدافع الذى حدا بهم الى بذل هذا المجهود دون مبرر .

وإذا استثنينا المعبد الجنازى والسرداب فليس للمبانى المحيطة بالهرم المدرج أى مصدر أو أصل نقلت عنه فى المباني المصرية السابقة . وحتى المعبد الجنازى (شكل ٥ - ١٢) يمكن مقارنته بحجره القربين فى المصطبة من ناحية واحدة فقط ، وهى أنه المكان الذى كانت تقام فيه الشعائر الجنازية ، ويختلف كليه فى تكوينه العمارى عن المصاطب المعاصرة ، فهو بناء ضخم مستطيل ملتصق بلواجهة الشمالية من الدرجة الأولى للهرم . ووضع المعبد فى الناحية الشمالية من هذا الأثر كان غير مألوف ، وفى جميع ما شيد بعد ذلك من أهرام نجد المعبد فى الناحية الشرقية ، مثل حجرة القربين فى المصاطب التى كانت دائما فى الناحية الشرقية من القبر ، ولم يوضع باب على مدخل المعبد ولكنهم نحتوا فى الحجرة شكل باب مفتوح فى الخد الشمالى للمدخل . وفى كثير من المباني فى هذه المجموعة نراهم نقشوا فى الحجر ما يشبه الأبواب ، وكان حجم النقوش يماثل دائما المقاييس الحقيقية لتلك الأبواب ، فإذا ما دلفنا من المدخل نجد أنفسنا فى رواق طويل له منحنيات عديدة تؤدي الى فناءين لا سقف لهما ينزل من أحدهما درجات سلم تؤدي الى البناء السفلى للهرم . وفى الطرف الجنوبى لكل فناء توجد ثلاثة ممرات تفضى الى بهو واسع ، وقامت الحوائط القصيرة المزينة بأعمدة متصلة ذات قنوات على الجانب الشمالى منها فكسات فواصل لهذه الممرات . ومن أهم الخصائص العمارية فى مباني الهرم المدرج تلك الأعمدة المتصلة المحلاة بزخارف مختلفة ، فهى والأبواب المقلدة لا يوجدان الا فى هذا الأثر ، أما تصميمها فهو أما من وحى

ساق واحد لنبات من النباتات أو من حزمة من سوق النباتات ضمت الى بعضها .

وفي الجانب الغربى للفناءين المكشوفين توجد حجرتان فى كل منهما حوض من الحجر فى أرضيتها وهيكلا له دخلان غائرتان فى واجهة الهرم ، وهاتان الحجرتان تكملان العناصر القليلة لهذا المعبد انتهى بقيت فى حالة جيدة من الحفظ يجعلها كافية للتعرف عليها .

ومن المستحيل أن نتكهن على وجه التحقيق بالأصل المعمارى الذى استرشد به امحوتب عندما صمم هذا المعبد الجنائزى ، ولكن يمكن اعتباره نسخة مبنية بالحجر من انقصر الملكى فى منف . وهذا التفسير يسائر النظرية التى لاقت القبول ، وهى أن معظم مباني مجموعة الهرم المدرج ليست الا نسخا من المباني التى كانت حول القصر الملكى . ولكن مهما كان التفسير الصحيح فاننا نلاحظ أن معظم العناصر المعمارية الأساسية (مثل الأبياء وحجرات التطهير والدخلات فى الهيكل) مزدوجة ، مما يجعلنا نعتقد أن المعبد قد صمم لاقامة بعض الطقوس التى يجب تكرارها ، أى أن الملك يقوم بتلك الطقوس مرة بصفته حاكما الوجه القبلى ومرة ثانية على أنه حاكم الوجه البحرى .

ويقع السرداب على مسافة قصيرة من شرق مدخل المعبد الجنائزى (شكل ٥ — ١٤) وقد بنى كله من الحجر اسجىرى المجلوب من طره ، ويميل جداره الأمامى الى الداخل بزاوية مقدارها ١٦° عن الخط العمودى ليمائل زاوية أسفل درجة من درجات الهرم التى كانت للمعبد بمثابة حائطه الخلفى ، وفى داخله نجد تمثال زوسر جالسا على عرشه (لوحة ٣ ب) يلبس رداء طويلا لا يظهر منه غير يديه وقدميه والجزء الأعلى من كتفيه وعلى رأسه جمة (شعر مستعار) طويلة يغطيها لباس للرأس من نسيج الكتان ، وربما كانت عيناه من البلور الصخرى فى تجويف من النحاس ، وظل علقا بذقنه جزء من اللحية المستعارة ، وهى رمز الملكية . وثقب ثقبان فى الجدار الأمامى لهذا السرداب أمام وجه التمثال ، اما لكى يسمحا بدخول دخان البخور ليصل الى التمثال ، واما ليكنا التمثال من النظر الى ما أمامه .

وفى خارج السرداب كان هناك سور صغير له مدخلان ، الأول ضيق عند الركن الجنوبى الشرقى والآخر وهو المدخل الرئيسى كان فى الناحية الشمالية . وقد نقش على كل من جانبي المدخل الرئيسى رسوم تمثل الأبواب الخشبية وكأنها مفتوحة فيمكن أن يرى السرداب من الفناء المكشوف الكبير خارج السور .

ويتسامى بناءان كبيران مستطيلان ذوا أسقف مقبية ويشرفان على كل المساحة الواقعة شرقي كل من فناء السرداب والهرم . وقد بنى كل منهما بالحجر من الداخل ثم كسى من الخارج بالحجر الجسرى المطلوب من طره . وزينت الواجهة الجنوبية بأربعة أعمدة متصلة دقيقة الصنع تحمل مع دعائم عريضة على كل من جانبيها افريزا ينحني تبعا لقبو السقف . وفي البناء الواقع في أقصى الناحية البحرية في هذين البنائين حفرت قنوات رأسية في كل من الأعمدة المتصلة والدعائم . وفي البناء القبلى حفرت قنوات مماثلة في الأعمدة ، ولكن الدعائم ذات أضلاع ، أما تيجان الأعمدة المتصلة فانها تشبه ورقتين كبيرتين من أوراق الشجر متدليتين . ولم يعثر على هذا النوع الا في هذه المجموعة الهرمية فقط . وكان بالقرب من أعلى هذه الأعمدة المتصلة ثقبان مربعان ربما كان مثبتا فيهما سوار تحمل بعض الشارات .

ونجد قريبا من وسط الواجهة الجنوبية من كل بناء مدخلا يفضى الى ممر ضيق يؤدي بدوره — بعد لفتين كل منهما زاوية قائمة — هيكل صغير الى صليبي الشكل . وفي جدران هذا الهيكل بنيت ثلاث كوات كانت تستخدم اما لوضع القرايين أو لوضع تماثيل صغيرة ، وكان في الفناء الشمالى كوتان داخلتان في الجدران عند نهاية الممر . اما أحجار أسقف هذه الممرات فقد زخرفت لتحاكي العروق الخشبية التى كانت تسقف بها الأبهاء المماثلة في البيوت المبنية من الخشب واللبن .

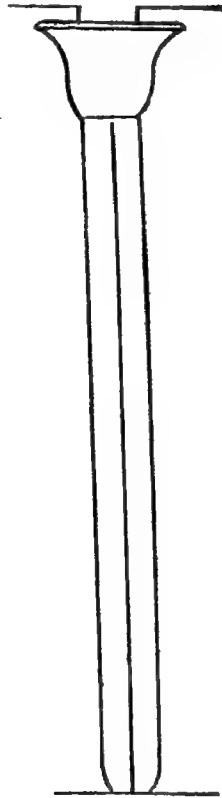
وكان يوجد الى غرب المدخل ، ومختفيا عن الانظار خلف الكساء الحجرى ، ممر آخر يؤدي الى حجرة صغيرة اذا قارناها بالسرداب المقبول فاننا نجد شباها بينهما ، ولهذا يمكننا أن نحكم بأنها كانت تحوى تماثلا .

وكان امام هذين البنائين فناءان مكشوفان ، الجنوبى منهما يزيد كثيرا في حجمه عن الآخر ، وكان يحيط بالفناءين سور نرى في جانبه الشرقى قريبا من ركن كل من البنائين دخلة عريضة في الجدار ، وقد زينت هذه الدخلة في الفناء الشمالى بثلاثة أعمدة متصلة كل منها يمثل ساق وزهرة البردى (شكل ٦) . واحتوت الدخلة في الفناء الجنوبى على عمود واحد متصل فقط ربما كان يمثل نبات اللوتس .

وليس هناك حتى الآن تفسير مقنع للمفروض الأساسى الذى من أجله أقيم هذان البناءان ومدى ما كانا يؤديانه من خدمة لزوسر في حياته القادمة ، فكان هناك من يقول في وقت من الأوقات انهما

كانا قبرين لاثنتين من بناته — انت كا اس (Intkaes) وحتب حرنبتى
 Hetephernebti — اللتين نقش اسماهما على بعض اللوحات التى
 عثر عليها بجوارهما . ولكن الاكتشافات الحديثة فشلت فى العثور على
 أى شيء فى تركيبهما يمت الى الأصول الجنازية بصفة ، ولذا لا بد من
 البحث عن تفسير آخر . ومن الممكن أن يكون فى الرسوم التى فى
 دخلات الفناعين ما يساعدنا على فهم كنهها .

فمن المعروف أن نباتى اللوتس والبردى كانا رمزين لمصر العليا
 والسفلى على التعاقب ، وعلى ذلك فمن الممكن أن يمثل البناء الجنوبى



شكل (٦) - عمود بردى متص

الهيكل الوطنى لمصر العليا فى عصر ما قبل الأسرات الذى كان يوجد فى الكوم الأحمر Hierakonpolis بينما يمثل البناء الشمالى الهيكل المماثل لمصر السفلى فى مدينة بوتو (Buto) . ويدل وجود مذبج على شكل جدوة الحصان فى فناء البناء الجنوبى دلالة قاطعة على أن هذا البناء بنى لغرض دينى وليس لغرض دنيوى .

والى الجنوب من سور البناء الجنوبى نرى فناء مستطيلاً آخر ، جانباه الشرقى والغربى يحويان مجموعة من الهياكل الرمزية بنيت من أحجار متينة (شكل ٣) وأمام كل هيكل منها فناء صغير به ما يحاكي الباب المفتوح ، ويخفى بروز فى وسط جداره الجنوبى كوة غائرة فى قاعدة واجهة الهيكل ، ومن الناحية المعمارية يمكننا القول بأن واجهات عشرة هياكل من الثلاثة عشر هيكلاً فى الجانب الغربى تشبه جداً واجهات البنائين الشمالى والجنوبى . فقد احتوت كل واجهة على ثلاثة أعمدة متصلة زينت بقنوات رأسية وتحمل كورنيشا مقوساً وتتصل أطرافها بدعامات عريضة . وكانت تيجان هذه الأعمدة كما فى البنائين الشمالى والجنوبى مكونة من ورقتين كبيرتين من أوراق الأشجار المتدلّية (شكل ٧) وقطعوا بين الورقتين ثقباً واحداً مستديراً ليثبت به سارية تحمل شارة من الشارات ، ويظهر أن واجهات الهياكل الباقية فى الجانب الغربى وكل الهيكل فى الجانب الشرقى كانت بسيطة خالية من كل زخرف اللهم إلا من خرزة مستديرة من الحجر تظهر فى أعلاها وعلى الجانبين .



شكل (٧) تاج عمود مركب من أوراق شجر متدلّية

وقد أقيم هذا الفناء والمباني المحيطة به لتمد زوسر بما يلزمه ليعيد في حياته بعد الموت الاحتفال بعيده الثلاثيني المعروف عند قدماء المصريين باسم حب سد (Heb. Sed) فقد كان لكل ملك مصرى الحق في أن يحتفل بعيد الحب . سد بعد أن يقضى على العرش عدداً محدداً من السنوات اختلف عددها من عصر الى عصر . وأصل هذا الاحتفال غامض ، ولكن يظهر أنه بقية من الماضي البعيد عندما كان الملوك يحكمون لمدة محدودة فقط قبل أن ينتهوا حياتهم في احتفال خاص . ومن هذه العادة البدائية جاء دون شك الاعتقاد بأنه من الضروري لصالح الملكة بقاء قوة الملك الجسدية دون أن يمتورها نقص ، وبذلك محا عيد الحب سد Heb. Sed ضرورة تنصيب ملك شاب بدلاً من الملك الذى قضى وقتاً طويلاً على العرش ، وذلك بتمكين ذلك الملك من استعادة قوته بفعل السحر . ومن أهم عناصر عيد الحب سد إعادة تنويع الملك .

وفى هذا الاحتفال يدخل موكب يقوده أحد الكهنة الذين يطلق عليهم المصريون اسم « كاهن سم » الى تلك الهياكل المحيطة بفناء الحب سد والتي يجتمع فيها آلهة الأقاليم في الوجه القبلى . وبعد الحصول على موافقة كل اله بتجديد حق الملك في الملك يؤخذ الملك الى أحد العرشين في أقصى الجنوب ويجلسونه على مقعد تحت مظلة لى يتوج بالتاج الأبيض الخاص بالوجه القبلى ، ويعاد الاحتفال من جديد في الهياكل الخاصة بأقاليم الوجه البحرى قبل أن يعطى الملك عرش الشمال ليتسلم التاج الأحمر الخاص بالوجه البحرى ، ويرمز الى اتحاد الملكتين في طقس يتلو ذلك بربط زهرتى اللوتس والبردى حول وتد مثبت في الأرض .

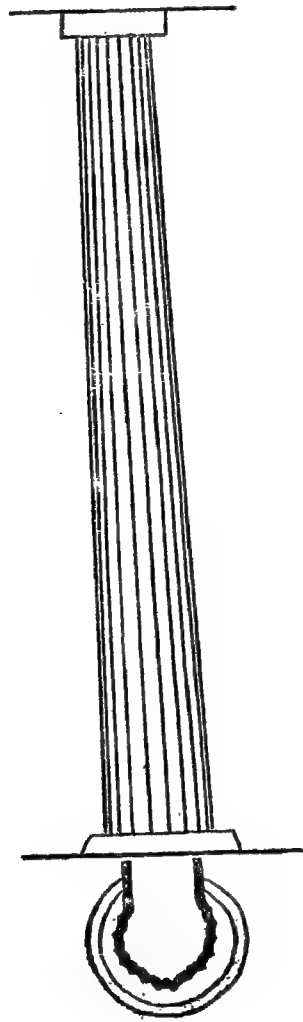
وهناك طقس فى عيد الحب سد غير واضح المعنى تماماً ، فقد كان مفروضاً على الملك أن يجرى مسافة معينة ويديه سوط صغير مصحوباً بكاهن يسمى كاهن أرواح نخن (١) (Nekhen) فعلى أحد النقوش المكتشفة بالهرم المدرج نرى زوسر وهو يقوم بهذا الطقس (لوحة ١٣) ، وربما جاءت فكرته من اعتقاد قديم بأن خصوبة الحقول تتوقف في بعض الحالات على خفة الملك الجثمانية .

(١) كانت (أرواح نخن) ملوكاً في عهد ما قبل التاريخ على الوجه القبلى الذى كانت عاصمته فى نخن (أى هيراكونبوليس) Hierakonpolis ومكانها الآن الكوم الأحمر الى الشمال من أدفو .

وبالإضافة الى الهياكل التى سبق لنا وصفها ، ففى فناء الحب سد بالهرم المدرج فى طرفه الجنوبى نرى قاعدة التتويج ، وفى الهيكلين الثانى والثالث فى الناحية الغربية قريبا من هذا المقعد ، دخلات تصل اليها ببضع درجات ربما كانت توضع عليها تماثيل للملك ، ففى التى فى أقصى الجنوب يوضع تمثاله كملك للوجه القبلى وفى التى فى أقصى الشمال تمثاله كملك للوجه البحرى . وان قرب هذه الدخلات من القاعدة يجعلنا نفترض أن المبانى التى كانت تنتمى اليها كانت تمثل الأكشاك التى يستريح الملك تحتها حتى يقوم الكهنة بعمل الطقوس التى تسبق التتويج .

وهناك ممر يبدأ من الركن الجنوبى الغربى لفناء الحب . سد ويصله بفناء صغير فيه بناء متوسط الحجم ، بنيت حوائطه الخارجية بأحجار غير سميكة خالية من كل زخرف اللهم الا خرزة مستديرة على الواجهة الجنوبية ، وفى داخلها نراها تحتوى على بهو وثلاث قاعات داخلية ومجموعة من الحجرات الجانبية . ويبرز من وسط الجانِب الغربى لدخل الصالة ثلاث حوائط تنتهى اثنتان منها بأعمدة متصلة محلاة بقنوات رأسية (شكل ٨) وربما احتوت الفجوتان المكشوفتان من بروز هذه الجدران على تماثيل ، ولكن لا يمكن التكهن ان كانت هذه التماثيل للملك أو لآلهة ما دام الغرض الأسمى من هذا البناء غير معروف ، ولكن قربه من فناء الحب سد يرجح الظن بأن استعماله كان متعلقا بعيد الحب سد ، وربما كان المكان الذى يقصد اليه الملك لتغيير ملابسه أثناء الاحتفال . ومن جهة أخرى ربما أقيم لأجل القيام بطقس آخر ما زال الغرض منه مجهولا .

ومن بين الأبنية التى يصعب تفسيرها أو معرفة الغرض منها مجموعة الأروقة والحجرات التى تؤدى الى فناء الحب سد فى الركن الجنوبى الشرقى ، فنظراً لعدم وجود أى عناصر معمارية مميزة نلن البعض بأنها هى الأخرى ذات علاقة بعيد الحب سد . وهناك دهليز يربط فناء الحب سد بالطرف الشرقى لبهو الأعمدة ، وهو قريب جداً من بوابة فى السور الخارجى . وهذه البوابة هى المدخل الوحيد لهذه المجموعة من المبانى . وبهو الأعمدة هذا عبارة عن ممر طويل ضيق يتجه نحو الغرب ، على جانبيه مجموعة من الفجوات الناتئة من الجدران التى تبرز على كلا الجانبين (لوحة ٤) وتنتهى هذه الجدران البارزة — وعددها أربعون — بأعمدة متصلة مضلعة ، ويختلف عدد الأضلاع من سبعة عشر الى تسعة عشر ضلعا (شكل



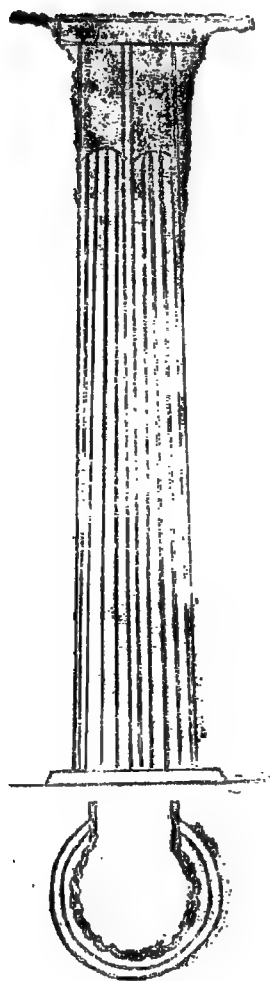
شكل (٨) عود متصل ذو قنوات

٩ . وربما حوت هذه الفجوات فى داخلها تماثيل للملك تمثله التى على الجانب الجنوبى منها ملكا للوجه القبلى ، وتمثله تلك التى على الجانب الشمالى ملكا على الوجه البحرى .

ولما كان عدد هذه الفجوات يتناسب مع الاثنى والأربعين اقليما ، فقد حسب البعض أن كلا منها احتوى على تماثيل مزدوج للملك مع أحد آلهة الأقاليم ، ولكن بالرغم من أن التماثيل من هذا النوع كانت معروفة فى الأسرة الرابعة فإن الحفائر لم تكشف عن وجود أى أثر لمثل هذه التماثيل فى صالة الأعمدة .

وكان البناء كله مغطى بسقف حجرى مسطح فى أعلاه ومنحوت من أسفل ليحاكى كتل الخشب المستديرة ، أما النور فقد كان يأتى من فتحات مائلة فى جوانب الجدران على مقربة من السقف تسمح بدخول أشعة من الضوء ربما قصدوا منها أن تسقط على الزخارف التى كانت تزين الفجوات . وكان يتصل بطرف صالة الأعمدة الغربى دهليز صغير ، حمل سقفه الذى يشبه سقف بهو الأعمدة على ثمانية أعمدة مضلعة ، يوصل بين كل اثنين منها حائط صغير ، وفى الجدار الغربى تقليد فى الحجر لباب مفتوح يؤدى الى فناء مكشوف يحتل كل المساحة من واجهة الهرم الجنوبية الى السور الكبير . وبنيت الجدران الجانبية لهذا الفناء بالحجر الجيرى المنحوت ، وزينت بدخلات . وفى الطرف الشمالى قريبا من الهرم ، نرى مذبحا نصل اليه بمنحدر صاعد . وهناك أيضا بناءان الى الجنوب من المذبح يشبه كل منهما حافر الجواد ، وربما كان الغرض من وجودهما أنهما كانا النهاية التى ينتهى عندهما أحد الطقوس ، ولكن لم يظهر الى الآن ما يساعدنا على معرفة حقيقته .

وفى الركن الجنوبى الغربى من الفناء الجنوبى المتصل بالسور ، مبنى مستطيل أقيم كله من الحجر ، وكسيت حوائطه من الخارج بالحجر الجيرى ، وزينت من أعلى بإفريز من جيات الكوبرا ، ولا يحتوى داخله الا على حجرتين طويلتين تكون الواحدة منهما مع الأخرى زاوية قائمة . وإذا كان هذا البناء غير متصل بالطقوس أو الاحتفالات التى كانت تقام فى الفناء الجنوبى ، فلا بد أنه كان مستخدما كحجرة للقرايين لمصطبة كبيرة كان بناؤها العلوى الذى يجرى محوره من الشرق الى الغرب مختفيا فى مبنى السور الكبير . ويتشابه موقع هذا البناء فى الجانب الشمالى للمصطبة مع المعبد الجنائزى وموقعه من الهرم المدرج .



شكل (٩) عמוד متصل مضلع •

ويتشابه البناء السفلى لهذه المصطبة الجنوبية في كثير من معالمها. مع الهرم المدرج — فقد بنيت حجرة الدفن من كتل من الجرانيت البوردي في قاع البئر العمودي . ويحتوى سقفها المسطح على ثقب (أغلب الظن انه قد سد بكتلة من الجرانيت) يسمح بنزول الجسم . وكان فوق حجرة الدفن مباشرة حجرة أخرى ، القصد منها أن يحتفظ بالسداذة فيها قبل عملية الدفن ، وحمل سقفها كل الرديم الذى ملأ البئر . الا أن المنزلق الجانبى بدلا من أن يؤدى الى هذه الغرفة كنظيره في الهرم المدرج ، فقد زحزح الى الجانب القبلى ليفضى مباشرة الى المرات التى تقع جميعها في الجهة الشرقية من حجرة الدفن . ووجد في أحد الدهاليز ثلاثة مناظر منقوشة ، وكل منها يمثل زوسر أثناء تأديته بعض الطقوس الدينية ، وفي دهليز مواز على مسافة قصيرة الى الغرب من الدهليز الأول ، نقشت ثلاثة أبواب من خلف في واجهة الحائط الجبرى . ووجود هذه الأبواب خلف النقوش تقريبا يجعلنا نظن أن اللوحات المحتوية على النقوش كانت معتبرة كأبواب وهمية ليخرج منها الملك .

وكان بعض جدران هذه الدهاليز مغطى بألواح الفيانس الأزرق . تقليداً لستائر الجدران التى كانت مصنوعة من نبات القصب المائى . (لوحة ٥) .

ومنذ أن ثبت على وجه التحقيق أن زوسر قد دفن تحت الهرم المدرج ، نجد من الصعب تفسير بناء مقبرة ثانية في نفس المجموعة الهرمية ، لها كل المظاهر التى تنبئ بأنها كانت معدة له . ونحن نعرف أن ملوك مصر بنوا في بعض الأحيان أكثر من قبر واحد — فمثلا سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة بنى هرما في ميدوم وآخر في دهشور (١) — كما أن النقوش التى على الأبواب الوهمية في المصطبة الجنوبية دليل قوى على أن زوسر بنى هذا القبر لاستعماله الشخصى ، الا أن حجرة الدفن تبلغ مساحتها ٣ أقدام و ٣ بوصات مربعة فقط ، وهى مساحة لا يمكن أن تتسع لجثة إنسان ذى حجم عادى الا اذا كان مقرغصا ، وهى طريقة من طرق الدفن لا يهتم استخدامها لشخص ملكى في الأسرة الثالثة . وعلى ذلك فاما أن تكون هذه المقبرة مقبرة رمزية بنيت لاستخدامها في التضحية الرمزية بالملك أثناء عيد الحب سدد ، او أنه كان المدفن الفعلى لأحشائه التى استخرجت من الجسم لتساعد في المحافظة عليه .

(١) بنى سنفرو هرمين في دهشور ، ولا يعلم الى الآن على وجه التحقيق باني هرم ميدوم (المغرب) .

فالجدار الخارجى للمبنى الأول ، وهو يواجه البناء الجنوبى ، خان مزينا بدخلات وثنيات تعطيه شكلا يتفق وباقى الجدران فى اساحبين الجنوبية والشرقية لهذا الفناء . اما المبنى الثانى ، وهو أعلى من المبنى الأول ، فقد كان له سقف مقوس يحاكى سقف المصطبة الجنوبية ، وعلى ذلك فربما كان البناء العلوى لصف من القبور لاتباع زوسر ، ولكن نظرا لطبيعة الصخر الهشة تحت هذا المكان لم يتمكن أحد حتى الآن من حفرها حفراً كاملاً . وخلف هذين البنائين يقوم السور الخارجى السميك .

ومن المحتمل أنه لم يتم مطلقا انجاز العمل فى المساحة الواقعة بين المعبد الجنازى والجدار الشمالى للسور ، اذ أن كل معالمها الظاهرة عبارة عن جزء مرتفع من الأرض به ردهات ورصيف تبلغ مساحته ٥٠ قدما مربعا تقريبا ، وهو مرتفع قد سوى فى الصخر . ونراهم قد كسوا ذلك الرصيف من الخارج بالحجر الجبرى ، وهو على خط واحد تقريبا مع المحور الشمالى الجنوبى للهرم ، ومن المحتمل جداً أنه كان مستخدما كمخبر . أما جدار السور الكبير فى هذه الناحية فقد بنى على هيئة حجرات صغيرة تفصلها جدران من الحجر .

ونظراً لأنه لم يعثر أثناء الحفر على أثر لآى شىء قد وضع فى هذه الحجرات ، فمن غير المحتمل أنها استخدمت فى أى وقت من الاوقات لتخزين أى شىء جنازى .

وعلى أى حال ، فتحت حجرات السور كانت هناك حجرات فى المرات السفلية التى احتوت على خبز وفاكهة وبعض مقومات الحياة فى العالم الآخر .

وكان ارتفاع السور المحيط بمجموعة الهرم المدرج ٣٣ قدما تقريبا ، ومحيطه أطول من ميل (شكل ٣) وهو عبارة عن جدار سميك مبنى بالحجر ، وقد كسى جزء من واجهته الداخلية وجميع واجهته الخارجية بأحجار منحوتة من طره . ونرى فى الواجهة الخارجية شرفات كشرفات الحصون ، وهى مستطيلة تبعد كل منها عن الأخرى بمسافة ١٣ قدما ، وكلها بحجم واحد اللهم الا أربعة عشر منها أكبر حجما . وعلى كل من هذه الشرفات الأكبر حجما — والتى فراها فى أماكن مختلفة من السور دون أن يكون لها ترتيب خاص — رسوم لأبواب مغلقة ذات ضلفتين ، مضافية على هذه الشرفات البرجية مظهر

البوابات العظيمة . أما الباب الذى استخدموه فهو بالقرب من الركن الجنوبي للجانب الشرقى ، حيث نجد برجين بينهما ممر ضيق يفضى الى مدخل بهو الاعمدة ، ونراهم رسموا كذلك أبوابا ذات ضلفتين مفتوحتين على الجدران داخل هذين البرجين . وأما واجهة السور الخارجية فقد زينوها كلها بثنيات وزخرفوا نصفها العلوى بمستطيلات صغيرة غائرة ، رتبتم عموديا كل ثمانية منها فى صف . والجدران المحتوية على الدخلات والخرجات فى المقابر المصرية قديمة العهد ، وترجع الى أوائل أيام عصر الأسرات . وليست المصطبة المبنية بالطوب النى ، والتي لا تبعد كثيرا عن الهرم المدرج والتي تنسب الى الملك عحا ، الا مثلا واحدا من كثير من الأمثلة المعروفة ، الا أن السور المحيط بتلك المصطبة لا يحوى دخلات وخرجات ، بل كان مسطحا (شكل ٢) . ووجود الأربع عشرة شرفة والبوابة فى جدار زوسر لم يقصد به مجرد تمثيل لجدار قصره ، بل كان نسخة حجرية من « الجدر البيضاء » المشهورة التى بناها مينا حول منف . ويبدو أن « الجدر البيضاء » كانت مبنية من الطوب اللبن ، ثم غطيت بطبقة رقيقة من الجبس الأبيض .

ولو القينا نظرة عامة على الهرم المدرج ، لوجدنا أننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا انه من أحسن الأعمال المعمارية التى خلفها قدماء المصريين . وقد نظرت اليه الأجيال فى عهد المصريين القدماء أنفسهم نظرة تقدير عظيم ، ولم يقف بهم الأمر عند حد احترامهم لايحوتب بل رفعوه الى مرتبة الأرباب وسجلوا اعجابهم بالهرم وبنائه فى كتابات هيراطيقية على جدرانها دونها المصريون الذين زاروا ذلك الأثر بعد مضي أكثر من ألف سنة على بنائه . فلم يحظ أى هرم آخر من الأهرام المعروفة بمثل هذه المجموعة من المباني العظيمة لتزود الملك بكل ما يحتاج اليه فى الحياة بعد الموت ، وقد اكتفى الملوك الذين حكموا بعد مرور أسرتين بعد الأسرة الثالثة بعمل رسوم منحوتة على الأحجار . ولنضرب لذلك مثلا بالمجموعة الهرمية لساحورع الملك الثانى فى الأسرة الخامسة ، فانها تحوى نقوشا تمثل الحب سد ولكنها لا تحتوى على فناء فيه مبان شيدت خصيصا لاستخدامها فى هذا الاحتفال .

وطالما شك بعض الباحثين فيما اذا كان من الميسور أن يصل المصريون القدماء الى هذه الدرجة العالية من الكمال دون أن يسبقها تطور طويل المدى ، ولكن بالرغم من ذلك فليس هناك أى دليل على أن الحجر قد استعمل فى أى مبنى سابق اللهم الا فى اقامة أجزاء متفرقة فى بعض المصاطب . كما أن الهرم المدرج يحوى كثيرا من

الأدلة على أن البنائين الذين شيّدوه كانت تنقصهم الخبرة في استخدام الحجر للبناء ، فاستخدموا مثلاً أحجاراً صغيرة الحجم يسهل نقلها بدلاً من الأحجار الضخمة التي نراها بعد ذلك في المباني ، وهذا يدل على أن المصريين لم يتقنوا صناعة قطع الأحجار ونقل الأحجار الثقيلة انتقائاً تاماً حتى ذلك العهد . وكذلك الأعمدة المتصلة ، فمن المحتمل أنها لم تصنع حياً في الجبال الفنى ولكنها أقيمت بسبب تشككهم في قوة احتمال العمود المنفرد . وفي الزخارف أيضاً نجد أن الأشكال الزخرفية التي فضلوها كانت منقولة عن الخشب أو البوص أو من مجاني الطوب اللبن غالباً الأشكال الخاصة بالحجر وتناسبه لم تكن قد ظهرت حتى ذلك الوقت .

ولم يكن عظم الحجم والتصميم المعماري هما كل ما جعل هرم زوسر يفوق مقابر أسلافه ، فقد وضع فيه من الأثاث الجنائز شيئاً لم يحاوله أحد من قبل . وبالرغم من تعرض هذا الهرم للنهب والسلب مدة لا تقل عن أربعة آلاف سنة ، فقد ظل محتفظاً بالكثير ، وأمد المكتشفين أثناء الحفائر الحديثة بآلاف من الأواني والأطباق ذات الأشكال الجميلة المصنوعة من المرمر والأردواز Schist والحجر السماقي Porphyry والبرشيا Breccia والبللور الصخري وحجر البريانتين Serpentine وأحجار أخرى كثيرة ، وما زالت كميات هائلة منها ينتظر نقلها من مقابر الأسرة المالكة ، حيث نجدها مكدسة في أكوام تصل من الأرض إلى السقف . ولم يوضع طعام أو أى مادة أخرى داخل هذه الأواني ، وربما كان وجودها في حد ذاته ذا صلة بما يتلوه الكاهن من صيغ سحرية ، إذ كانت تلاوته كافية لتضمن وجود كميات كافية من الأطعمة فيها ، تلك الأطعمة التي كانت الأواني مخصصة لها لتقديمها للملك .

ويكاد يكون مؤكداً أن المباني التي كانت داخل السور قد حوت قبل تدميرها عدداً كبيراً من التماثيل ، ولم يبق سلباً من تلك التماثيل إلا تماثيل زوسر الجالس الذي عثر عليه في السرداب ، وليسكن عثر على أجزاء من تماثيل أخرى أيضاً . وفي الطرف الشمالي من فناء الحب سد نرى قاعدة تماثيل من الحجر الجيري حفر في سطحها العلوى ثمانية أقدام آدمية ، لا بد أنها كانت لجموعة من أربعة تماثيل ربما كانت للملك والملكة واثنين من الأميرات . وعثر في نفس البناء على ثلاثة

تمثال كبير. صنعت من كتله واحدة ، ولكنهم لم يتموا الا نحت واحد منها . وعند النظرة الاولى يخيل الينا ان هذه التماثيل تحاكى بعض أنواع الأعمدة المشكلة بهيئة التماثيل ، ولكن من المستبعد جداً أن تكون صممت كأعمدة مستقلة ، وربما كانت النية متجهة لأقامتها في كوات بالحائط . وقد عثر على قطع من تماثيل أخرى — منها على الأقل تماثيل للهالك — وكانت خارج السور الكبير ، وفي دخلة في الجدار الجنوبي للمدخل ذى الأعمدة . ولم يكن القصد من كل هذه التماثيل الأخرى انى لم يعثر لها على أثر احياء ذكرى الأشخاص الذين تمثلهم ، ولكن لتكون بديلاً من أجسامهم وتستطيع الروح ان تجدها أثناء الطقوس الدينية المختلفة التى تقام داخل الهرم .

ونظراً لأنه لم يعثر الا على تماثيلين ملكيين فقط من العصور السابقة — وكلاهما يمثل سلفاً لزوسر يسمى خع — سخم Khasekhem — فمن المحتمل جداً أنه حدثت في عهد زوسر نهضة كبرى في صناعة التماثيل . واذا فحصنا تماثله الذى كان في السرداب ، وهو يمثل الفن في ذلك العصر ، فاننا نستطيع القول بأن مجموعة التماثيل التى حوتها مجموعة مبائى زوسر كانت على درجة من الاتقان يمكن مقارنتها بأحسن القطع الفنية التى أنتجتها الأسر التالية .

وقبل الحفائر الحديثة لم يكن هناك ما يراه الزائر من آثار زوسر غير الهرم نفسه ، وقد جرد تماماً من كسائه الحجرى الخارجى . وقد عبث بالهرم أيضاً من الداخل ، فكل الرديم الذى كان يملأ البئر وأجزاء من الكتلة المبنية في المنزلق الجانبى بعد الدفن أزيلت بدقة بمعرفة اللصوص ، ولهذا أصبح في استطاعتنا أن نقف على السقف الجرانيتى لحجرة الدفن ، ويمكننا اذا استعنا بضوء مصباح كهربي أن نرى أن نرى الجانب السفلى من أول مدمك من الأحجار التى كانت تغطى فتحة البئر عندما بنيت المصطبة الأولى . وتحت هذه الأحجار أقام اللصوص عند إزالة الرديم الذى يملأ البئر رصيفاً سميكا من الخشب لم يبق منه الآن سوى قليل من القطع . وان بقاء الأحجار معلقة دون استنادها على الرديم أو على الرصيف من غير أن تتداعى وتتهال داخل البئر أمر يكاد يكون من باب المعجزات .

وفى عدا الأوانى الحجرية لم يبق من اثاث مقبرة زوسر شيء يذكر ، ولكنه قد عثر في حجرة الدفن على بقايا من جسم آدمى ، ومع أنه لا يوجد ما يثبت أن هذه البقايا من زوسر نفسه فان طريقة دفن تلك

البقايا تتفق وطريقة الدفن التي كانت متبعة في عصره . وقد تعرض
الأحد عشر قبراً الخاصة بالأسرة الملكية للنهب أيضاً ، ولم يبق منهم
غير التابوتين المرمرين السابق ذكرهما ، وكان أحد التابوتين — الذي
حوى هيكل الطفل — مبطناً بست طبقات من الخشب سمك كل منها
أقل من ربع بوصة ، وقد وضعت بحيث تجرى اليافها في اتجاهات
رأسية وأفقية على التوالي وشدّت الى بعضها بمسامير خشبية
صغيرة ، وقد عثر على بضعة مسامير من الذهب في الطبقة الداخلية
منها تدل على أن ذلك الخشب كان في الأصل مغطى بالذهب .

ومن المستحيل أن نحدد على وجه التحقيق الوقت الذي بدأت
فيه سرقة الهرم المدرج ، والكتابات التي على جدران المبنى الجنوبي
تثبت ان المبنى المحيطة به كانت قائمة في عهد الدولة الحديثة ، ولكن
لا يعنى ذلك أن القبر ذاته لم يسرق ما به من أثاث قيم قبل ذلك الوقت .

وتدلنا نقوش زوسر الثلاثة في الممر الشرقي على أن الوصول الى
حجرات البناء السفلى والأروقة كان ممكناً في العصر الصاوي ، فقد
قسموا كل نقش الى مربعات بخطوط من الحبر لأجل عمل رسم لها
بنسبة معينة .

ونظراً لأننا نعرف عن الصاويين أنهم كانوا يحبون أن تكون
بعض أعمالهم الفنية صورة من مثيلاتها في الدولة القديمة ، فليس ببعيد
أن يكونوا هم الفنانين الذين رسموا هذه الخطوط على نقوش زوسر .
ولكن غيرهم ممن وصلوا الى القبر كانوا مدفوعين بعوامل دنيئة . وقد
استمرت السرقات والنهب دون رادع حتى القرن الحاضر .

وقد قامت مصلحة الآثار تحت اشراف ج. ب. لوير بترميم
جزء كبير من الآثار التي في داخل السور ، كما رمت المدخل ذا الأعمدة
والركن الجنوبي الشرقي من السور الكبير ، وجمعت أحجار عدد من
الأجزاء المتفرقة من المبنى الأخرى .

الفصل الثالث

من الهرم المدرج الى الهرم الكامل

قبل أن يبنى أول هرم هندسى كامل سميت على الأقل أربع مقابر هرمية الشكل زيادة على هرم زوسر .

ونجد اثنتين من هذه المقابر فى زاوية العريان على مسافة اميال قليلة من الجيزة . ويعرف أقدمها عادة باسم الهرم ذى الطبقات ، ويبدو أنه كان مبنيا ليكون هرمًا مدرجًا ، ولكن لم يبق منه الا القليل مما جعل تحديد شكله الاصلى أمراً لا يمكن اثباته . أما الهرم الثانى الذى ربما صمم ليكون هرمًا مدرجًا ، فقد توقف العمل فيه قبل أن يتموا المداميك السفلى من مبناه العلوى ، ولكنهم كانوا قد قطعوا الجزء الاسفل منه فى الصخر وبدأوا فى تشييد حجرة الدفن ، وهى عبارة من بئر مستطيلة طولها ٨٢ قدماً وعرضها ٤٦ قدماً ، قدت فى الصخر الى عمق ٨٥ قدماً تقريباً .

ويتصل بهذا البئر من جانبه الشمالى بمر مكشوف يتدرج صاعداً الى سطح الأرض ، وقد فى جزء من طول أرضية هذا الممر الصخرية سلمان يفصلهما منزلق عريض ، وعلى الجانبين منزلقان متشابهان ، وقد أنزلوا بالحبال الى أسفل هذه المنزلقات أحجار الأساس الكبيرة الموضوعة فى قاع البئر ، وكذلك أحجار الجرانيت المجلوبة من اسوان والتي بنى بها جزء من حجرة الدفن ، وبمثل هذه الطريقة أنزلوا أيضاً الى قاع البئر تابوتا جرانيتيا بوضاوى الشكل .

وعلى بعض أحجار هذا الهرم — ويسمى « الهرم الناقص » — اسم الفرعون نب كا Neb Ka كتبها عليها رجال المحاجر . وحيث أن طريقة بناء المبنى السفلى تشابه أعمال الأسرة الثالثة ، فقد ظن أن هذا القبر أقيم للملك نب كا (أو نب كا رع Neb-Ke-Ra) الذى ينتمى الى تلك الأسرة ، ولكن لم يعرف عنه شئ سوى اسمه .

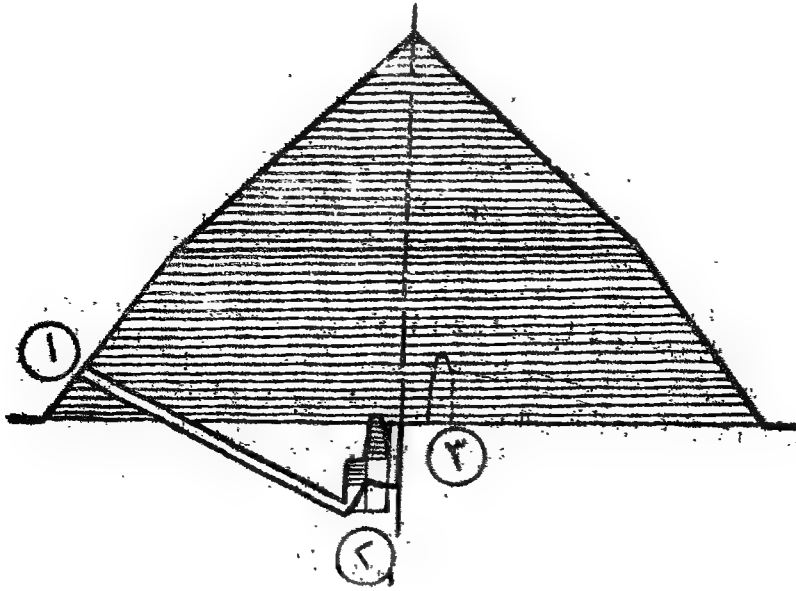
ولسنا نعرف أيضا بانى الهرم ذى الطبقات ، وقد عثر على بعض الاوانى فى مصطبة قريبة منه وعليها اسم الملك خع — باو (Kha-Bau) وهذا هو السبب فى محاولة نسبة هذا الهرم اليه ، وحاول العالم الأثرى الأمريكى ج. أ. ريزنر (G. A. Reisner) — الذى قام بعمل أبحاث وحفائر واسعة النطاق فى منطقة هذين الهرمين بعد بضعة سنوات من اكتشافها أولا بمعركة الكسندر بارسانتى (Alexandre Barsanti) — أن ينسب الهرم ذا الطبقات الى الأسرة الثانية ، فإذا صحت نظريته هذه فإنه يترتب عليها أن زوسر لم يكن أول ملك بنى قبره كله من الحجر ، ولكن الدليل الذى يقوم على الطراز فقط لا يمكن أن نعتبره دليلا قاطعا .

وبنى الهرم التالى فى دهشور ، ومع أنه صمم على أنه هرم كامل لا أنه لم يتم على هذا الشكل ، وغيروا فجأة زاوية الميل عند نقطة تعلو قليلا عن منتصفه « الشكلان ١٠ و ١١ » ولذلك سمي باسماء مختلفة ، منها الهرم المنحنى (Bent) والهرم الكذاب (False) والهرم المتبجح (Rhomboidal) والهرم الكليل (Blunted) وزاوية الميل فى جزئه الأسفل ١٤° ٥٤ ، ولكن بعد الوصول الى نقطة معينة تتغير الزاوية فتصبح ٥٩° ٤٢ ، وتستمر كذلك الى القمة ، فإذا لم يكن تغيير الزاوية شيئا مقصودا منذ البداية ، فإن التفسير الوحيد لهذا التغيير هو الذى فكر فيه لأول مرة السير جاردنر وليكنسن (Sir J. Gardner Wilkenson) منذ أكثر من قرن ، وهو أنهم أرادوا أن ينتهوا من تشييد الهرم على وجه السرعة ، ولهذا أنقصوا ارتفاعه ، وأيد ج. برنج (G. Perring) هذه النظرية عندما فحص البناء العلوى فى سنة ١٨٢٧ ولاحظ أن أحجار الجزء الأعلى منه بنيت بعناية تقل عما تحتها .

وقد بنى الهرم المنحنى على مساحة مربعة من الأرض ، طول ضلعها من أسفل ٦٢٠ قدما تقريبا وارتفاعه العمودى عند اتمامه كان حوالى ٣٢٠ قدما ، وتواجه أضلاعه الجهات الأربع الأصلية تقريبا . ولكن سير فلندرز بترى (Sir Flinders Petrie) حين قام بعمل مقاساته فى سنة ١٨٨٧ وجد أن الخطأ فى مطابقته للشمال والجنوب الحقيقيين أكبر من الخطأ فى الهرم الأكبر أو هرم خفرع بالجيزة . وكسوته الخارجية تعد من خير ما وصل إلينا بين الأهرام القائمة حتى الآن ، إذ لم يبق هرم من الأهرام الأخرى محتفظا بكثير من كسوته الخارجية المجلوبة من حجر طره الجبرى . وربما كان السبب فى وجود هذا

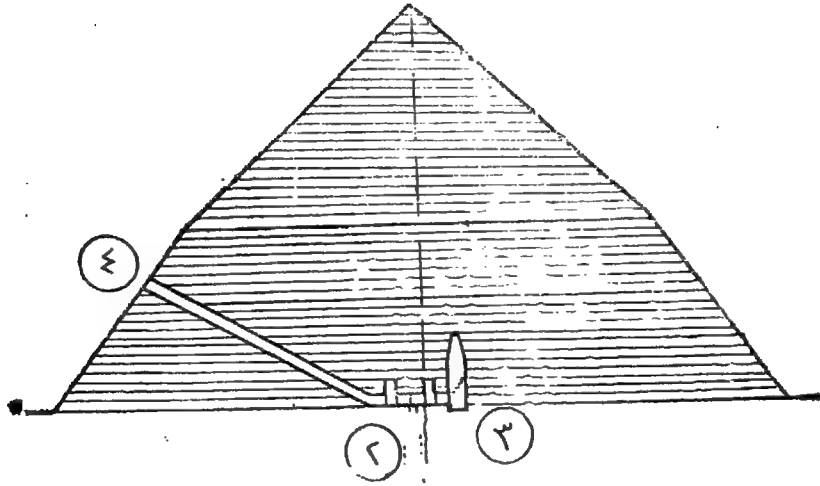
الكساء راجعا الى دقة العمل في تشييد هذا الكساء ، فلم توضع
احجاره أفقية ولكنها كانت — مثل كساء الهرم المدرج — تميل الى
الداخل ، وبذلك تزيد من متانة البناء .

وهذه الطريقة — طريقة وضع كتل حجرية مستطيلة — كان
لها فضل تقليل المجهود الذى كانوا يبذلونه في تهذيب سطوح الاحجار



شكل (١٠) الهرم المنحنى . قطاع في اتجاه الناحية الشرقية

لتكون زاويتها مثل زاوية ميل الهرم . والهرم المنحنى فريد في ترتيبه
الداخلي بين الاهرام ، اذ له مخططان مختلفان (الشكلان ١٠ و ١١ —
١ و ٤) .



شكل (١١) الهرم المنحني . قطاع في اتجاه الناحية الشمالية

ويفضى المدخل الذي في وسط الواجهة الشمالية تقريبا الى ممر ضيق ذي سقف منخفض ، ينحدر انحدارا كبيرا أولا في بناء الهرم نفسه ثم في الأرض الصخرية (شكل ١٠ - ١) ، وعلى مسافة تبلغ ٢٥٧ قدما من المدخل يصبح هذا الممر أفقيا لمسافة قدمين وثماني بوصات ، ثم يرتفع سقف متداخل الى علو ٤١ قدما تقريبا ، ويكون بذلك دهليزا ضيقا عاليا . ونجد بعد ذلك الحجرة السفلى وهي تنقسم الى حجرتين ، وأبعادها ٢٠ قدما و ٦ بوصات من الشرق الى الغرب ، و ١٦ قدما وبوستان من الشمال الى الجنوب ، وأرتفاعها نحو ٨٠ قدما (شكل ١٠ - ٢) . وأهم ما في هذه الحجرة سقفها المتداخل الذي صنع بابرار الخمسة عشر ممكا العلوية بضع بوصات في كل من جدرانها الأربعة المبنية بالحجر الجيري ، فإذا وصلت الى أعلاها أصبح عرض السقف قدما واحداً . وفي الجدار الجنوبي لهذه الحجرة وفي مواجهة المدخل يوجد ممر طوله ١٠ أقدام يفضى الى قاعدة بئر أصم أرتفاعه العمودي ٤٢ قدما وست بوصات . ويعلو الممر الأول ممر آخر يبدأ في سقف الحجرة وينتهي في نقطة مرتفعة من البئر . وبنيت أرضية الحجرة الى ارتفاع بضعة أقدام بكل صغيرة من الحجر نزع بعضها فيما بعد وكوم في الدهليز .

وهناك ممر ثان يبدأ عند نقطة قريبة من وسط الواجهة الغربية للهرم يفضى الى الحجرة العلوية (شكل ١١ - ٤) وهذه هي الحالة الوحيدة المعروفة في الدولة القديمة لمثل هذا الممر الذي يسير في ناحية

أخرى غير ناحية الشمال ، وبعد أن ينحدر في بنيان الهرم الى مسافة ٢٢٢ قدما يصل الى مستوى الأرض ويستمر أفقيا مسافة ٦٦ قدما حتى يبلغ الحجرة (شكل ١٠ و ١١ - ٣) . ولم تبين هذه الحجرة فوق الحجرة الأخرى المتصلة بالمر الشمالى ، ولكنها تقع الى الجنوب الشرقى منها ولها سقف متداخل ، وبنيت أرضيتها مثل أرضية الحجرة السفلى الى علو بضعة اقدام بمداميك من كتل الأحجار الصغيرة .

ولا يمكن الدخول الى الحجرة العلوية عن طريق المر الغربى الذى ظل منذ استخدامه عند الدفن مقفلا بكتل من الأحجار ، بينما سد مدخله بكساء الهرم الخارجى (١) . والطريق الوحيد للوصول اليها خلال مر منحوت بغير انتظام يبدأ من ثقب فى الجانب الجنوبى من سقف الحجرة السفلية ، وينتهى عند نقطة فى الجزء الأبقى من المر العلوى ، وعلى ذلك فمن الصعب الوصول اليها الا بالاستعانة بسلم طويل لا يمكن اقامته الآن (٢) . ويصف برنج (Perring) الذى تمكن من الصعود بصعوبة ، السقاطتين الحجريتين اللتين رآهما فى المر العلوى ، وضعت كل منهما على جانبى المر الواصل من الحجرة السفلية (٣) . ولم تصنع هاتان السدادتان بالطريقة المعتادة لكى تنزلا عموديا ، ولكن صممتا لكى تنزلتا أفقيا من فجوات فى الحوائط الجانبية . ولكن السقاطة الخارجية من بين الاثنتين هى التى أسقطوها ، أما السقاطة القريبة من الحجرة فما زالت باقية فى فجوتها . ومنذ أن أغلقت السقاطة جبس عليها من كلا جانبيها الداخلى والخارجى . وانتهى برنج (Perring) الى نتيجة منطقية جدا ، وهى أن السدادة لابد وانها أغلقت وقت أن كان المر الموصل الى الحجرة السفلية مفتوحا ، والا سجن العمال الذين وضعوا الجبس داخل الهرم ، وكانت ملاحظات برنج صحيحة ، ويظهر أن بناء المر الموصل بين الحجرتين يرجع تاريخه على الأقل الى وقت الدفن ، ولم يكن من صنع اللصوص المحدثين كما يظن لأول وهلة لعدم انتظامه ورداء صنعه . ولم يكن هو المثل الأول لمثل هذه الممرات التى نقتب فى سرعة فى بناء الهرم ، ففى الهرم الأكبر نجد له شبيها سنقوم بوصفه فى الفصل القادم . وباستثناء بعض جبال ومقاطف قديمة من تاريخ غير معروف قال برنج أنه وجدها فى أحد الممرات ، فانه لم يعثر على أشياء أو أثاث جنازى داخل الهرم المنحنى،

(١) قام الدكتور أحمد فخري بفتح هذا الممر فى سنة ١٩٥٢ - (العرب) .

(٢) أمكن عمل هذا السلم فى أيام المرحوم عبد السلام حسين من رجال مصلحة

الأثار سنة ١٩٤٩ - (العرب) .

(٣) Vyse and Perring, The Pyramids of Gizeh, Vol. III, p. 67.

وليس من السهل أن نحدد في أى الحجرتين وضع التابوت . وقد حاول البعض أن ينسب هذا الهرم إلى حوني (Huni) آخر ملوك الأسرة الثالثة الذى حكم أربعاً وعشرين سنة كما جاء فى بعض المصادر المتأخرة (١)، فإذا صحت هذه النسبة فتصبح الأسقف المتداخلة فى حجراته أقدم الأمثلة الحجرية لهذا النوع من التسقيف ، علماً بأن هذه الطريقة فى البناء كانت مستخدمة فى البناء بالطوب فى مصاطب الأسرة الثانية .

ولم يبق فوق الأرض الا آثار نادرة من المباني كانت يوماً تكمل المجموعة الهرمية للهرم المنحنى ، ولن نعرف الا القليل من التفاصيل الهندسية حتى يتم كشف هذه المجموعة (٢) ، الا أن بعضاً من معالمها الأساسية عرفناه منذ عهد قريب من أبحاث جوستاف جيكييه Gustave Jequier عالم الآثار السويسرى الذى قام بفحص المنطقة على حساب مصلحة الآثار .

وعلى مسافة نحو ٦٠ ياردة من الجهة الجنوبية من هذا الهرم يوجد هرم ثان أصغر منه حجاً تغطى الرمال الآن جزءاً كبيراً من مبناه العلوى المهدم ، ولهذا فليس من السهل أن نقطع إذا كان هرمًا حقيقياً . ويحتوى هذا الهرم فى داخله على ممر منحدر ، ثم طريقة أفقية تنتهى بسقطة ، وطريقة أخرى صاعدة تفضى من جهة الغرب الى حجرة صغيرة ذات سقف متداخل . وهناك عدد من هذه الأهرام الإضافية نراه داخل السور الكبير الذى يحيط بالهرم . وكان رأى السائد أنها بنيت للملكات ، وربما استعمل بعضها حقيقة لأجل هذا الغرض ، ولكن البعض الآخر لم يستعمل كمقابر أبداً .

ويتكون السور الكبير المستطيل الذى يدور حول الهرم من جدارين يبعدان عن بعضهما بضع أقدام (٣) . ومن المحتمل أنه كان بين الجدار الداخلى للسور والواجهة الشرقية للهرم معبد جنازى صغير ، ولكن لا يظهر منه أى أثر (٤) . وعند الركن الشرقى للجدار الخارجى الشمالى يبدأ الطريق الجنازى الذى ينحنى انحناءً واسعة عند اتصاله

(١) ثبتت الآن نسبة هذا الهرم للملك سنفرو - (المحرر) .

(٢) قام الدكتور أحمد فخري بالكشف عن هذه المجموعة فى الفترة من ١٩٥١ - ١٩٥٥ .
المحرر .

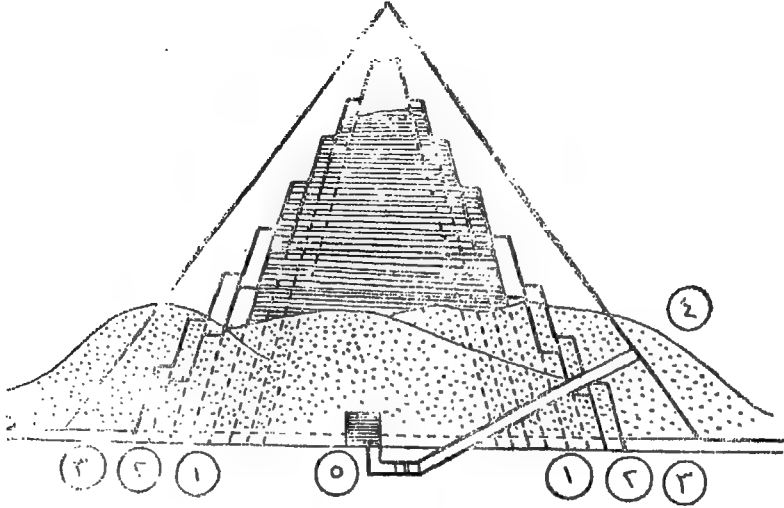
(٣) حقق الدكتور أحمد فخري هذه النقطة فوجد أن السطور عبارة عن جدار واحد فقط . (المحرر) .

(٤) كشف الدكتور أحمد فخري عن هذا المعبد فى عام ١٩٥١ - (المحرر) .

بالسور من جهة الشرق نحو الوادى . ويبدأ أعلى الطريق الجنازى .
بممر حدد جانباؤه بحدارين من الحجر ، وهو يصل السور بمبنى أقيم
على حافة الوادى لم يكتشف شيء منه حتى الآن (١) .

وإذا صح تأريخ الهرم المنحنى فإنه يصبح أقدم مثل لما أصبح
بعد ذلك ، المثل الذى احتذاه الجميع فى بنائهم للمجموعات الهرمية .
ففى تلك المجموعات كان الهرم المقام على أرض مرتفعة داخل سور
والمعبد الجنازى ، والطريق الجنازى المنحدر ، والمبنى المقام على
الحدود الغربية للأراضى المنزرعة — والذى يطلق عليه عادة التسمية
الخاطئة الى حد ما : « معبد الوادى » أو « البوابة » — كانت كلها
تكون العناصر الأساسية للمجموعة الهرمية . وكانوا يحفرون قناة
من النهر الى معبد الوادى ، لكى تمكن المراكب القادمة لأغراض
جنازية من الوصول الى المجموعة الهرمية بدلا من عمل رحلة طويلة
فى البر .

وآخر الأهرام السابقة للهرم الكامل بنى فى ميدوم Meidum
وهى الى الجنوب من دهشور بمسافة ثمانية وعشرين ميلا تقريبا . وقد
أصاب الكثير من الضرر ببناءه العلوى الذى ما زالت الرمال تغطى نحو
ثلث ارتفاعه لدرجة تجعله أشبه ببرج مستطيل مرتفع أكثر مما يشبه
الهرم (لوحة ١٦) ، ولم يكن هذا الشكل عرضيا بالمرة ولكنه يرجع
جزئيا الى طريقة بنائه اذ أصبحنا نعرف معالنه الأساسية بفضل
حفائر السير فلندرز بترى Sir Flinders Petrie فى سنة ١٨٩١



شكل (١٢) : هرم ميدوم . قطاع فى اتجاه الناحية الغربية

(١) اكتشف هذا المعبد الدكتور أحمد فخري سنة ١٩٥٢ م - (العرب) .

وما تلاها من تحقيقات علمية قام بها في أوقات مختلفة ج. ١٠. وينريت
G. A. Wainwright. ولدفيج بورخسارت Ludwig Borchardt
والن رو Alan Rowe أضافت كثيراً من المعلومات الهامة الى
اكتشافات بنرى .

وقد مر على هرم ميدوم كثير من التغييرات مثل هرم زوسر قبل
أن يبلغ شكله النهائي ، فلربما بدا كمصطبة أو كهرم مدرج صغير يخفى
بناؤه العلوى فى صلب البناء الحالى ، ولهذا لا يمكننا الآن أن نعرف
حقيقته على وجه التاكيد . وقد عثر أثناء الحفائر على بعض أحجار
رسم عليها عمال المحاجر صوراً تمثل أهراماً ذات درجتين أو ثلاثاً
أو أرباعاً . وربما كانت هذه الرسوم تمثل الزيادات المتعاقبة التى طرأت
على التصميم الأسمى .

وأول شكل تحقق اثباته هو أن البناء العلوى هرم ذو سبع درجات
(شكل ١٢ - ١) ، وقد توصلوا الى ذلك بزيادة ارتفاع المبنى الأقدم
وعمل البناء الذى يشبه البرج ، وبعد أن تم ذلك أصبح هذا البناء قلب
الهرم والدرجة العليا من الهرم نفسه ، وبنوا بعد ذلك ست كسوات
سميكة من البناء ، كانت كل منها تقل فى الارتفاع عن التى قبلها ابتداء
من الوسط ، وكانت تبنى كل منها فى الجهات الأربع ، وأصبح الجزء
العلوى من كل منها الجزء العلوى لكل من الدرجات الست الأخرى ،
وكانت كل من هذه الكسوات تميل الى الداخل بزاوية ٧٥° تقريباً .
وبنيت كلها بأحجار محلية ثم غطيت من أعلى الى أسفل بأحجار جيرية
من طره ، ولم تربط تلك الأحجار ببعضها البعض ولكنها اعتدت فى
التصاقها على زاوية الميل ، ولم يعنوا بتسوية سطح الأحجار اللهم
الا تلك الأجزاء من الكسوة التى تغطى الدرجات ، وتركوا الباقي على
خشونته .

وعندما تم بناء الهرم ذى السبع درجات أجريت إضافة كبيرة على
البناء العلوى ، فرفعت القمة نحو ٤٥ قدماً وزادت كل درجة نليها
الى مستوى أعلى من الدرجة التى فوقها فى التصميم السابق ، وأضيفت
درجة جديدة الى القاعدة (شكل ١٢ - ٢) ولم يستخدموا فى تلك
الزيادة الا احجاراً محلية غطيت بالحجر الجيرى من طره ، ولم يسووا
منه غير سطحه الظاهر .

والجزء الظاهر من البناء العلوى الآن عبارة عن أجزاء من
اندرجتين الثالثة والرابعة من الهرم ذى السبع درجات ، وجميع الدرجتين
الخامسة والسادسة من الهرم ذى الثمانى درجات وجزء بسيط من
الدرجة السابعة (شكل ١٢ - المظلل بخطوط) . ولو أن أحجار الكسوة

التي بنيت حول النواة قد ربطت مع بعضها لاتخذ البناء العلوى المتخرب بدون شك مظهرا مختلفا عما هو عليه ، ولأصبح من المستحيل عندما تعرض للهدم أن يتمكن من أخذوا أحجاره من تعرية جوانبه طبقة بعد أخرى ، بل لأصبح الهرم على الأرجح كومة من الأحجار لا شكل لها .

ولم يقدر لهذا الهرم أن يبقى كهرم مدرج ، بالرغم من أنهم قصدوا من تصميم كل من الهرم ذى السبع درجات والهرم ذى الثمانى درجات أن يكون تصميمها نهائيا .

ولأسباب لا يمكن توضيحها الآن ملئت الدرجات بالأحجار المحلية ، ثم غطى كل البناء بواجهة ناعمة من الحجر الجيرى المجلوب من طره ، وبهذه الطريقة تحول الأثر إلى هرم هندسى كامل (شكل ١٢ - ٣) ولا تزال أجزاء أصلية من النصف الأسفل من الشكل النهائى سليمة ولكنها مغطاة الآن بكميات هائلة من الرمال .

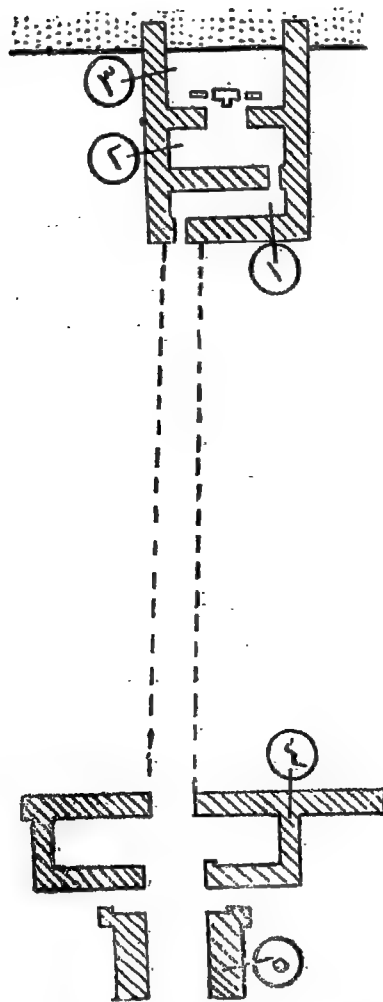
وكان مدخل الهرم فى جميع مراحل زيادته فى الواجهة الشمالية (شكل ١٢ - ٤) ، ويبدأ المدخل عند نقطة من آخر كسوة خارجية تقع قليلا فوق الدرجة السفلى من التصميم السابق للتصميم النهائى ، ويبدأ المدخل بممر ينحدر إلى أسفل بزاوية ٢٨° تقريبا أولا فى بناء الهرم ثم بعد ذلك فى أعماق الصخر . وعلى بعد ١٩٠ قدما تقريبا من المدخل ينقطع الانحدار ويستمر الممر أفقيا مسافة ٣١ قدما ، وبالقرب من قاع المنحدر توجد فى الأرضية حفرة لا يعلم الغرض منها . وربما كان هناك عند نهاية المنحدر باب خشبى ثبت أطاره (حلقه) داخل الخطوط المحفورة فى الجدران وسقف وأرضية الممر . وجوفت دختان عرض كل منهما ٨٥ قدم تقريبا وعمقها ٤ أقدام فى جانبي الجزء المستوى من الممر ، الأولى فى الشرق والثانية فى الغرب . والسبب فى وجود هاتين الدخلتين أيضا غير واضح ، ولكن من المعقول أن يكون استخدامهما أثناء تشييد الهرم لتخزين بعض الكتل الجيرية التى تبلغ ضخامتها درجة يصعب معها إنزالها فى الممر بعد الدفن . ومساحة هاتين الدخلتين كافية للمساعدة فى تحريك الأحجار الكبيرة ، وقد أصبحت هذه المساحة فارغة الآن عندما نقلوها لوضعها فى أمكتها فى البناء . وربما استعملت فعلا بعض كتل الحجر الجيرى التى وجدت فى الدخلات لهذا الغرض .

ومثل هذه الطريقة فى سد الممرات الموصلة لحجرة الدفن لم تكن إلا طريقة مبسطة لطريقة السقاطات الجانبية التى وجدت فى الممر الغربى فى الهرم المنحنى .

وفى نهاية المر نجد بئراً عمودية تتجه الى اعلى مخترقة ارضية
حجرة الدفن فى ركنها الشمالى الشرقى (شكل ١٢ - ٥) ، ونجد جزءاً
من هذه الحجرة فى الطبقة السفلية الصخرية والجزء الآخر فى قلب
البناء العلوى للهرم ومقاسها ١٩ر٥ قدماً من الشمال الى الجنوب ،
و ٨ر٥ قدماً من الشرق الى الغرب ، وكلها من الحجر الجيرى ، ويركب
سقفها من طبقات مركبة فوق بعضها على شكل سقف متداخل .
ورصفت الأرضية أيضاً بكتل من الحجر الجيرى نزع بعضها الآن من
مكانه ، وفى جدارها الجنوبى ثقب أحدثه اللصوص وقت البحث عن
الكنز الذى اعتقدوا أنه مخبأ هناك .

ونجد فى كل من البئر والحجرة كتلاً من الخشب التى ربما استعملت
فى أغراض البناء أو كانت لازمة لنقل المعدات الجنائزية الثقيلة مثل
التابوت الحجرى . الا أن سير جاستون ماسبرو Sir Guston Maspero
الذى دخله سنة ١٨٨١ كأول عالم أثرى فى العصر الحاضر لم يجد أثراً
لهذا التابوت .

ونرى المبانى الملحقة بهذا الهرم تشبه مثيلاتها فى مبانى المجموعة
الهرمية للهرم المنحنى . فقد كان يحيط بالهرم أرضية عريضة من طبقة
طينية رقيقة داخل سور من الحجر ، وهناك هرم اضافى بين ذلك
السور والواجهة الجنوبية للهرم ، ولم يبق الآن من ذلك الهرم
الا بضعة أحجار فوق الجزء الذى يقع تحت الأرض منه .
وكان السور يضم فى الناحية الشمالية منه مصطبة ضخمة - وعذا
أمر غير عادى فى مثل هذا المكان - وقد اختفت عن آخرها . وفى
وسط الواجهة الشرقية من الهرم ، معبد جنازى بنى كله من حجر
طره الجيرى ، وما زال قائماً كاملاً حتى الآن ، وهو بناء بسيط جداً
ولا تزيد مساحته عن ٣٤ قدماً مربعاً ، وأقصى ارتفاعه ٩ أقدام ، ويقع
مدخله فى الركن الجنوبى من حائطه الأمامى ويفضى الى ممر يكون
زاوية قائمة مع المدخل (شكل ١٣ - ١) . وهناك غرفة واحدة
موازية للممر (شكل ١٣ - ٢) ثم فناء مكشوف أمام الهرم مباشرة ،
ولم تزين جدران المر أو الحجرة بأى نوع من النقوش ، ولم يكن لكليهما
أبوة فتحة يدخل منها الضوء سوى الباب . وفى وسط الفناء فى مواجهة
البناء المؤدى الى الحجرة يوجد مذبح منخفض أعد لوضع قرابين
الطعام والشراب للملك المتوفى (شكل ١٣ - ٣) ، وترتفع لوحتان
طويلتان كل منهما قطعة واحدة من الحجر الجيرى ذات قمة مستديرة
فوق قاعدتين مستطيلتين من الحجر نفسه ، وتقوم كل منهما على جانب



شكل ١٣ - المعبد الجنائزى لهرم ميدوم

من جانبى المذبح . ومع أنه لم تنقش أية كتابة على هاتين اللوحتين ، إلا أنه واضح من شكلهما أنها على شكل لوحتين جنازيتين ربما أعدنا لتكتب عليهما أسماء الملك والقباه . واحد الصيغ التقليدية التى تعده بأن يكون له ما يريد فى الحياة الأخرى ، ولا بد أن عدم وجود مثل هذه الكتابة وترك الأحجار المكونة للمدمك السفلى لجدران المعبد دون تسوية يجعلنا نميل الى الظن بأن هذا المعبد لم ينته العمل فيه . وهذا التفسير أيضا ربما ينطبق على عدم وجود الباب الوهمى الذى كان من المعتاد اقامته أمام الواجهة الشرقية للهرم ، لكى يسمح بخروج الملك من قبره ليتلقى نصيبه من القرابين الموضوعة فوق المذبح .

ولما كان من الطبيعى وضع الأحجار اللازمة لمثل هذا الباب داخل الفناء قبل أن تنام الجدران ، فيمكننا تقديم تفسير آخر أكثر احتمالا وهو أن ذلك الباب الوهمى كان من أحجار الجرانيت ، وهى أعلى قيمة من الحجر الجيرى . ولهذا أخذها من مكانها من اعتدوا على هذا المعبد دون أن يتركوا أثرا لها .

أما المسافة بين المعبد الجنازى والجدار الشرقى للسور (شكل ١٣ - ٤) فتبلغ ٨٠ قدماً ، وقد غطوها كلها بطبقة من الطين . وعند نقطة فى السور تكاد تكون مواجهة لدخل المعبد ، نرى فتحة تؤدي الى الطريق الجنازى الذى يصل منطقة الهرم بمبنى يقع عند حافة الوادى كما هو الحال فى مجموعة الهرم المنحنى . والشئ الوحيد الباقى الآن من الطريق الجنازى انخفاض غير عميق مازال واضحاً ، وقد أثبتت الحفائر أن طوله عند تشييده كان ٢٣٥ ياردة ، أما أرضيته فكانت مرصوفة بالطين الذى وضعوه فوق طبقة عرضها ١٠ أقدام قادت فى الأرض الصخرية ، ويحفها من كلا الجانبين جدار من الحجر ارتفاعه سبعة أقدام ، ينقص سمكه من خمسة أقدام عند القاعدة الى أربعة أقدام عند القمة (شكل ١٣ - ٥) . وكانت الفتحة الوحيدة فى هذين الجدارين قريبة من نهاية الطريق عند نهايته العليا ، حيث نرى بايين يؤديان الى الطريق الجنازى من الجانبين . وعند ملتقى الطريق الصاعد بالسور الخارجى للهرم ، نرى دخلتين عميقتين ربما كان فى كل منهما تمثال للملك : الجنوبي منها يمثل ملكا للوجه القبلى ، والشمالى منها يمثل ملكا على الوجه البحرى ، ولكنه من المحتمل أيضا أن يكونا لأجل القيام ببعض الطقوس اثناء الاحتفال الجنازى . وعند نهاية الطريق الجنازى وعلى مقربة من المكان الذى يتصل فيه بمبنى الوادى ، كان يوجد باب ذو ضلعتين كان عقباه يدوران فى حفرتين فى الأرض

الصخرية تحت الأرضية المرصوفة بالطين . ومن الصعب أن نفسر سبب وجود باب في مثل هذا المكان ، ولكن يمكن التكهن بأن المقصود منه منع أولئك الذين لم تكن وظائفهم تسمح لهم بأن يتجاوزوا مبنى الوادى .

وقد أثبتت الحفائر التى قام بها الأثريون حتى الآن فى مبنى الوادى أنها غير مجدية ، نظراً لطبيعة الأرض الرخوة بسبب ارتفاع مستوى مياه النيل عما كانت فى الأيام التى بنيت فيها هذه المجموعة ، وتوحى بساطة المعبد الجنائزى ومقاييسه أن مبنى الوادى كان بسيطاً أيضاً .

ولم يعثر فى ميدوم على كتابات معاصرة تعطى اسم بانى هذا الهرم . ولكن يوجد عدد من الكتابات فى ممر وحجرة المعبد الجنائزى كتبها الزائرون دون عناية على جدران ذلك المعبد فى الأسرة الثامنة عشرة ، ونفهم منها أنهم كانوا يعتبرون الهرم فى ذلك الوقت من عمل سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة ، وها هى ترجمة إحدى الكتابات : « فى اليوم الثانى عشر من الشهر الرابع من شهر الصيف فى السنة الواحدة والأربعين من حكم تحوتمس الثالث أتى الكاتب . عاخير رع ستب بن آمون مسو (Amen Mesu) الكاتب وكاهن الملك المتوفى تحوتمس الأول] ليرى المعبد الجميل للملك سنفرو ، فوجده كما لو أن السماء كانت مستقرة فيه والشمس تشرق فيه ، فقال : ليت السماء تمطر مرا طازجاً ، وليتها تسقط بخوراً على سقف معبد الملك سنفرو » . وذكرت إحدى الكتابات الأخرى فى المعبد ، ويرجع تاريخها إلى الأسرة السادسة ، اسم سنفرو ولكنها لم تقرر صراحة أن المعبد خاص به . وتكفى الكتابات التى على الجدران وحدها لتكون دليلاً كافياً على نسبة هرم ميدوم إلى سنفرو إذا لم يكن له هرم آخر منسوب إليه(*) ، ولكننا نعلم أنه يوجد هرم فى دهشور وعلى مقربة منه مصاطب اكتشفها ج. دى مورجان J. De Morgan فى عام ١٨٩٤ - ٩٥ ، وهذه المصاطب ليست خاصة بأفراد عائلة سنفرو وموظفيه ، بل بينها مصاطب لكهنة كانوا يقومون بعملهم فى معبده الجنائزى ، ومثل هذه المصاطب توجد عادة قريبة من قبر الملك الذى ينتمون إليه أو يعملون فى خدمته .

ولهذا يتحتم علينا أن نعتبر ذلك الهرم قبراً للملك سنفرو ، ولحسن الحظ أن المسألة أسهل مما تبدو ، لأن نقوشاً من عصر الدولة القديمة تثبت أن سنفرو بنى فعلاً هرمين سمى أحدهما الهرم الجنوبى ، وبين هذه النقوش مرسوم صدر من الملك بيبى الأول من الأسرة السادسة

(*) ثبتت الآن نسبة هرم ميدوم إلى حوى آخر ملوك الأسرة الثالثة . ويبدو أنه قد توفى قبل أن يكتمل ، فأكمل له خليفته - (المحرر) .

يعنى سكان مدينتى هرمى سنفرو من التزامات معينة . وقد تمكن « بورخارت » من تعيين المكان الذى عثر فيه على ذلك المرسوم بأنه كان قريبا من هرم دهشور ، وهذا دليل واضح على أن دهشور كانت احدى مدينتى هرم سنفرو ، وربما عرفنا معلومات أوفى عند الكشف عن المجموعة الهرمية . وبالرغم من أننا لا نملك اثباتا على أن هرم ميدوم هو الهرم الجنوبي ، الا أن موقعه الجغرافى بالنسبة لدهشور ووجود الكتابات على جدرانه يرجحان ذلك رجحانا كبيرا .

ولم يكن سنفرو الملك الوحيد الذى بنى لنفسه أكثر من قبر واحد ، فمن المحتمل أن عا - ثانى ملوك الأسرة الأولى - بنى لنفسه مصطبة فى سقارة وأخرى فى أبيدوس ، كما أننا متأكدون من أن زوسر بنى كلا من الهرم المدرج ومصطبة فى سقارة ، وربما بنى أيضا مصطبة أخرى فى بيت خلاف . وبنى سنوسرت الثالث وامنمحات الثالث هرمين فى دهشور وقبرين فى مكانين آخرين ، الا أنه من الواضح أن مقبرة واحدة فقط يمكن أن تكون مكانا للدفن ، بينما يتحتم علينا أن نفرض أن المقبرة الأخرى كانت مقبرة مؤقتة رمزية ، ولكننا لا نعرف على وجه التحقيق الغرض منها . وانقسمت الآراء بالنسبة لمكان دفن سنفرو . فيرجح « بترى » أنه دفن فى هرم ميدوم ، بانبا وجهة نظره على أساس اكتشاف بعض قطع من التابوت الخشبى داخل الهرم تشبه فى أسلوبها التوابيت التى كانت تصنع فى عصره .

ومن جهة أخرى رجح « بورخارت » هرم دهشور ، موضحا أن مقابر كهنة سنفرو عثر عليها فى دهشور ولم توجد واحدة منها فى ميدوم . وعلاوة على ذلك فليس المعبد الجنائزى هو الشيء الوحيد فى ميدوم الذى ترك دون اتمام ، بل نرى هناك أيضا عددا كبيرا من المصاطب المحيطة به لم يتم بناؤها ولم تستعمل للدفن مطلقا . ويعتقد بورخارت أن وجود المباني غير كاملة يرجح العدول عن دفن الملك فى الخطة الأصلية ، بأن هرم ميدوم ودفنه فى دهشور . أما « آلن رو » فأراد أن يوفق بين اكتشاف « بترى » لقطع التابوت الخشبى فى ميدوم وبين حجة « بورخارت » الدامغة عن هرم دهشور ، فتقدم برأى يقول بأن هرم دهشور لم يكن قد تم عند موت سنفرو ، ولذلك وضعوا جسده فى هرم ميدوم مؤقتا ، ثم نقلوه بعد ذلك الى دهشور عندما تم بناء الهرم . ولكن هذا الموضوع ليس من المواضيع التى يمكن الاجابة عنها نهائية اذا لم يتيسر لدينا من الأدلة غير ما نعرفه حتى الآن .

ويقع هرم سنفرو في دهشور على مسافة قليلة الى شمال الهرم المنحنى ، وهو اقدم قبر معروف صمم ونفذ ليكون هرمًا كاملاً (١) . وأبرز معالمه المميزة لمظهره الخارجى زاوية ميله القليلة ، بخلاف ما أن تكون زاوية الميل ٥٢° تقريباً حسب المعتاد نرى زاوية الميل ٤٣° و ١٦° تقريباً ، أى أنها تقرب جداً من الجزء الأعلى من الهرم المنحنى . وفى الواجهة الشمالية على ارتفاع بضعة أقدام من سطح الأرض نرى الفتحة التى تؤدى الى الممر المنحدر حيث توجد ثلاث حجرات (٢) ، واحدة بعد الأخرى ، تقع ثانيتهما تحت قمة الهرم مباشرة ، والحجرتان الأولى والثانية فى حجم وشكل واحد تقريباً ، وطول كل منهما ١٣ قدماً من الشمال الى الجنوب ، و ١٢ قدماً تقريباً من الشرق الى الغرب . وكلتا الحجرتين على الأرض الصخرية ولهما سقفان مرتفعان على طريقة السقوف المتداخلة ، وتصل الى الحجرة الثالثة عن طريق ممر قصير يبدأ فى الجدار الجنوبى من الحجرة الوسطى على ارتفاع ٢٥ قدماً تقريباً من الأرضية ، وهى أرحب الحجرات الثلاث وتبلغ ١٣٫٥ قدماً من الشمال الى الجنوب ، و ٣١ قدماً من الشرق الى الغرب ، ويرتفع سقفها المتداخل الى علو ٥٠ قدماً .

وإذا شربنا صفحا عن عدد وحجم حجراته ، فإن هرم دهشور لا يكاد يحتوى على تقدم فنى عن هرم ميدوم . فتصميمه منذ البداية ليكون هرمًا كاملاً يحمل على الظن بأن بنائيه قد أنفذوا من التجارب التى اكتسبوها من هرم ميدوم ، الذى لم يصل الى شكله الأخير الا بعد عدة تغييرات . وفى كل من الهرمين نجد كتابات على بعض أحجار الكساء الحجرى مؤرخة فى نفس السنة من حكم ملك غير مذكور . ويترتب على فلك أنه اذا انتمى هذان الهرمان الى ملك واحد فلا بد أن العمل فى بنائهما كان جارياً فى وقت واحد لفترة من الفترات . ولسنا نعرف الموضع المضبوط الذى كانت فيه أحجار الكساء الملقاة الآن على الأرض قرب هرم ميدوم ، وفى أى جزء منه كانت قبل هدمها ، ولكن ما دام الجزء الأسفل من الكساء ما زال سليماً فيمكننا القول بأنها من الجزء

(١) ربما كانت الأهرام الصغيرة الإضافية التابعة للهرم المنحنى وهرم ميدوم أهراماً كاملة ، ولكن ينقصنا الدليل على أنها شيدت لتكون مقابر للدفن .

(٢) نظراً لكمية الرمل والبرسيم الهائلة التى تتراكم فى أسفل الممر المنحدر ، لا يمكن الوصول الى الحجرتين الأولىين الا بصحوبة . أما الثالثة فربما كانت حجرة الدفن ، ولا يمكن دخولها الا بسلم لا يمكن وضعه الا بعد تنظيف الممر . وقد وصل « برنج » الى هذه الحجرة ، ولذا فإن الوصف المذكور هنا مأخوذ من تقريره .

العلوى منه . أما في هرم دهشور فالأحجار المذكورة موجودة في الداميك السفلية من الكساء . ولهذا يصبح من المعقول أنهم عندما وضعوا تلك الأحجار في أماكنها كان العمل في هرم ميدوم قد قطع شوطاً بعيداً أكثر من العمل في دهشور .

وبدون أن نبحث الآن عن الدوافع التي حملت سنفرو على بناء أكثر من هرم واحد ، فمن الميسور أن نتكهن بالحوادث التي أدت إلى ذلك التطور . فمن المحتمل أن حونى (Huni) ترك تصميم الهرم المدرج في سبيل تصميم آخر يختلف فقط في نقطة واحدة عن الهرم الكامل ، ولكن سنفرو الذي خلفه في الحكم عاد إلى تصميم الهرم المدرج عندما شيد مدفنه الأول في ميدوم . ولكنه قبل أن يتم بناء ذلك المدفن حسب التصميم الموضوع قرر أن يبنى قبراً آخر في دهشور ، وأضعا تصميمه منذ البداية ليكون هرماً كاملاً . وبدلاً من أن يتشبث بخطة الأصلية وأن يصبح له هرمان من نوعين مختلفين ، قرر تحويل هرم ميدوم إلى هرم كامل . ونحن إذا تساءلنا عن ضرورة كل هذه التغييرات في التصميم ، فإن الإجابة عن هذا التساؤل لا يمكن أن تكون على وجه التأكيد ، إذا اعتمدنا على ما لدينا من معلومات ضئيلة عن الحوادث السياسية والدينية لذلك العهد . وسنحاول في فصل ثامن أن نقدم بعض التفسيرات الفرضية لتوضيح بعض الحقائق المعمارية (١) .

(١) كتب إدواردز ، ما كتبه في هذا الفصل قبل أن يتقدم العمل في حفائر مصلحة الآثار في منطقة دهشور ، وقد تركنا تفسيراته كما هي دون تغيير لما تستوجبه الأمانة في الترجمة . ونحن نعرف الآن على وجه التحقيق أن هرمي سنفرو هما الهرمان الحجريان في دهشور ، وأن الهرم اللينحي هو هرم سنفرو القبلي . أما هرم ميدوم فيرجع الدكتور أحمد فخري - الذي قام بحفر المابد وقصص أهرام دهشور - أن الملك حونى آخر ملوك الأسرة الثالثة هو الذى بدأ تشييده ، ولكن حونى مات قبل أن ينتهى العمل فيه فاتمه سنفرو . وما من شك أن كتاب الأسرة الثامنة عشرة الذين زاروا ميدوم قرأوا اسم سنفرو هناك فكان ذلك سبباً في تحديثهم عنه ، خصوصاً وأن ذكرى سنفرو كملك عادل رحيم بقيت عالقة في ذهن المصريين إلى آخر أيامهم . أما الهرم الذى دُفن فيه سنفرو فالأرجح أنه الهرم الجنوبي ، وهو على بعد ميل واحد من الهرم الشمالى الذى ساعدت طبيعة الأرض على تشييده مصاطب أفراد عائلة سنفرو وكهنته على مقربة منه .

وأول محاولة قام بها المصاريون المصريون لبناء الهرم الكامل كانت في الهرم الجنوبي على أيام سنفرو ، ثم بدأوا في الوقت نفسه - وقبل الانتهاء من الهرم الجنوبي الذى غيرت زاوية ميله أثناء العمل - في بناء الهرم الشمالى . (العرب) .

الفصل الرابع أهرام الجيزة

كان خوفو (أو كيوبس كما يسمى باليونانية) ابنا لسنفرو ، خلفه على عرش البلاد ومن المحتمل أنه نشأ متأثراً بعظمة مبادئ والده في ميدوم ودهشور ، فوقع اختياره على منطقة تقع على حافة الصحراء على بعد خمسة أميال غرب الجيزة ، وأقام في ركنها الشمالي الغربي هرمًا حجمه أكبر من حجم هرم أبيه . وتبعه ملكان آخران من الأسرة الرابعة وهما خفرع (أو خفرن Chephren) ومنكاورع (أو ميكريمينوس Mycerinus) فبنيا هرميهما في نفس المنطقة على مسافة قصيرة إلى الجنوب . وتكون هذه الأهرام الثلاثة مع يعقوبا أشهر مجموعة أثرية في العالم (لوحة ١) .

وهرم خوفو ، أو الهرم الأكبر ، يمثل أعظم ما وصل إليه بناء الأهرام من حيث الحجم والصناعة . ولو أردنا حساب الحجم لوجدنا أن الأحجار التي استخدمت في بناء هرمي سنفرو تساوى تقريباً تلك التي في الهرم الأكبر ، ولكن بناء كل منهما على حدة يجعل كلا منهما أقل كثيراً من الهرم الأكبر . ولسنا نستطيع أن نحدد تماماً كمية الأحجار التي لزمتم لبناء الهرم الأكبر أو تقدرها تقديراً صحيحاً ، لأن قلب بنائه يحتوى على نواة صخرية لا يمكن تحديد حجمها بالضبط . ومع ذلك فقد قدر بعض الباحثين أنه عندما كان كلاً كان يحوى من الأحجار المحلية في قلب بنائه ومن الأحجار الجيرية من طوره في كسوته عدداً يبلغ ٢٣٠.٠٠٠ كتلة حجرية تقريباً تزن كل منها ٢ طن في المتوسط تقريباً ويصل وزن بعضها إلى ١٥ طناً (١) .

وحاول كثير ممن كتبوا عن الهرم الأكبر أن يعقدوا مقارنات بين حجمه وبعض المباني الأخرى المشهورة ، فحسبوا مثلاً أن مبانى البرلمان البريطاني وكنيسة القديس بولس في لندن يمكن وضعها جميعاً داخل مساحة قاعدته وتبقى منها مساحة كبيرة خالية . وفي حساب

(١) Scinners Clarke and Re Engelbach- Ancient Egyptian Masonty Frontispiece.

آخر عن مساحة الهرم انها تسع كاتدرائيات فلورنسا (Florence) (St Peter) وميلان والقديس بطرس (Milan) في روما ، كما تسع دير وستمنستر (Westminster) وكنيسة القديس بولس (St. Paul) (١) . كما حسبوا أيضا أنهم اذا قطعوا كمية أحجار الهرم الى مكعبات بحجم قدم مربع ووضعت هذه المكعبات في صف واحد فانها تمتد الى مسافة طولها ثلثا محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء . ونسب تقدير من هذا النوع الى نابليون أثناء حملته على مصر عندما نزل بعض قواده بعد تسليقهم قمة الهرم ، فقد رحب بهم نابليون — الذى لم يصعد بنفسه — وقال لهم انه يقدر أن أحجار أهرام الجيزة الثلاث تكفى لبناء جدار ارتفاعه عشرة أقدام وعرضه قدم واحد حول فرنسا كلها . وقرر العالم الرياضى مونج (Monge) — ويقال انه أحد العلماء الذين صحبوا نابليون في حملته — أنه أمن على هذا الحساب (٢) .

ولم يحظ أثر في مصر بما حظى به الهرم الأكبر من رسوم ومقاييس وفحص ، وحتى قبل الوقت الذى بدأت فيه النظريات القائلة بأن لزواياه وأبعاده معانى خفية قام ادميه فرنسوا جومار (Edmé François Jomard) — أحد علماء حملة نابليون — والكولونل هوارد فيس (Colonel Howard Vyse) وج. س. برنج (J. S. Perring) عام ١٨٢٧ — ١٨٢٨ وغيرهم من أوائل علماء المصريات بقياس أبعاد هذا الأثر بدقة تامة كما يتطلبها البحث الحديث فى الحفائر العلمية . وأول دراسة شاملة لهذا الأثر قام بها السير فلندرز بترى (Flinders Petrie) الذى قضى جزءاً كبيراً من موسمين (٨٠ — ١٨٨٢) فى هذا العمل . وظلت نتائجه التى نشرها مسلماً بها فى هذا الموضوع حتى سنة ١٩٢٥ ، عندما حل محل بعض منها نتائج دراسة أحدث استخدم فيها ج. ه. كول (J. H. Cole) من مصلحة المساحة المصرية (٣) آلات مساحية دقيقة من أنواع حديثة

(١) E. Baldwin Smith, *Egyptian Architecture as a Cultural Expression*, p. 96.

(٢) J. Capart and Marcelle Werbrouck, *Memphis l'ombre de pyramides*

(٣) Survey of Egypt, paper No. 39 «The determination of the exact size and orientation of the Great Pyramid at Giza»

تحديد الحجم والاتجاه المضيوطين لهرم الجيزة الأكبر ، وقد أعطيت الأبعاد فى هذا التقرير بالأمتار وأجزاء المتر وحولت هنا الى أقدام وأجزاء القدم من أجل توحيد المقاييس .

أثبتت أن الأبعاد الأصلية للجوانب الأربعة عند القاعدة كالآتي : الشمالى ٧٥٥٤٣ قدما ، والجنوبى ٧٥٦٠٨ قدما ، والشرقى ٧٥٥٨٨ قدما ، والغربى ٧٥٥٧٧ قدما . وفى الوقت الذى لا يتفق فيه جانبان فى الطول نجد أن الفرق بين أطولها وأقصرها لا يتعدى ٧٩ بوصة . واتجاه كل جانب من جوانب الهرم يكاد يكون مضبوطا على خطوط الشمال والجنوب والشرق والغرب الحقيقية . وفيما يلي الخطأ الذى حقق فيها .

الجانب الشمالى ٢٨° ٢' الى الجنوب من الغرب ، والجانب الجنوبى ٥٧° ١' الى الجنوب من الغرب ، والجانب الشرقى ٣٠° ٥' الى الغرب من الشمال ، والجانب الغربى ٣٠° ٢' الى الغرب من الشمال ، وكذلك نرى الدقة فى الأركان الأربعة ، اذ تكون زوايا قائمة ومقاساتها المضبوطة كالآتي :

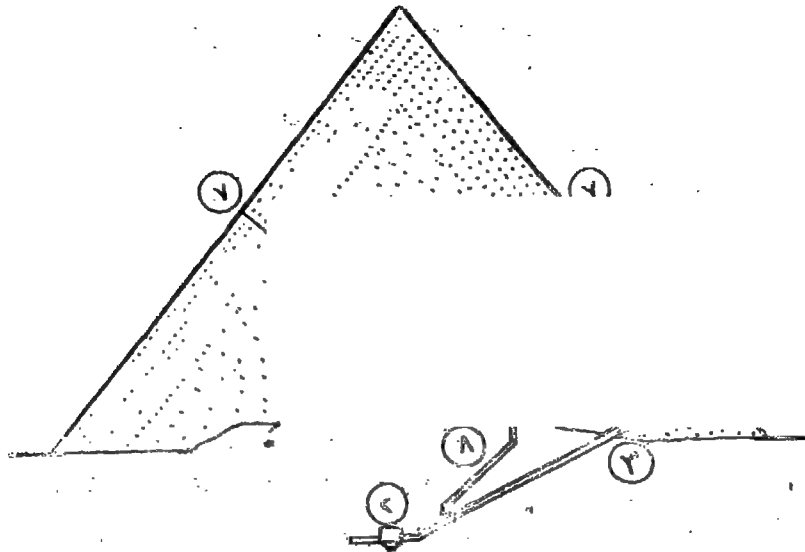
الشمالية الشرقية ٢٢° ٣' ، الشمالية الغربية ٥٨° ٥٩' ، الجنوبية الشرقية ٢٧° ٥٦' ، الجنوبية الغربية ٣٣° ٩٠' .

وعندما كان الهرم كاملا كان ارتفاعه ٨١٤ قدما ونقص الآن ٢١ قدما من قمته ، وتميل جوانبه الأربعة بزاوية مقدارها ٥٢° ٥١' تقريبا نحو الأرض ، وتغطي قاعدته مساحة قدرها ١٢٣ فداناً .

وإذا نظرنا الى الهرم الأكبر من مسافة بعيدة خيل إلينا أنه فى حالة من الحفظ تكاد تكون كاملة ، ولكن اذا فحصناه من مسافة قريبة نرى أنه قد عانى كثيرا من أيدي العابثين . فمن المحتمل أنه كان ينتهى بهريم من الجرانيت فى قمته ، وبأثنى عشر مدمكسا من الجرانيت أيضا . وقد زالت كلها من أعلاه ، ونزعت من جوانبه كل أحجار الكسوة الجيرية المجلوبة من طره باستثناء بعض الأحجار عند القاعدة . ونرى تحت المدخل الأصلى فى الواجهة الشمالية فتحة كبيرة قدت بدون عناية فى قلب البناء . وبناء على بعض الأخبار المتواترة من العصر الإسلامى فإن تاريخ هذه الفتحة يرجع الى الجزء الأخير من القرن التاسع ، وأنها صنعت بأمر من الخليفة المأمون بن هارون الرشيد الذى ذاعت شهرته بما كتب عنه فى قصص ألف ليلة وليلة ، وذلك تحت تأثير الاعتقاد الخاطيء بأن الهرم يحوى كنزا مخبوءا ، فقد بقى الهرم حتى عهد المأمون سليم البناء بالرغم من نهب محتوياته ، وبعد ذلك العهد أصبح الهرم الأكبر محجرا ميسورا لا ينضب معينه بمد

من يشاء بالأحجار اللازمة لبناء القناطر فوق الترع ولتشبيد المنازل والأسوار والمباني الأخرى القريبة من الجيزة والقاهرة .

وإذا صح فهمنا لترتيب حجرات وممرات الهرم الأكبر ، فانهما يجب أن تفسر على أساس تطور تشييد هذا الهرم . فإذا قارناه بهرم ميدوم ، نجد أن التغييرات التي حدثت في الهرم الأكبر أثناء بنائه كان أكثرها (أن لم يكن كلها) — تغييرات في الداخل ، فشكله من الخارج وإبعاده هي حسب التصميم الأصلي منذ الابتداء . ويقع المدخل في الواجهة الشمالية على ارتفاع نحو ٥٥ قدما فوق مستوى الأرض (شكل ١٤ — ١) ، ولا يقع بالضبط وسط الواجهة بل عند نقطة تبعد بمقدار ٢٤ قدما تقريبا من الوسط . وينحدر من المدخل ممر عرضه ٣ أقدام و ٥ بوصات وارتفاعه ٢ أقدام و ١١ بوصة تدريجيا بزاوية قدرها ٢٣° ٣١' ٢٦" يسير أولا في قلب بناء الهرم ثم يستمر بعد ذلك في الصخر . وعلى مسافة ٣٤٥ قدما تقريبا من المدخل الأصلي يصبح الممر مستويا ويستمر أفقيا لمسافة ٣٩ قدما قبل أن ينتهي إلى حجرة (شكل ١٤ — ٢) . وعلى الجانب الغربي من الجزء المستوي في الممر بالقرب من مدخل الحجرة يوجد بروز لم يتم قطعه أبداً . ولم يكمل بناء الحجرة أيضا ، فأرضيتها غير المستوية وجدرانها التي لم يتم نحتها تجعلها أشبه بمحجر . وربما كانت الحفرة المربعة الغائرة في أرضيتها هي الخطوة الأولى في مشروع لم يتموه ، وهو تعميق هذه الحجرة . وبناء على رأى



شكل ١٤ - الهرم الأكبر . قطاع في اتجاه الناحية الغربية

غير (Vyse) وبرنج (Perring) اللذين قاما بقياس هذه الحجرة في سنة ١٨٣٨ فان أبعادها كالآتي : الارتفاع ١١ قدما و ٦ بوصات ، ومن الشرق الى الغرب ٤٦ قدما ، ومن الشمال الى الجنوب ٢٧ قدما وبوصة واحدة . ولم يتم أحد بمراجعة هذه الأرقام منذ هذا التاريخ ، لأنهم في أثناء الحفائر المتعاقبة ملأوا الجزء الأكبر من هذه الحجرة حتى السقف تقريبا بكتل من الأحجار ، ما زالت في مكانها ولم يتم أحد حتى الآن بتنظيفها .

وفي الجدار الجنوبي لهذه الحجرة وفي مواجهة المدخل فتحة تؤدي الى ممر مقفل نقر دون عناية ولم يتموه ، وان وجود هذا الممر يجعلنا نظن أن التصميم الأصلي ربما كان يقضى بنحت حجرة أخرى بعد الأولى وتتصل بها بممر . ويشبه ذلك ما اتبعوه في هرم سنفرو بدهشور ، غير أن الفرق الأساسي هو أن الحجرة الثانية في الهرم الأخير تقع مباشرة تحت القمة ، وأن الأولى تقع الى شمالها ، بينما في الهرم الأكبر فان كلا الحجرتين تقعان في نقطة جنوب الخط الساقط عموديا من القمة .

ولا يخلو من الفائدة أن نقارن الحجرة الصخرية التي لم تتم بعد بالوصف القصير الواضح للجزء السفلي من الهرم الأكبر الذي كتبه هيرودوت (Herodotus) عندما زار مصر في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد . فقد قيل لهيرودوت أن تحت الهرم أقبية بنيت على شيء يشبه الجزيرة تحيطها مياه تأتي من النيل بواسطة قناة ، وأن القدماء وضعوا جسم خوفو فوق هذه الجزيرة ، ولكنه لم يوجد حتى الآن أي أثر للقناة أو للجزيرة ، والأرجح أنهما لم يوجدتا أبدا .

ومع أن هذا الهرم قد فتح بكل تأكيد وبُعثرت محتوياته قبل أيام هيرودوت بوقت طويل ، فمن المحتمل أنه منذ ثمانية أثناء العصر الصاوي حينما رُم عدد كبير من الآثار القديمة . والقصة التي يحكيها هيرودوت والتي لم يقل بأنه تثبت من صحتها بمشاهداته الخاصة ، ربما كان مرجعها الى ما نسجه خيال أدلاء الهرم جيلا بعد جيل وتناقلوه على مر القرون .

وعندما جاء الوقت الذي تقرر فيه تغيير تصميم المشروع الأصلي واستبدال حجرة الدفن السفلية المنحوتة في الصخر بأخرى ضمن بناء الهرم ، كانت المباني العلوية للهرم قد وصلت الى ارتفاع بضعة أقدام ،

ولهذا عملوا ثقباً في بناء سقف الممر المنحدر السابق عند نقطة تبعد حوالى ٦٠ قدماً من المدخل ، ثم نحتوا ممرًا جديدًا صاعدًا الى أعلى في قلب البناء (شكل ١٤ - ٣) وملئت فوهة هذا الممر بعد الدفن بكتلة واحدة من الحجر الجيري ، فأصبحت لا تفترق في شيء عن باقى السقف في الطرف العلوى للممر المنحدر ، ولكنهم لم يحكموا تثبيت هذا الحجر لأنه وقع عندما قام رجال المأمون بنحت النفق الذى نحتوه بالقرب منه . وبناء على آراء بعض الكتاب المسلمين فإن الصوت الذى أحدثه سقوط هذه الكتلة على أرضية الممر المنحدر مكن العمال من معرفة مكان ممرات الهرم ، اذ أدركوا أنهم كانوا يعملون بعيدين بمسافة كبيرة غربى الممر الحقيقى .

ويتفق الممر الصاعد الذى يبلغ طوله ١٢٩ قدماً تقريباً مع عرض وارتفاع الممر النازل ، ويطلق ميل زاويته وقدرها ٣٠° ٢' ٢٦" انحدار الممر النازل ولا يختلف عنه بأكثر من جزء من درجة .

وعند نهايته السفلى فوق الفتحة التى حدثت من انزلاق كتلة الحجر الجيرى مباشرة ، توجد ثلاث سقاطات كبيرة من الحجر الجرانيتى وضعت كل منها خلف الأخرى . وتملأ هذه السقاطات الممر الأسمى تماماً ، وقد تفادها رجال المأمون بأن قطعوا في الحجر الجيرى السهل ممرًا في الجدار الغربى حتى وصلوا الى نقطة تبعد عن أعلى تلك السقاطات الثلاث . وعندما قام بورخارت Borchardt بدراسة جدران هذا الممر لاحظ أن الأحجار في الطرف السفلى قد وضعت موازية تقريباً للأرضية ، بينما كل الأحجار في الطرف العلوى كانت موازية لانحدار الممر ، فاستنتج من ذلك أن النقطة التى تغيرت عندها الزاوية هى أقصى ما وصل اليه ارتفاع بناء الهرم عندما أرادوا أن تكون حجرة الدفن في البناء العلوى للهرم . ولاحظ بورخارت أيضاً أن لحامات الأحجار عند الطرف السفلى غير منتظمة ، بينما نرى لحامات الأحجار عند الطرف العلوى محكمة تماماً ، مما أيد اعتقاده بأن الجزء السفلى من الممر قطع في قلب جزء كان قد تم بناؤه ، في حين أن الجزء العلوى بنى كالمعتاد مع باقى الهرم . وسميت الأحجار التى لم توضع في الجزء العلوى موازية للانحدار « بالأحجار الرابطة » ، وهذا التفسير يستعمل لوصف حجر واحد أو حجرين موضوعين فوق بعضهما ينحت فيهما ممر . وهذه « الأحجار الرابطة » التى وضعت على مسافات منتظمة وتبعد عن بعضها ١٧ قدماً وبوصتين ربما تفسر لنا السر في التكوين الهندسى للهرم الأكبر الذى سنقوم بشرحه في فصل آخر .

وفى أثناء تشييد الممر الصاعد ربما كان قصد البنائين أن تحتل حجرة الدفن مكاناً في وسط الهرم في الجزء العلوى منه دون أن ترتفع كثيراً فوق مستوى الأرض . وقد بنوا تلك الحجرة شحلا في نهايه ممر يبدأ من أعلى الممر الصاعد (شكل ١٤ - ٥) وسماها المصري « حجرة الملكة » ، وهى تسمية خاطئة ظلت حتى الآن . وتقع هذه الحجرة في الوسط تماماً بين جانبي الهرم الشمالى والجنوبى ، وإبعادها ١٨ قدماً و ١٠ بوصات من الشرق الى الغرب ، و ١٧ قدماً وبوصتان من الشمال الى الجنوب ، ولها سقف مدبب يعلو الى ارتفاع ٢٠ قدماً و ٥ بوصات ، وفى جدارها الشرقى فجوة ذات جوانب متداخلة يبلغ عمقها الاصلى ٣ أقدام و ٣ بوصات فقط ، ولكن جدارها الخلفى نزعه الباحثون عن الكنوز ، وارتفاعها ١٥ قدماً و ٤ بوصات ، وعرضها عن القاعدة ٥ أقدام وبوصتان .

وربما كان الغرض منها أن يوضع فيها تمثال ، ولكنه لم يوضع قط على الأرجح . وهناك أدلة عديدة على أن العمل فى حجرة الملكة أوقف قبل أن تتم ، فارتضىتها مثلاً خشنة للغاية ، فلو أن هذه الحجرة اكملت لبلطت بأحجار ملساء . ومرة ثانية نجد فى الجدارين الشمالى والجنوبى منها فتحات صغيرة مستطيلة يتفرع منها منافذ تمتد أفقياً لمسافة تبلغ نحو ٦ أقدام و ٦ بوصات ، ثم تنحرف الى أعلى بزاوية مقدارها ٣٠° تقريباً (شكل ١٤ - ٦) . وهذه الفتحات لم تحت فى الوقت الذى بنيت فيه الحجرة ، وهذا يثبت أن العمل لم ينته فى هذه الحجرة ، وذلك ما ظنه فى سنة ١٨٧٢ مهندس يدعى وايمان ديكسون (Wayman Dixon) ، وقد جعله يبحث عنها وجود ما يماثلها فى حجرة الملك العليا . ولكن تلك الثقوب التى فى حجرة الملك تختلف عن تلك التى فى حجرة الملكة ، إذ أن الأخيرة لا تنفذ الى السطح الخارجى للهرم ، وهذه الحقيقة تمدنا ببرهان آخر على تغيير التصميم الاصلى . ويفسر لنا هذا الغرض أيضاً اختلاف السطوح فى أرضية الممر الذى يربط الممر الصاعد بالحجرة . ففى بدايته لا يزيد ارتفاع هذا الممر عن ٣ أقدام و ٩ بوصات ، ولكن بالقرب من الحجرة نجد انخفاضاً فى الأرضية يزيد من ارتفاعه الى ٥ أقدام و ٨ بوصات .

وأدى تغيير تصميم البناء وعدم الانتهاء من تشييد حجرة الملكة الى بناء عمليتين من أشهر الأعمال الهندسية التى بقيت لنا من الدولة القديمة ، وهما الدهليز الكبير وحجرة الملك . وقد بنى الدهليز الكبير (شكل ١٤ - ٤) كاستمرار للممر الصاعد ، ويبلغ طوله ١٥٣ قدماً

وارتفاعه ٢٨ قدما . وترتفع جدرانها المبنية بالحجر الجيري المصقول راسيا الى ارتفاع ٧ أقدام و ٣ بوصات ، ثم تبتدىء المداميك الباقية — وعددها سبعة — يميل كل منها الى الداخل أكثر من المدمك الذى يرتكز عليه بمقدار ٣ بوصات ، فيكون من ذلك سقف متداخل ذو أبعاد أعظم من أى سقف آخر من هذا النوع ، والمسافة بين المداميك العلوية فى الجانبين عند السقف مقدارها ٣ أقدام و ٥ بوصات عرضا ، وسقفها مكون من أحجار وضع كل منها بزاوية تقل عن انحدار الدهليز . ويقول السير فلندرز بترى معقبا على هذه الطريقة فى وضع الكتل ، بأنها عملت لكى تكون الحافة السفلية من كل حجر كسقطه التروس بحجزها من محفور فى أعلى الجدران حتى لا يضغط أى حجر على الحجر الذى يليه فيحدث ضغط كلى على السقف ، بل يستند كل حجر على انفراد على الجدران الجانبية الموضوع فوقها (١) ، وفى أسفل كل جدار يوجد أفريز منحدر سطحه مستو وارتفاعه قديمان وعرضه قدم و ٨ بوصات يمتد على طول الدهليز من أوله الى آخره . ويجرى ممر — أبعاده مثل أبعاد السقف وعرضه ٣ أقدام و ٥ بوصات — بين الأفريزين المنحدرين . ويوجد الآن فى الطرف السفلى لهذا الممر ثغرة سببتها إزالة الأحجار التى كانت تربط فى الأصل أرضية الممر بأرضية الممر الصاعد ، وكانت تغطى فى الوقت نفسه فتحة الممر الأفقى المؤدى الى حجرة الملكة . وفى هذه الثغرة نجد أن الحجر الذى فى أسفل المنحدر الغربى قد أزيل ، فكشف عن البئر التى تهبط تارة عمودية وتارة أخرى تميل أولا فى قلب بناء الهرم ثم فى الصخر حتى ينفذ فى الخدار الغربى للممر النازل (شكل ١٤ — ٨) . وستحدث عن الغرض منه وعن بعض الظواهر فى الدهليز الكبير بعد شرح حجرة الملك .

وتؤدى درجة سلم مرتفعة فى الطرف العلوى من الدهليز الكبير الى ممر ضيق منخفض يفضى الى حجرة الملك ، وبعد مساحة تبلغ ثلث طوله يرتفع هذا الممر ويتسع فيصبح شبيها بردهة بنيت جدرانها الجنوبية والشرقية والغربية من حجر الجرانيت ، ونحتت أربع دخلات عريضة فى كلا الجدارين الشرقى والغربى من هذه الغرفة ، ثلاث منها ممتدة من الأرضية وواحدة منها — الواقعة فى أقصى الشمال — تنتهى عند مستوى سقف الممر . وأعدت الشقوق الطويلة

(١) W. M. Flinders Petrie, The Pyramids and Temples of Giza. p. 72.

ثلاث سقاطات لم يبق لها من اثر . وفي الدخلتين القصيرتين ما زالت كتلتان من الجرانيت في أماكنهما في عرض الردهة ، احدهما فوق الأخرى . وربما كانت هناك كتلة ثالثة تملأ المسافة الباقية بين الكتلة العلوية والسقف . ولولا وجود مثل هذا الحاجز لتمكن اللصوص من الصعود خلال الثغرة والمرور بدون عائق بين السقاطتين الأوليين .

وبنيت حجرة الملك كلها بالجرانيت ، وتبلغ أبعادها ٢٤ قدما و ٤ بوصات من الشرق الى الغرب ، و ١٧ قدما وبوصتين من الشمال الى الجنوب ، وارتفاعها ١٩ قدما وبوصة واحدة . ويوجد في الجدارين الشمالي والجنوبي - على ارتفاع نحو ٣ أقدام من الأرضية - فتحتان مستطيلتان لمنفذين ، يختلفان عن مثيليهما في حجرة الملكة بكونهما يخترقان بناء الهرم وينفذان الى سطحه الخارجى . ويميل الشمالى منهما بزاوية قدرها ٣١° والجنوبى بزاوية قدرها ٤٥° (شكل ١٤ - ٧) . ولا يعرف بالضبط الغرض من وجودهما ، وربما كان الغرض منها تهوية الحجرة او لغرض دبنى مازال العلماء مختلفين في تحديده . ويقوم بالقرب من الجدار الغربى تابوت مستطيل من الجرانيت بدون غطاء ، كان يحوى يوما ما جثة الملك في تابوت آخر من الخشب . وسطح التابوت خشن وكثير من علامات نشر الحجر عند قطعه ما زال واضحاً . واكتشف السير فلندرز بترى أن عرض هذا التابوت يزيد بوصة عن عرض الممر الصاعد عند فوهته ، واستنتج من ذلك أنه وضع في مكانه عندما كان العمل جاريا في الحجرة .

ولا يوجد لسقف حجرة الملك ما يماثله من الناحية المعمارية ، اذ يوجد فوق سقفها المسطح - الذى يتكون من تسع كتل تزن في مجموعها ٤٠٠ طن - خمس حجرات منفصلة ، سقف الأربع الأولى منها مسطح ، أما سقف الحجرة الخامسة فمحدب . ويظهر أن الغرض من بنائها كان لتفادى خطر انهيار سقف الحجرة تحت ثقل المبانى فوقها . وسواء تطلبت طبيعة البناء اتخاذ مثل هذه الاحتياطات الشديدة أو كانت أمراً قابلاً للأخذ والرد ، فقد أثبتت الأيام ما يبرر بناءها ، فان كلا من الكتل الجرانيتية التسع التى يتكون منها سقف الحجرة ، وكثيراً من تلك التى فى الحجرات التى فوقها للتخفيف عنها قد تصدع على الأرجح بسبب زلزال ، الا أنها بقيت كلها فى أماكنها ولم تسقط واحدة منها .

ويمكن الدخول الى الحجرة السفلى من الحجرات الاضافية عن طريق ممر يبدأ من فتحة فى أعلى الجدار الشرقى للدھليز الكبير ، ونحن

لا نعرف الوقت الذى قطع فيه هذا المر ، ولا نعرف من قام به .
ولكن أول من اشار اليه الرحالة الأوروبي دافيسون (Davison)
الذى زار الهرم فى عام ١٧٦٥ . ولم تكتشف الحجرات الأربع العلوية
حتى عام ١٨٢٧ — ٢٨ عندما فتح الكولونل هوارد فيس و . ج . س .
برنج طريقا اليها بتفريغ ممر يصعد اليها من أسفل . وقد بنيت بعض
جدران هذه الحجرات العلوية من الحجر الجيرى ، ولما كان المفروض
ألا يراها احد ، لم يهتموا بتسوية سطح جدرانها ، ولهذا فلا زالت
معظم الكتل تحتفظ بالعلامات التى خطت عليها بالمغرة الحمراء فى
الحجر . وعلى أحد هذه الأحجار ورد اسم خوفو مكتوبا للمرة الوحيدة
فى هذا الهرم .

ونظرا لانحدار المر الصاعد فى الهرم الأكبر الى أعلى فان عملية
سده بعد الانتهاء من الدفن كانت عملية شاقة غير عادية . فالممرات
فى الأهرام الأخرى إما منحدرية الى أسفل أو مستوية تقريبا ، لذلك
استطاعوا بسهولة كبسها بأحجار السدادات التى كانت توضع خارج
الهرم حتى يحين وقت الحاجة اليها . وقد سدوا المر الهابط فى الهرم
الأكبر بهذه الطريقة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك فى المر الصاعد . ولم
تكن عملية رفع السقاطات الجرانيتية الثقيلة من الفتحة التى فى سقف
المر الهابط هى التى سببت كثيراً من الصعوبات الآلية فحسب ، بل
ان ادخال السقاطات بهذه الطريقة لا يؤدى الغرض منها ، لأنه لا يمكن
احكام وضعها فى أماكنها . ولم يبق اذن مجال للخيار سوى
تخزين السقاطات فى مكان ما داخل الهرم أثناء البناء ثم دفعها الى أسفل
المر الصاعد بعد وضع الجثة فى حجرة الدفن . والذى يثبت أنهم
لجأوا الى هذه الطريقة وجود السقاطات الثلاث التى مازالت فى مكانها
عند الطرف الأسفل للمر الصاعد ، وهى اعرض من الفتحة بنحو
بوصة واحدة ، وعلى ذلك فلا يمكن ادخالها فى المر الهابط . ومع
ذلك فتظهر أمامنا مشكلتان ، أولاهما : أين خزنت السقاطات قبل
انزالها الى داخل المر الصاعد ؟ والثانية : كيف أفلت الرجال الذين
كان عليهم أن يدفعوا بهذه السقاطات من الخلف من الهرم بعد أن
انتهوا من عملهم ؟

والى أن اكتشف بترى أن المر الأفقى المؤدى الى حجرة الملكة
كان انقص ببوصة فى كل من العرض والارتفاع عن السقاطات ،
كان يظن انها خزنت إما فى المر أو فى حجرة الملكة . ونستطيع
أن نجد العرض والارتفاع اللازمين فى الفجوة التى بين قبة الممر

الصاعد وبين الطرف السفلى لمر الدهليز الكبير ، ولكن طبول الفجوة لا يكفي لتشوين السقاطات اذا وضعت طرفاً لطرف . وعلاوة على ذلك فهناك شيء من الشك في أنهم أقاموا على هذه الفجوة جسراً بكتل من الحجر في الوقت الذي وضعوا فيه هذه السقاطات في انتظار نقلها الى أمكتها .

وزيادة على ذلك فإن المر المؤدى الى حجرة الملك يجب استبعاده نظراً لنقص ارتفاعه ، وبالتالي حجرة الملك نفسها . ولذلك استنتج بترى أن السقاطات قد خزنت في مر الدهليز الكبير حيث يتيسر كل ما تتطلبه من مساحة كافية . ولكن هذا التفسير — كما أدرك بترى نفسه — كان يقوم ضده أن وجود السقاطات مشونة في المر يصوق موكب الدفن ، ويتحتم في مثل تلك الحالة إما أن يصعدوا بالجثة فوق السدادات أو تجر الى أعلى فوق الأفريزين الجانبيين . والواقع أن الاعتبارات المتعلقة بحجم السقاطات تحول دون وجود حل آخر .

ولكن بورخارت — مع اقتناعه برأى بترى في أن السقاطات قد خزنت في الدهليز الكبير — قد أشار الى أن بترى قد فشل في تفسير وجود ثمانية وعشرين ثقباً على مسافات منتظمة في السطح العلوى لكل من الأفريزين الجانبيين . وهناك ظاهرتان أخريان لم يفسرهما بترى ، ويظهر أن لهما صلة بموضوع الثقوب ، وهما أولاً كتل الأحجار الصغيرة التي حشرت في الحوائط الجانبية في مواجهة الثقوب وقد حفر بسطح كل منها شق ، وثانياً ذلك الشق الطويل المستمر الغائر في الجزء السفلى من ثالث درج بارز من قاع كل من الحائطين الجانبيين ، وهذا الشق الذي يبلغ عمقه حوالى بوصة يمتد بطول جانبي الدهليز .

وقد اقترح بورخارت — بعد أن فحص هذا الدليل جيداً — أن الثقوب والفتحات قد عملت لتوضع فيها قوائم خشبية تحمل أرضية مصنوعة أيضاً من الخشب يثبت جانبها في الشقين الطويلين ، وكان الغرض من هذه الأرضية هو تخزين السقاطات ليستطيع الموكب الجنائزى أن يصعد المر الى أعلى بدون عائق ، ولكن طوله كان أكثر جداً مما يلزم لتخزين ثلاث سدادات فقط ، وربما كانت هناك فكرة أصلية عدلوا عنها فيما بعد وهى ملء المر الصاعد كله بالسقاطات .

ومنذ اللحظة التي تم فيها وضع السدادة الأخيرة في الطرف العلوى للمر الصاعد ، أصبح العمال الذين كانوا مكلفين بعملية وضع السقاطات في أماكنها النهائية غير قادرين على ترك الهرم بالطريق

العدي : ولذلك احتاطوا لذلك في عمل وسيلة الافلات بواسطة البئر
التي تبدأ من النجوة عند الطرف العلوى من الممر الصاعد وتنتهى عند
الممر النازل (شكل ١٤ - ٨) . وليست هناك أى قيمة للتفكير فيما إذا
كانت هذه البئر قد عملت بعلم أو بدون علم خوفو ، ولكن عادة دفن
الأشخاص أحياء لم يمارسها المصريون في عصر بناء الاهرام بكل
تأكيد . ولا بد أن البئر كانت مخفية تماماً وقت الدفن تحت كتل الأحجار
التي تغطى النجوة ، وكذلك الحجر الأسفل في المنزلق الغربى ، وهى
لا وجود لها الآن .

ولم تكن ازالة هذه الأحجار بالشئ الصعب على العمال عندما
حان الوقت ليشقوا لهم طريقاً للنزول ، وبعد أن وصل آخر عامل
الى قاع البئر غطيت الفتحة التي في الجدار الغربى من الممر النازل
بكتلة من الحجر ، وبذلك لا يمكن تمييزها عن باقى الممر .

وغطوا في الوقت ذاته مدخل الممر الصاعد بعد السقطة الأولى
بكتلة من الحجر ، وهى التي سقطت الى أرضية الممر النازل عندما
اقتحم عمال الخليفة المأمون طريقهم داخل الهرم .

وقد ذكر سترابو (Strabo) شيئاً عن طريقة غلق مدخل الهرم
نسب ما ذكره كثيراً من التخمينات ، فقد ورد في مؤلفه عن الجغرافيا
(Geographica) الذى كتبه قبيل ظهور المسيحية ، أن الهرم الأكبر
كان يحتوى على كتلة من الحجر في مكان مرتفع قليلا في احد جوانبه
يمكن نزعها ، فاذا رفعت من مكانها نرى وراءها ممراً نازلاً الى أساس
الهرم . وفسر بترى ذلك بأنه كان للهرم الأكبر باب متحرك يسقط
من أعلى الى أسفل ومكون من كتلة واحدة من الحجر مثبتة في عقبين
في الجزء العلوى من الجانبين . وتدعيما لنظريته ذكر أنه يوجد في كل
من الممرين الشماليين في الهرم المنحنى وهرم ميدوم تجاويف نحتت
في الجدران الجانبية بالقرب من المدخل كان المقصود منها تثبيت اعقاب
الأبواب فيها .

ونظراً لضيق الكسوة الخارجية أصبح من المستحيل أن نقرر ما
إذا كان مدخل الهرم الأكبر مزوداً بأمثال هذه التجاويف أو لم يكن .
وعلى أى حال فإن من الصعب التسليم بأن الباب الذى ذكره سترابو
— إذا كانت كلماته قد فهمت على حقيقتها — يرجع تاريخه الى
العصر الذى بنى فيه الهرم . فلم يكن للسدادات والسقطات أية قيمة

لسبب الممرات في الأهرام ، اذا كانوا يتدرون إمكان الدخول بعد ذلك إلى الحجرات الداخلية ، ولأن وجود الباب المتحرك يدعو إلى التفكير في أنهم كانوا يقصدون ذلك .

ومن المحتمل أن مدخل الهرم الأكبر — مثل المدخل الغربي للهرم المنحنى الذى ما زال سليما — مغطى بطبقة من أحجار الكسوة تجعله لا يمكن تمييزه عن باقى السطح الخارجى للهرم . وعندما اقتحم اللصوص الهرم لأول مرة — وربما كان ذلك أثناء عصر الفوضى التى جاءت فى أعقاب الدولة القديمة — تحتم عليهم أن يشقوا طريقا خلال الكتل الحجرية التى تغطى المدخل . ولسنا نعرف المدة التى ظل الهرم مفتوحا خلالها ، ولكن ربما أغلق واقتحم ثانية أكثر من مرة أثناء الأسرات المتعاقبة حتى ركب له أخيرا — ربما فى العهد الصاوى — باب يناسب وصف سترابو ، فإذا صح هذا القول — وهو تخمين صرف — فانه من الضرورى أيضا أن نفرض إما أن يكون وجود هذا الباب قد نسى امره ، وإما أنه سد بأحجار غطته فى وقت ما أثناء المدة بين زيارة سترابو وبين القرن التاسع الميلادى ، إذ ليس هناك تفسير آخر لعدم اقتدار الخليفة المأمون على العثور على المدخل حتى لجأ إلى شق ممر جديد فى أحجار مبنى الهرم نفسه .

ومع أن المبانى التى كونت مجموعة الهرم الأكبر عند تشييده قد اختفت كلها أو بعضها ، فإن آثارها الباقية كافية لتبين على وجه العموم مطابقتها لغيرها من المبانى المماثلة . وليس هناك الآن شيء باق من جدار السور الخارجى الذى كان حول الهرم ، ولكن جزءا من الأرضية المصنوعة من الحجر الجيرى الناعم والتى تغطى المسافة بين الهرم وهذا السور لازالت فى حالة جيدة من الحفظ ، وكان المعبد الجنائزى ملتصقا بواجهة الهرم الشرقية ، وكانت أرضيته مصنوعة من حجر البازلت المصقول فوق طبقة من الحجر الجيرى ، وكانت الجدران فى جزء منها على الأقل مكسية بالجرانيت ، ويقع فى شمال وجنوب المعبد حفرتان كبيرتان على هيئة مركبتين نفرتا فى الصخر . وتقع حفرة ثالثة من هذا النوع فى الجانب الشمالى من الطريق الجنائزى بالقرب من المعبد . ويبدو واضحا أن كل هذه الحفر كانت مسقفة ، ولكن رغم هذه الحيلة لم يبق شيء من المراكب التى كانت تملؤها فى الأصل ، وإن اختفاءها الكامل يحملنا على الظن بأنها كانت مصنوعة من الخشب ، وهو مادة ليست سريعة العطب فحسب ، بل فى الاستطاعة حملها

بسهولة أكثر من نقل الحجر (١) . وقد عثر فعلا على أجزاء من الخشب في الخفرة التي تشبه المركب والمبنية بالطوب اللبن في مصطبة عجا بسقارة ، ومع أنه من الواضح أن هذه المراكب قصد بها مذ الملك المتوفى بوسيلة انتقال في العالم الآخر ، إلا أن المكان أو المنطقة التي تستخدم فيها مازال من الأمور الغامضة . وتتطلب ديانة الشمس وجود مركب لمرافقة اله الشمس في رحلته اليومية عبر السماء ، وفي رحلته الليلية تحت الأرض ، كما يحتاج إليها للوصول إلى المنطقة الواقعة بعد الأفق الشرقى حيث يظن أن الآلهة يسكنون فيها . وفي ديانة أزوريس لابد من وجود مركب للانتقال به إلى أبيدوس وأبو صير ، وإلى أن نعرف معلومات أوفى عن العقائد الدينية في المدة التي تسبق الأسرة الخامسة ، سيظل موضوع تلك المراكب وتفسير وجودها أمراً تختلف حياله آراء الباحثين .

وعلى زاوية قائمة من الطرف العلوى للطريق الجنازى من ناحيته القبلىة ، نرى صفا من ثلاثة أهرام اضافية يلتصق بالواجهة الشرقية لكل منها هيكل صغير متخرب ، وإلى جوار الهرم الأول منها حفرة مركب صغيرة . ويعتقد ريزنر Reisner أن هذا الهرم لزوجة خوفو المفضلة التي — طبقا للعادات المصرية — كانت شقيقته في الوقت ذاته على الأرجح ، أما عن الهرم الثانى فقد حكى هيرودوت القصة التالية :

« وصلت شرور خوفو إلى الحد الذى جعله يفعل الآتى . . فبعد أن صرف كل أمواله وأراد المزيد أرسل ابنته إلى بيوت الدعارة وأمرها أن تحضر له مبلغاً معيناً من المال — ولست أستطيع معرفة كميته لأنى لم أسمع ذلك من أحد — وحصلت على المبلغ . . وفي الوقت ذاته رغبت في أن تترك أثراً يخلد ذكراها ، فطلبت من كل رجل أن يقدم لها هدية من حجر ليفيدها في العمل الذى كانت تفسر فيه . وبهذه الأحجار بنت الهرم الذى يقع في وسط الأهرام الثلاثة التى أمام الهرم الأكبر ويبلغ طول ضلعه مائة وخمسين قدماً » (١) .

ولحسن الحظ لا يوجد سبب واحد يحملنا على الظن بأن تفاصيل هذه القصة تمت إلى الخقائق التاريخية بأية صلة . فنحن نعرف أن

(١) عثر في صيف ١٩٥٤ على مركبتين سليمتين في الجهة الجنوبية من الهرم الأكبر (المرب) .

(١) Herodotus, II, 126 (Rawlinson's translation).

الهرم الثالث نسب في العصور المتأخرة الى الملكة حنفوتسن (Henutsen) التي ربما كانت اختاً غير شقيقة للملك . وفي أثناء الأسرة الواحدة والعشرين قدست مع الالهة ايزيس واطلق عليها اسم « محبوبية ايزيس الاهرام » . وفي هذا الوقت أيضاً وسعوا الهيكل الصغير الملاصق للهرم ليصبح معبداً يتناسب مع مكانة الالهة ايزيس .

ويتكون الطريق الجنازى من ممر بنى اما فوق الصخرة مباشرة ، او في تلك الأماكن ، حيث ينخفض كثيراً مستوى الصخر ، فوق جسر من المبنى . وبناء على ما ذكره هيرودوت فقد استغرق بناء الطريق الجنازى والمبنى الأخرى عند قاعدة الهرم عشر سنوات . والآن لم يبق سليماً من هذا الممر شيء ، ولكن مازال بعض الجسور قائماً في الحجر الصغير الذى يمر فوقه ، ثم عند عبوره حافة الهضبة . ولا يزال الجزء الأسفل من الطريق الجنازى ، وما عساه أن يكون قد بقى من مبنى الوادى دون كشف ، تحت منازل القرية الحديثة المعروفة باسم نزلة السمان . وبالقرب من وسط الطريق الجنازى أقيم نفق ليستطيع من يريد العبور أن يفعل ذلك دون أن يلف طويلاً حول الهرم أو مبنى الوادى .

ونذكر هيرودوت عند وصفه للطريق الجنازى انه بنى بأحجار مصقولة حفرت عليها صور حيوانات . وقد شك بعض الاثريين في صحة ذلك ، لأنه لم يعثر على أى أثر لنقوش في أى هرم من أهرام الأسرة الرابعة ، أو حتى في مبانيهم الملحق بها ، مع أن بعضاً من المصاطب الخاصة المعاصرة قد اشتملت بكل تأكيد على نقوش . وربما كان السبب في عدم وجودها ، هو أن المهندسين في ذلك العصر كانوا مشغولين باتقان صناعة استخدام الحجر الجرانيتى ، واتقان فن تشييد المباني الضخمة . الا أن و . ستيفنس سميث (W. Stevenson Smith) — الذى ساعد ريزنر في حفائره بجبانة الجيزة — قد قرر حديثاً اكتشاف بعض قطع من النقوش الجميلة البارزة وسط خرائب المعبد الجنازى عند قمة الطريق الجنازى . فإذا سلمنا على أساس هذا الاكتشاف بأن جدران المعبد الجنازى كانت محلاة بنقوش بارزة فذلك دليل على صحة ما ذكره هيرودوت عن الطريق الجنازى (١) .

(١) عشر فى معابد سنفرى بدمشق على نقوش كثيرة فى عام ٥١ . ١٩٥٢ .

(العرب) .

والى جنوب الطريق الجنائى وعلى مقربة من الهرم الاضافى.
الأول عثر ريزنر Reisner فى عام ١٩٢٥ على حجرة دفن من
عصر الدولة القديمة لم يعرف اللصوص طريقهم اليها ، ولم يكن أحد
قد عرف مكانها من قبل ، وتقع فى قاع بئر عمودية عمقها ٩٩ قدماً
ملئت كلها بالمباني . وفى داخل هذه الحجرة وضعا التابوت المرمرى
الجميل والأثاث الجنائى للملكة حتب - حرس (Hetep-heres)
زوجة الملك سنفرو وأم الملك خوفو . ومع ان التابوت وجسد خالياً
الا انه عثر على الأحشاء التى استخرجت من الجسد ، لتساعد على
الاحتفاظ به ، فى صندوق من المرمر يطلق عليه اسم الصندوق الكانوبى .
(Canopic chest)

وحاول ريزنر أن يفسر عدم وجود الجسد ما دامت الحجرة لم
تمس فقال ان حتب - حرس دفنت فى مقبرة بدعشور بالقرب من
هرم سنفرو ، ولكن بعد دفنها مباشرة اقتحم اللصوص قبرها وأخذوا
الجسد بما عليه من جواهر وحلى ذهبية ، الا أنهم قبل أن يتمكنوا من
سرقة باقى الأثاث وصلت أخبار اقتحام المقبرة الى سمع الملك .
وأما فى تفادى تكرار ذلك ، عزم خوفو الذى ربما لم يخبره أحد باختفاء
الجثة على نقل مقبرة أمه - سراً - الى الجيزة ، حيث تصبح فى
أمان ورعاية مثل هرمه . وزيادة فى الحيلة لم يبن فوق القبر الجديد
أى مبنى علوى ، وعندما تراكمت الرمال فوق فوهة البئر لم يظهر
من معالمها أى أثر ، ولهذا بقيت غير معروفة المكان حتى القرن العشرين
عندما قام المكتشف الأمريكى بكنس الرمال عن الأرض الصخرية .
وفى ذلك أحسن دليل على نجاح فكرة خوفو .

ومن بين الأشياء التى عثر عليها فى هذه الحجرة أوان من المرمر ،
وابريق من النحاس ، وثلاث أوان ذهبية ، وأمواس وسكاكين من
الذهب ، وأدوات من النحاس ، وآلة ذهبية لتقليم الأظافر مديبة من
أحد طرفيها لتنظيف الأظافر ومقوسية من الطرف الآخر لضغط
أطراف اللحم عند الظفر الى أسفل ، واحتوى صندوق الزينة على
ثمان أوان صغيرة من المرمر ملاءى بالعطور والكحل . وكان فى داخل
صندوق الجواهرات عشرون خلخالاً من الفضة ، رصع كل منها
بفراشات من الدهنج واللازورد والعقيق الأحمر . ومن بين الأشياء
الكبيرة الحجم اطار خيمة مصنوع من الخشب ومغلف بالذهب ،
وكرسيان بمساند ، وسرير غلف جزء منه بصفائح من الذهب ،
أما ناحية القدمين من السرير فهى لوحة من الذهب مرصعة برسوم

نباتية ذات رسوم زرقاء وسوداء . وهناك أيضا محفة مصنوعة من الخشب وكسى جزء منها بصفائح من الذهب محلاة بكتابات هيروغليفية من الذهب ، مثبتة في لوحات من الأبنوس ومكررة أربع مرات وترجمتها : « أم ملك الوجه القبلى والبحرى ، تابعة حورس ، رائدة الحاكم ، العزيزة التى تنفذ كل أوامرها ، ابنة الاله [المولودة] من صلبه ، حنوب حورس » .

ومهما أطنبنا فى الوصف فإن ذلك لا يفى بحق المهارة الفنية ودقة صناعة الأثاث الجنائزى الخاص بالملكة حنوب . حرس ، فإذا قارنا أثاث هذه المقبرة بأثاث مقابر العصور التالية فإنه ببساطته المتناهية يجعل ما عداه يبدو مجردا من الذوق . ولم يتأثر غير الخشب فقط بمرور الزمن ، فتطل أو تقلص حجمه الى درجة حالت دون اعادته استخدامه عندما أراد اخصائيو بعثة بوسطن — هارفارد اعادته تركيب الأشياء كما كانت قبل تسليمها الى المتحف المصرى بناء على قوانين الحفر المصرية .

ومن رأى ريزنر أن بعضا من هذه الأشياء على الأقل قد استعملته حنوب . حرس أثناء حياتها . وهو رأى محتمل الى حد كبير ، فإن الأدوات الشخصية من هذا النوع كانت لا توضع فى المقبره حتى يحين وقت الدفن ، أما الأواني والجرار التى يضعون فيها المأكولات وغيرها فكانت توضع فيها مقدما . وبسواء اكانت هذه الأشياء جزءا من أثاث جناح الملكة فى القصر ام لا ، فإنه أمر ذو أهمية ثانوية . فأهمية هذا الاكتشاف الحقيقية هى فى الضوء الذى ألقاه على ما وصلت اليه الجهودات العملية والفنية فى الأسرة الرابعة ، وفيما أمدنا به من دليل لا يقبل الشك عن أنواع الأثاث الذى كان يوضع فى المقابر الملكية من ذلك العصر .

ومما زاد فى التأثير الفنى للهرم الأكبر تنسيق ما حوله من مباني . فقد كانت الأهرام الأخرى محاطة بمقابر موظفى وأقارب وأصحاب تلك الأهرام ، ولكنهم لم يعنوا الا قليلا بتنظيم أمكنتها وترتيبها ، ولكننا نرى فى شرق وغرب السور الذى كان يحيط بالهرم الأكبر جبانة كبيرة رتبت مصاطبها فى صفوف متوازية يبعد كل منها عن الأخرى بضعة أقدام . ولم يبن فى جنوب الهرم الا صف واحد منها بينما انعدم وجودها فى الشمال . وعنوا أيضا بتخصيص المقابر ، فتلك التى فى الجبانة الشرقية وزعت على أقرب أقرباء الملك ، وتلك التى فى الجبانة الغربية — وهى الأكثر عدداً — وزعت على الموظفين .

ومع أن معظم هذه المصاطب قد تعرت من كسوتها الخارجية كلها إلا أنه يجب أن نتصور أنها كانت كلها في الأصل مكسية بأحجار طره الجيرية . وكان لونها كلها على نمط واحد يتفق ولون الهرم الكبير الذى يرتفع عاديا في وسطها . ولاحظ هرمان يونكر (Herman Junker) الذى قام بحفر جزء من الجبانة الغربية ملاحظة جديدة بالاعتبار . وهى أن الفكرة المصرية عن رغبة الملك المتوفى بأن يظل محاطا في العالم الآخر باقاربه وأتباعه الخلاء ، لم توجد بهذه الصورة الواضحة كما وجدت في ترتيب مقابر هذه الجبانة . وربما قال قائل - وهو محق أيضا في قوله - بأن الفارق بين الحاكم الالهى وبين رعائيه المتوفين لم يمثل بصورة أوضح وأقوى من الفارق بين ذلك الهرم المتسامى في الارتفاع وتلك المصاطب المسطحة البسيطة .

ويبدو أن ما قصد اليه خوفا من التنظيم المعماري لقبره لم يلق الا قليلا من التقدير من الأجيال التى جاءت بعده ، ففى الأسرتين الخامسة والسادسة اختل النظام الأساسى للجبانة ببناء مصاطب أصغر حجما في المسافات التى بين صفوف المصاطب الكبيرة ، وكان أصحاب هذه المقابر اما موظفين في الجبانة أو من كهنة الموتى الذين كانوا يقومون في حياتهم بالواجبات المختلفة المعتبرة ضرورية لرعاية الملك المتوفى وعشيرته . وفى العصور المتأخرة ، وبالأخص في العصر الصاوى ، ساد الاعتقاد بأن الدفن في منطقة أهرام الجيزة الثلاثة يفيد الموتى فوائد خاصة ، ونتيجة لذلك أصبحت المنطقة أشبه بخليعة النحل تملؤها المقابر المختلفة ، وترتب على ذلك أن تصميمها الأول المنتظم أصبح خافيا على الأتظار من جراء ما استجد عليه .

ويقع تمثال أبى الهول جنوبى مجموعة الهرم الأكبر وعلى مقربة من مبنى الوادى للهرم الثانى (لوحة ٦ ب) . وهو عبارة عن ربوة من الصخر تركها بناؤو الهرم الأكبر عند قطع الأحجار لبنائه ، ثم شكلت في عصر خفرع في صورة أسد رابض هائل الحجم ذى رأس إنسانية . وأغلب الظن أنه كان مغطى بطبقة من الجبس لونوها بعد ذلك . وطول هذا التمثال يبلغ نحو ٢٤٠ قدما ، وارتفاعه ٦٦ قدما ، ومتوسط عرض الوجه ١٣ قدما و ٨ بوصات . وفوق رأسه لباس الرأس الملكى وشعاران آخران للملكية هما حية الكوبرا على جبهته واللحية ، وقد ضاع جزء كبير منها الآن . ومع أن الوجه قد تغير كثيرا إلا أنه ما زال شبيها بصورة الملك خفرع ، ولم يكن مجرد صورة رسمية عادية . وربما كان أمام صدر أبى الهول تمثال للملك ،

ولكن لم يبق له من الأثر اللهم الا اليسير ، وبين يديه الممتعتين لوحدة كبيرة من الجرائيت الوردى عليها نقش يسجل رؤيا للفرعون تحوتمس الرابع من الأسرة الثامنة عشرة ، قبل ان يعتلى العرش .

ويذكر النص ان الأمير خرج ليصطاد ، وعزم على ان يستريح وقت الظهيرة في ظل أبى الهول . وأثناء نومه وعده أبو الهول - الذى كان معتبرا في ذلك الوقت رمزا لاله الشمس حرما خيس Hormachis - بمنحه تاج مصر المزدوج اذا ازاح عنه الرمال التى كادت تبتلع جسمه . ولسوء الحظ تأثر الجزء الأخير من النقش بالجو تأثرا بالغيا الى الحد الذى يجعل قراءته متعذرة ، ولكن يمكن الظن بأنه يحكى كيف أن رغبة الاله قد تحققت ، وان الأمير قد كوفىء بتاج الوجهين . وعلاوة على ازاحة الرمال ربما قام تحوتمس الرابع بترميم الأجزاء المتهدمة من الجسم بوضع قطع صغيرة من الحجر الجيرى في الأجزاء التى تهدمت ، وكررت هذه العملية في عهد البطالسة وأيام الرومان عندما أزيحت الرمال للمرة الثانية وأقيم مذبح أمام التمثال . وأول من قام بحفر أبى الهول في العصر الحديث هو الكابتن كافيليا (Captin Caviglia) عام ١٨١٨ وتكلفت حفائره ٥٠ جنيها . وبعد مضي ثمانية وستين عاما من هذا التاريخ رفع جاستون ماسبرو Gaston Maspero ما حوله من رمال ، وأخيرا في عام ١٩٢٥ قامت مصلحة الآثار بتنظيفه وترميمه .

ويمثل الاسد في الأساطير المصرية حارس الأماكن المقدسة ، ولا يعرف كيف ومتى ظهرت هذه الفكرة ولكن يحتمل أن تاريخها يرجع الى عهد مترام في القدم . وكثير من المعتقدات البدائية الأخرى أمججه كهنة عين شمس في مذهب الشمس ، فاعتبروا الاسد حارسا لبوابات العالم السفلى في الأماقين الشرقى والغربى . واستمر الاسد في مهمته في الحراسة ولكن على صورة أبى الهول له وجه اله الشمس أتوم Atum . وفي نقش ربما يرجع تاريخه الى عصر أحدث من عصر خفرع يقول ما يأتى على لسان أبى الهول : « انى أجافظ على هيكل مقبرتك ، وأحرس حجرة دفنك ، وأطرد عنها الغرباء المتطفلين ، وأرمى بالأعداء الى الأرض وأسلحتهم معهم ، وأطرد الشرير من هيكل قبرك ، وأهلك خصومك من مخابئهم سادا أياها فلا يخرجون منها مرة ثانية » . وربما كان السبب في توحيد صورة اله الشمس مع صورة الملك المتوفى هو الاعتقاد بأن الملك سيصبح بعد موته اله الشمس نفسه حسب ديانة الشمس في هليوبوليس ،

ولهذا فان ابا الهول يمثل خفرع كاله للشمس ويقوم بعمل الحارس
لجبانة الجيزة .

وفي الجهة الجنوبية الشرقية من ابي الهول مبنى كان يظن في وقت
من الاوقات انه معبد خاص بابى الهول ، ولكننا نعرف الآن انه مبنى
الوادى في المجموعة الهرمية الخاصة بالملك خفرع . واكتشف اوجست
مارييت Auguste Mariette مؤسس المتحف المصرى هذا البناء
في عام ١٨٥٣ ، ومع انه نظفه كله من الداخل الا ان كمية كبيرة من
الرمال ظلت حول الجدران الخارجية ، وقام مارييت بتنظيف آخر في
عام ١٨٦٩ عندما أصبح هذا المبنى من اهم اماكن الزيارة التى يفد
اليها الزائرون الذين اتوا لحضور افتتاح قناة السويس . واخيراً في
موسم ١٩٠٩ - ١٩١٠ ازلت بعثة فون سيجلين Von Sieglin
الرمال عن الجدران الخارجية تحت ادارة اوفو هولشر Uvo Hölscher
وجورج شتيندورف George Steindorff أثناء قيامهم بالكشف
عن المجموعة الهرمية كلها .

واذا جعلنا في اعتبارنا قدم تاريخ مبنى الوادى فاننا لا نملك انفسنا
من الاعجاب بما هو عليه من حالة جيدة جدا . ولا يوجد مبنى آخر في
الاسرة الرابعة - اذا استثنينا المعبد الجنائزى غير الكامل لهرم ميدوم -
ظل محتفظا بحالته مثل هذا المبنى . وهو مشيد فوق أرض تبلغ أبعادهما
١٤٧ قدما في كل اتجاه ، ويعلو الى ارتفاع ٤٣ قدما ، وبنيت جدرانه
الضخمة من مداميك من الحجر الجيري المحلى ، وكسيت من الداخل
والخارج بأحجار منحوتة من الجرانيت الوردى المصقول المجلوب من
أسوان (شكل ١٥ - ١) ولم تبن الجدران الأربعة الخارجية عمودية ،
بل مائلة حسب الطراز السائد في ذلك العهد . ولهذا المبنى بابان
في الواجهة الشرقية ربما اقيم على جانبيهما تمثالان لأبى الهول ، ويؤدى
هذان البابان الى مدخل البناء من رصيف قد فى الصخر ، وحول كل باب
شريط من الكتابة الهيروغليفية فيه اسم الملك والقبابه ، ولا نعرف
غيرها من كتابات او نقوش فى أى مكان من المبنى . وتؤدى الممرات
القصيرة من البوابة - عن طريق يشبه الدهليز البسيط - الى رواق
طويل وجد « مارييت » فى أرضيته حفرة عميقة تحتوى على تمثال
لخفرع من الديوريت ، وهو من أحسن الأثلة فى فن النحت فى الدولة
القديمة التى كشف عنها حتى الآن (لوحة ٨) .

وكان هذا التمثال — الذى يزيد قليلا عن الحجم الطبيعى — موضوعا فى الأصل فى الصالة التى تشبه فى شكلها حرف I والتى تقع فى الجهة الغربية من الرواق المستطيل . وتاريخ نقله الى هذه الحفرة غير محقق ، وربما يرجع الى الرغبة فى الاحتفاظ به من العبث والضياع . وفى يوم من الأيام كان فى هذا المعبد مجموعة من ثلاثة وعشرين تمثالا ملكيا مصنوعة من الديوريت والارذواز والمرمر كانت تستند الى جوانب الصالة ، سبعة عشر تمثالا منها فى جذع حرف T والستة الباقية فى مواجهة الشرق فى الجزء الباقى من الصالة . وكان الضوء يدخل الى الصالة من شقوق مائلة ، فتح جزء منها فى أعلى الجدران والجزء الآخر فى أعلى السقف الجرانيتى المسطح ، بحيث لا تقع الأشعة مباشرة على التماثيل ولكن تنعكس عليها من الأرضية المرمرية ومن الأعمدة المربعة الضخمة المصنوعة من الجرانيت الوردى التى تحمل السقف . ويبدو أن مثل هذا التور غير كاف لظهار جمال التماثيل التى كانت آيات فنية رائعة ، اذا حكمنا عليها من التمثال الذى بقى سليما منها .

ولكن التماثيل المصرية لم تكن لتصنع للزينة بل لتكون للروح بديلا لا يسهل تحطيمه . ولم يكن للنور المعتم أو الظلام الكامل أى تأثير على وظيفة ذلك البديل عن الجسم البشرى ، ونعرف ذلك تمام المعرفة من عادة وضع التماثيل فى سراديب . ولم يتضح تماما الدور الذى كان يؤديه مبنى الوادى فى تأدية الطقوس الجنازية ، ورأى ريزنر Reisner عند مناقشته لشكله المعماري أنه مأخوذ أساسا من سرادق مكون من حصير محمول على قوائم ربطت مع بعضها بحبال ، وحدد ب. جردسلاوف (B. Grdseloff) — الذى أضافت أبحاثه الحديثة مادة علمية لما هو معروف عن الفرض من مبنى الوادى — وظيفة هذا المبنى بأنه كان يسمى فى النصوص المصرية سح . نثر (سرادق الاله) .

وفى رأيه أيضا أنه يجمع غوائد بناءين أقنما فى الأصل منفصلين عندما بنيا ضمن مصاطب الدولة القديمة ، وهما الـ « أبو » (خيمة التطهير) والـ « واعبت » (بيت التحنيط) . ويفترض جردسلاوف أن طقوس التطهير فى مبنى الوادى الخاص بخفرع ، قاموا بها فى كشك مؤقت بنى فوق السقف يوصل اليه عن طريق منزلق مبلط بالمرمر من ممر يبدأ عند الركن الشمالى الغربى من الصالة التى تشبه حرف T ولا تزال النقوب المستديرة التى ربما استعملت لتثبيت القوائم فى مثل هذا السرادق واضحة فى بلاط السقف . وافتراض أيضا أن تحنيط الجثة

تم فى الرواق المستطيل ، ولكن ظهرت أبحاث بعد ذلك تعكس ما افترضه .
جردسلوف ، وذلك بأن التطهير كان فى الرواق المستطيل وأن التحنيط .
كان فوق السقف .

ولعب التطهير بالغسل دورا هاما فى الطقوس المصرية فى كل
العصور ، فكانوا مثلا يغسلون جسم الملك فى احتفال فى البحيرة
المقدسة الخاصة بمعبد رع فى عين شمس قبل أن يدخل المبنى ، وكذلك .
لا بد أن تطهر جثته بالغسل قبل أن تدخل الى النطاق المقدس من قبره .
واعتقدوا علاوة على أن عملية التطهير تجدد الملك المتوفى ، تماما
كما كان يظن أن اله الشمس يولد كل صباح بالاستحمام فى « بحيرة
الزنبق » قبل القيام برحلته عبر السماء . وتعاد الحياة الى أوزيريس
أيضا — بناء على إحدى القصص — بتطهير جسده ، ولذا كان يظن
أن الملك المتوفى عندما وحدوه مع أوزيريس ينال حظا مماثلا اذا
فعلوا له الشيء نفسه .

وبعد اتمام مراسم التطهير تؤخذ جثة الملك للحنيط ، وذلك اما فى
الرواق المستطيل أو فى السراى المقام فوق السقف ، أى فى المكان
الذى يقوم مقامه الـ « واعبت » . ولم تكن عمليات التحنيط المتقن فى
الدولة الحديثة قد عرفت واستخدمت فى عصر بناء الأهرام ، ومع أنه
لا يوجد أى دليل على استخدام ما يحفظ الجسم من التحلل فان وجود
الصندوق الكانوبى محتويا على أحشاء الملكة فى مقبرة حتب . حرس
يثبت أن معظم الأعضاء القابلة للتعفن كانت تزال من الجسم . ونعرف
أيضا من بعض مقابر الدولة القديمة أن الجسد كان يلف فى لفائف من
الكتان بحيث يلف كل عضو على حدة ، وكانت تحشى فى بعض
الأحيان وسائد من الكتان تحت اللفائف حتى يظل الجسم محتفظا
بشكله الطبيعى ، وأحيانا أخرى تشكل صور بعض الأعضاء الأخرى .
— مثل الأنف والشفاه والصدر وأعضاء التناسل — بالكتان وهى أشياء
لا ضرورة لها لو أنهم كانوا قد عرفوا وسيلة فعالة لحفظ الجسم .

وكان ثالث المراسم التى تتم فى مبنى الوادى ما يسمى « فتح الغم » ،
فبعد عملية التطهير ولف الجسد فى اللفائف يؤخذ الى الصالة التى تشبه
حرف T حيث كانت تقوم الثلاثة والعشرون تمثالا ، فيدون الكهنة
— ومن بينهم واحد على الأقل من أبناء الملك المتوفى — من كل تمثال ،
الواحد بعد الآخر ، فيثيرون عليها الماء ويعطرونها بالبخور ويقدمون
امامها الذبائح ويلبسون افواهها بآلات مختلفة ، من بينها القشوم
والازميل ، ويمسحون افواهها باللبن ثم يزينونها بشمعائر الملك .

وفيما تلا من عصور كانت هذه المراسم تؤدي أيضا على جسد المتوفى ، ولكن هذه العادة لم يبق بها المصريون الا بعد الدولة القديمة ، وكان يظن أن اجراءها يمنح التمثال أو المومياء حواس الشخص الحى .

وكان انجاز هذه الطقوس الثلاثة فى مبنى الوادى يستغرق بضعة أسابيع ، فقد جاء فى نقوش مقبرة الملكة مرسمنخ (Meresankh) — التى ربما كانت احدى زوجات خفرع — أن تحنيطها قد استغرق مائتين واثنين وسبعين يوما . وهذا ما يتطلبه تحنيط الملك على الأقل ، وبعد ذلك توضع الجثة فى تابوت خشبى ، ثم يحملونها الى خارج مبنى النوادى عن طريق الممر الذى يصل بين الصالة والطريق الجنازى (شكل ١٥ — ٢) .

وكان يتحتم أن يمر الموكب فى طريقه داخل الممر على مدخل ممر ضيق يؤدي الى حجرة صغيرة بنيت من المرمر ، ولكن الفرض من هذه الحجرة ما زال مجهولا ، وقد أراد هولشر أن يفسرها بأنها كانت حجرة البواب الذى كان من واجبه حراسة المدخل الى الطريق الجنازى ، الا أن جردسلف رأى أنها كانت تستعمل لتخزين الطعام والقرايين التى يحتاجون اليها أثناء القيام بالمراسيم الثلاثة ، كما فسرها أيضا وجود ستة مخازن طويلة مرتبة فى طابقين — ثلاثة فى كل طابق — وتقع فى نهاية ممر يفتح فى الجانب الجنوبى من الصالة ، بأنها كانت مخصصة لوضع المواد المختلفة والأدوات الدينية التى يحتاجون اليها أثناء الطقوس الثلاثة وأن كلا منها كان يحتاج الى مخزنين .

ولكيلا تكون هناك ضرورة لبناء جسر فوق منخفض عميق شرق المعبد الجنازى مباشرة بنى الطريق الجنازى على حافة الصخرة ، ويمر مائلا من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى ، وطول هذا الطريق أكثر من ربع ميل وعرضه نحو ١٥ قدما . ولم يبق شيء منه سوى جزء من الأساس الصخرى وبعض كتل من أحجار طره الجيرية من جدران وأرضية ممره . وعندما كان سليما ارتفعت جدرانه عمودية من الداخل ، أما وجهها الخارجى فكان يميل ميلا واضحا . وإذا كان هيرودوت على صواب فيما كتبه من أن الطريق الجنازى للهرم الأكبر كان مغطى بنقوش ، فلا بد أن تكون الجدران الداخلية للممر هذا الطريق الجنازى محلاة بنقوش أيضا . وكان مسقوما بكتل من الحجر وضعت مستطحة ، وربما يرجع تاريخ تسقيف الطرق الجنازية الى الوقت الذى بدأوا فيه يضعون النقوش على جدران ممراتها . ويبدو أن

الطريقين الجنازيين للهرم المنحنى وهرم ميدوم قد خلا كلاهما من النقوش فلم يسبقنا بكل تأكيد ، وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون الطريق الجنازى للهرم الأكبر ، هو أول طريق سقف ليحمى النقوش الملونة على جدرانه ، وكان الضوء يدخل الى هذا الممر من شقوق افقية فتحت وسط السقف من اوله الى آخره .

وبما أن المطر كان يحتمل دخوله ايضا من هذه الشقوق ، وإذا لم يصرف فانه يتجمع منحدرًا الى مبنى الوادى ، لهذا عملوا مجرى ضيقا فى الأرضية عند الطرف الأسفل من الطريق الجنازى ليوجهه الماء فيخرج خلال فتحة فى الجدار الجانبى .

فاذا نقلت جثة الملك الى المعبد الجنازى لم يعد فى استطاعة من يقف خارج الطريق الجنازى أن يرى الاحتفال ، ولا شك أن مثل هذا الحجب كان متعمدا ، ولو أن الباعث الذى دعا اليه لا يمكن استنتاجه بدقة . ويبدو أن التفسير المعقول هو أنهم كانوا يظنون أنه من الضرورى حماية الجسد الميت بعد تطهيره ، فى مبنى الوادى ، من نظرات أولئك الذين لم يتطهروا وفق طقوس خاصة . ولم يكن وضع الجسم داخل تابوت خشبى كافيا لحمايته من التدنس ، وربما كان لزاما على غير الكهنة من الأشخاص الذين كان عليهم مرافقة النعش الى المعبد الجنازى ، أن يتم تطهيرهم قبل انضمامهم الى الموكب . أمّا الكهنة — واسمهم فى اللغة المصرية وعب ، أى « طاهر » — فانهم كانوا متطهرين فى كل وقت من الأوقات .

ولم يبق من المعبد الجنازى غير خرائب ، وكان مبنى منخفضا مستطيل الشكل يبلغ طوله نحو ٣٧٠ قدما وعرضه ١٦٠ قدما ، بنيت جدرانه بالأحجار المحلية وكسيت من الداخل بالجرانيت ، ولكن باقى البناء كان ذا كساء من أحجار طره الجيرية .

وهناك خمس حفر للمراكب فى الصخر قريبة من الجدارين الشمالى والجنوبى ، ولا تزال حفرتان منها تحتفظان بأسقفهما من كل الحجر الجبرى ، ولكن لم يوجد أثر للسفن الخشبية .

وفى جميع المعابد الجنازية التى تم الكشف عنها لا يوجد معبد جنازى واحد نستطيع أن نقول أنه صورة مماثلة لغيره ولكنها تختلف فى الترتيب وفى التفاصيل المعمارية فقط .

ومنذ عصر خفرع حتى نهاية الدولة القديمة نرى أن كل معبد يحتوى على خمسة عناصر أساسية : صالة المدخل ، وفناء مكشوف ، وخمس كوات للتماثيل ، ومخازن ، ومقدس . ومن المحتمل أن المعبد الجنائزى للهرم الأكبر كان ذا تصميم مشابه ، ولكن حالته الخربة تجعلنا لا نستطيع تحديد تفاصيل رسمه .

وفى معبد خفرع لا يؤدى الطريق الجنائزى الى صالة المدخل مباشرة بل الى ممر طويل ، وتفتح على هذا الممر بضع حجرات ربما تصد منها أن يضعوا فيها الأدوات المستعملة فى احتفالات المعبد .

وفى الجزء الأوسط يتسع الممر فيصبح شبيها بالردهة (شكل ١٥ — ٣) التى تتصل بصالة المدخل عن طريق ممر ضيق ، وتتكون الصالة من جزأين : الأول مستعرض (شكل ١٥ — ٤) والثانى طولى (شكل ١٥ — ٥) ، وتحمل سقف كل من الدهليز وصالة المدخل أعمدة مستطيلة كل منها من كتلة واحدة من الحجر الجرانيتى الوردى ، تشبه تلك التى فى مبنى الوادى ، وفى كل طرف من طرفى الجزء المستعرض من صالة المدخل حجرة طويلة ضيقة فى داخل قلب البناء . ولما كان الحائط الخلفى فى كل حجرة مكونا من كتلة واحدة من الجرانيت فقد ظن هولشر أنهم نحتوا سطحها على صورة ما يشبه تمثال الملك ، فاذا صح هذا التخمين فان هذه الحجرات كانت سراديب من نوع ليس له مثل فى المعابد الجنائزية الملكية .

ويقع خلف صالة المدخل الفناء المكشوف الذى كانت جدرانه من الجرانيت الوردى أيضا وأرضيته من المرمر (شكل ١٥ — ٦) ، وعثر فى وسط هذا البناء على أثر بالوعة يوحى بوجود مذبح فى هذا المكان . وكانت هذه البالوعة لازمة لتصريف دماء ما يقدمونه قربانا من الحيوانات والسوائل المختلفة التى تقدم فى الطقوس الدينية ، ولكن من جهة أخرى ربما كانت وظيفة هذه البالوعة قاصرة على تصريف مياه الأمطار التى قد تتراكم فى المعبد . وكانت تماثيل الملك موضوعة على مسافات منتظمة حول جدران الفناء ، وربما كانت فى الهيئة التى تختص بها تماثيل الاله أوزيريس ، وكان بين التماثيل أبواب تفضى الى ممرات قصيرة تصل الفناء بممر يحيط به .

وأمام كل من الأبواب الغربية الخمسة التى كانت أمام الممر نرى كوة عميقة كانت تحوى تمثالا للملك . ولم يتغير عدد التماثيل فى أى معبد جنازى بعد ذلك ، ومن المحتمل أن كل تمثال منها كان منقوشا عليه اسم من أسماء الملك الخمسة الرسمية التى انتحلها الملك يوم اعتلائه العرش .

وكان الفناء المكشوف هو الحد الذى لا يسمح بعده لأحد — غير الكهنة — بأن يتقدم . وفى أثناء احتفالات المعبد يحتجم على من يكون حاضرا من غير رجال الدين أن يبقى فى الفناء ، بينما تتقدم الكهنة عن طريق الممر أمام كوات التماثيل الى المقدس (شكل ١٥ — ٨) .

وكان الشيء الأساسى للمقدس وجود باب وهمى فى الجدار الغربى ، ومذبح منخفض عند قاعدته ، وكان الكهنة يضعون القرابين يوميا على هذا المذبح . ولما كانت روح الأشياء المقدسة هى ذات أهمية للميت وليست صفتها المادية ، فان بقاء القرابين فى أماكنها دون أن يمسسها أحد حتى يغيروها لم يكن بالأمر الذى يشغل بال المصريين القدماء . وهناك خمسة مخازن بين المقدس وكوات التماثيل الخمس . وربما كان هذا التوافق فى العدد أمرا غير عرضى أو مصادفة . وكذلك فى البناء ، فقد شاركت المخازن خصائص الكوات فى كونها الأجزاء الوحيدة فى المعبد التى لم تكس أوجهها بالجرانيت وبلطت أرضيتها بالمرمر . واحتوت المخازن على أوان حجرية ومؤنة احتياطية من الطعام ربما احتاجها الملك اذا أهمل الكهنة واجبهام اليومى وهو تجديد القرابين التى تقدم اليه .

ويؤدى منزلق طويل من الركن الشمالى الغربى الى الممر المحيط بالفناء المكشوف المرتفع الذى يقوم الهرم فوقه . وان موقع المدخل من موقع المنزلق يجعلنا نعتقد ان الوصول الى داخل سور الهرم كان مباحا للأشخاص الذين لم يكن مريضا لهم بالدخول الى الأجزاء الداخلية من المعبد الجنازى ، ولذلك فعند القيام بالمراسم الجنائزية ربما دخل الحفل كله الى الهرم (شكل ١٥ — ١) بعد أن تتم عملية « فتح الفم » على التماثيل التى فى الكوات . ولا بد أن البنائين والعمال الذين كانوا يقومون بسد وقفل مدخل الهرم كانوا يصلون الى داخل حرم الهرم عن طريق هذا المنزلق . وقد منع الجدار العالى الذى يحيط بالهرم الوصول اليه عن طريق مباشر آخر .

وجد بين الهرم والجدار المحيط به رصيف يبلغ عرضه نحو ٣٤ قدما من ناحية الشمال والشرق والغرب ، اما من ناحية الجنوب

فيزداد عرضه قليلا حيث اقيم هرم اضافى امام منتصف هرم الملك
تقريبا . وبين المعبد الجنائى وواجهة الهرم الشرقية طريق مرصوف .
ونجد فى داخل أسوار الأهرام الأخرى أن المبنيين متلاصقان ،
ولذلك لا توجد مسافة بين الباب الوهمى والهرم . وتفسيرا لهذا
الشذوذ عن القاعدة ظن « بورخارت » أنه كان يوجد باب وهمى ثان
أقيم فى واجهة الهرم الشرقية ، ولكن لم يوجد أى أثر لهذا الباب
أثناء الحفائر .

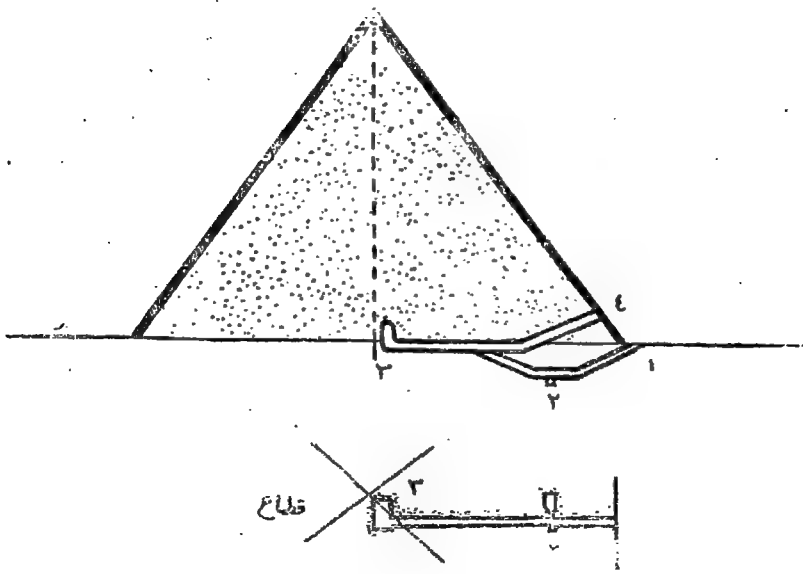
وأهم المعالم الخارجية المميزة لهرم خفرع هى حجمه ، وذلك الجزء
الباقى من كسائه الخارجى الذى ما زال باقيا بالقرب من القمة ، وقد
حفظت بعض أجزاء الكسوة أيضا عند القاعدة ، إلا أن الحجر المستعمل
يختلف فى المكانين ، فالبقية العلوية مكونة من حجر طره الجيرى ،
والسفلية من الجرانيت الوردى وهى المادة التى استعملت فقط لكساء
المدامك الأسفل . وذكر هيرودوت فى وصفه للهرم أن خفرع
استعمل الحجر متعدد الألوان الوارد من اثيوبيا Ethiopia (١)
لبناء الجزء السفلى منه ، وربما كان ذلك راجعا الى الاعتقاد الخاطيء
بأن الجرانيت لم يكن للكسوة فقط بل انه استخدم كرصيف بنى عليه
الهرم . وربما كان حجر القمة ، الذى اختفى الآن ، مصنوعا من
الجرانيت أيضا .

ونظرا لتشديد هذا الهرم فوق أرض مرتفعة قليلا ، فان بعض
الناظرين اليه يظنون خطأ أنه أكثر ارتفاعا من الهرم الأكبر ، ولكن
ارتفاعه الحالى ٤٤٧ م قدما أى أنه أقصر من ارتفاع الهرم المجاور
بقدمين ونصف قدم . وفى الأصل كان ارتفاعه ٤٧١ م قدما ، ولذا كان
أقل ارتفاعا من الهرم الأكبر بنحو ١٠ أقدام عندما كان الأخير أيضا
كاملا . والمساحة التى يشغلها هرم خفرع اليوم تبلغ حوالى ٦٩٠ م
قدما فى كل ضلع ، وكان يبلغ طول كل ضلع فى الأصل ٧٠٧ ٣/٤ م قدم ،
لذا فان أبعاد القاعدة كانت تقل بنحو ٤٨ م قدما فى كل اتجاه عنها فى
الهرم الأكبر . وترتفع أوجه الهرم بزاوية مقدارها ٢٠° - ٥٢° أى أن
زاويته أكبر من زاوية الهرم الأكبر ، وهذه الحقيقة تفسر الفرق البسيط
فى الارتفاع بين الهرمين ، إذ قارنا ذلك بالفارق الكبير فى طولى
قاعدتيهما .

(١) Herodotus, Book III, p. 127.

ولا يكاد هرم حمرع يتناسبه في نظامه الداخلى مع الهرم الأكبر ،
 فله مدخلان : واحد في الواجهة الشمالية على ارتفاع يقرب من
 ٥٠ قدما ، والآخر تحته مباشرة منحوت في الأساس الصخرى للرصيف
 المحيط به (شكل ١٦ - ١٥) . ويقع كلا المدخلين على مسافة
 تبعد بنحو ٤١ قدماً الى شرق محور الهرم الشمالى - الجنوبى ، ومن
 المدخل العلوى ينحدر ممر منخفض ضيق بزاوية مقدارها ٥٥ ٢٥ -
 داخل قلب بناء الهرم حتى يخترق الصخر ثم يصبح أفقياً ، ويستمر
 كذلك حتى حجرة الدفن (شكل ١٦ - ٣) . وقد كسى سقف وجدران
 وأرضية القسم المنحدر بأكمله وجزء صغير من القسم الأفقى بأحجار
 من الجرانيت الوردى ، وبالقرب من نهاية التغطية الجرانيتية نرى
 شقوقاً رأسية فى الجدران لوضع سقاطة من الجرانيت لا تزال
 بقاياها المهشمة فى مكانها حتى الآن . أما حجرة الدفن فقد نحتت كلها
 - ما عدا السقف - فى الصخر ، ويتكون سقفها الهرمى المدبب من
 كتل من الحجر الجيرى تميل بزاوية مماثلة لزاوية أوجه الهرم .
 ويبلغ طول الحجرة ٤٦٥ قدماً من الشرق الى الغرب ، وعرضها
 ١٦٥ قدماً ، وارتفاعها ٢٢٥ قدماً . وفى جانبها الغربى نرى تابوتا
 مستطيلاً دقيق الصنع من الجرانيت المصقول موضوعاً فى أرضية
 الغرفة الى مستوى غطائه ، أما الغطاء نفسه فما زال ملقى الى جانب
 التابوت مكسوراً الى قطعتين ، وهى الحالة التى وجده عليها فى عام
 ١٨١٨ جيوفانى بلزوني (Giovanni Belzoni) أول باحث أوروبى
 دخل هذا الهرم فى العصر الحديث .

أما جثة خفرع فلم يعثر على أثر منها فى التابوت ، ويسير الممر
 السفلى (شكل ١٦ - ١) فى بدايته فى اتجاه مشابه للهرم العلوى ،
 إلا أنه منحوت كله فى الصخر ، وبعد سيره بانحدار بدرجة ٤٠ ٢١ -
 يصبح أفقياً لمسافة قصيرة ، ثم يرتفع ثانية بزاوية كبيرة ليتصل بأرضية
 القسم الأفقى من الممر العلوى . وفى هذا الممر أيضاً سقاطة من
 الجرانيت ، ولكن الجدران لم تكس بالجرانيت . وفى الجدار الشرقى
 من القسم الأفقى من الممر نرى دخلة أمامها ممر منحدر يؤدى الى
 حجرة طولها ٣٤ قدماً و ٣ بوصات ، وعرضها ١٠ أقدام و ٤ بوصات ،
 وارتفاعها ٨ أقدام و ٥ بوصات (شكل ١٦ - ٢) . وما من شك فى
 أن الغرض من هذه الحجرة عند بنائها هو أن يوضع فيها تابوت الملك ،
 ولذا يجب أن نجد تفسيراً للعدول عن ذلك .



شكل (١٦) هرم خفرع • قطاع في اتجاه الناحية الغربية ، مع رسم قطاع أفقى

إذا فحصنا هذه الحجرة يلفت يظننا وجود أمرين غير مألوفين ربما ساعدانا على حل الموضوع ، أولهما أن الحجرة قريبة جداً من مدخل الهرم ذاته خارج حدود البناء العلوى للهرم . وفى الأهرام الأخرى المعاصرة نرى حجرة الدفن تقع تقريباً تحت القمة ، والمدخل فى الواجهة الشمالية . فلو فرضنا أن التصميم الأول للهرم هو أن يكون الى الشمال من مكانه الحالى بمسافة تقرب من ٢٠٠ قدم ، لأصبح كل من الحجرة والممر فى مكانهما المعتاد . والسبب المحتمل للتغيير فى التصميم هو العثور على أساس صخرى مناسب للطريق الجنائزى كان مختفياً تحت الرمال الى الجنوب من المكان الذى كان قد وقع عليه الاختيار .

وهناك مشكلة أخرى من الصعب أن نجد لها حلاً مقبولاً ، وهى الغرض من الممر المنحدر الذى يصل الأماكن السفلى بالممر العلوى . فالتفسير الوحيد الذى أمكن التفكير فيه هو أنه استعمل لنقل التابوت من الحجرة القديمة الى الحجرة الجديدة ، ولكن يبدو أن عملية قطع ممر جديد فى الصخر عمل شاق ولا داعى له ، اذ كان من الميسور اخراج التابوت من الحجرة القديمة عن طريق ممر المدخل الأسفل ثم ادخاله الى الحجرة الجديدة من أعلى قبل بناء السقف الهرمى (جمالون) . على أن الحقيقة التى ستظل باقية هى أن الممر قد أُنشئ لغرض من الأغراض ، وأنه بعد تأديته لذلك الغرض سد بكتل من الحجر

الجيرى ما زال الكثير منها فى مكانه الاصلى ، وقد سد المر السفلى بهذه الطريقة سدا محكما حتى انه لا يمكن دخوله الآن (١) .

والى الغرب من الهرم ، وفى خارج السور ، كان هناك عدد كبير من الأروقة التى حدد سير فلندرز بترى وظيفتها بأنها كانت ثكنات يعيش فيها البنائون والعمال الذين كانوا يعملون فى تشييد المجموعة الهرمية . وقد اختفت الآن هذه الأروقة كلية تحت الرمال ، ولكن بترى — الذى قام بمسح المنطقة بين ١٨٨٠ و ١٨٨٢ — قرر أن عددها واحد وتسعون رواقا ، يبلغ طول كل منها ٨٨ قدما وعرضه ٩ أقدام وارتفاعه ٧ أقدام (٢) . وبنيت جدران هذه الأروقة من أحجار غير منحوتة من الحجر الجيرى ، وكانت مطلوة بطبقة من الطين . كما غطيت الأرضية بطبقة من نفس المادة . وتقوم دعائم عريضة من الحجر الجيرى بمثابة أطراف الجدران عند المدخل . وسد الطرف الشرقى من كل رواق بجدار واحد يكون زاوية قائمة مع الأروقة ، ويكاد يكون موازيا للجانب الغربى من الهرم .

وإذا أردنا مقارنة هرم خفرع بالأهرام التى بنيت قبله ، فان هذا الهرم هو أول واحد منها نستطيع أن نتعرف فيه على جميع أجزاء المجموعة الهرمية التى تظهر فيها جميع العناصر المعمارية على أتم صورها . ففى المجموعات الهرمية السابقة ، وبالأخص مجموعة الهرم الأكبر ، فان كثيرا من معالمها البارزة لم تكن فى حالة من الحفظ تسمح بمقارنتها وبالمثل المعبد الجنائزى لهرم ميدوم الذى كان لا يزال فى حالة ابتداء ، اذا تحدثنا عنه من الناحية المعمارية . أما فى مجموعة هرم خفرع فان معظم مبنى الوادى سليم ، وأساسات الطريق الجنائزى واضحة تماما ، وبقي من المعبد الجنائزى قدر كاف يساعد على تحديد تخطيطه تحديدا تاما . ويحوى كل من هذه المباني فى تصميمه كل العناصر الأساسية لمجموعات الأهرام التى بنيت بعد ذلك ، مع ادخال بعض التعديلات فى التفاصيل أو عمل تجديدات زخرفية ، ولكن الهيكل الأساسى ظل دون تغيير .

ويقع الهرم الثالث من مجموعة أهرام الجيزة فى الركن الجنوبى من الهضبة (لوحة ١) ، وبالرغم من أن هيرودوت وديودور الصقلى — الذى زار مصر فى أواسط القرن الأول قبل الميلاد — قد نسباه الى منكاورع ، الا أن ذلك لم يتحقق بصفة قاطعة الا فى عام ١٨٣٧ — ٢٨

(١) قامت مصلحة الآثار المصرية فى عام ١٩٤٩ بتنظيف هذا المر ويمكن دخوله الآن بسهولة . (العرب) .

(٢) Petrie, The Pyramids and Temples of Gizeh, pp. 101-3.

عندما وجد الكولونل هوارد فيس اسم منكاورع مكتوبا بالمغرة الحمراء على سقف حجرة الدفن في ثاني الأهرام الثلاثة الإضافية لمجموعته الهرمية . ثم جاءت الأدلة الأخرى من حفائر بعثة جامعة هارفارد ومتحف بوسطن للفنون الجميلة التي قامت بحفر المنطقة بين عامي ١٩٠٥ ، ١٩٧٢ تحت إدارة ج. ا. ريزنر .

ولم تلق النصوص المعاصرة أى ضوء على حياة وطباع منكاورع ، ويظهر أن ذكراه بين المصريين في العصور المتأخرة جداً كانت طيبة ، وكان متصفاً بالقوى والعدل ، بينما اعتبروا خوفاً وخفراً ملكين شريرين مستبدين .

ويتحدث هيرودوت — الذي ردد تلك الأحاديث المتواردة عن منكاورع — بالعبارات الآتية : « ... واستنكر هذا الأمير (يعنى منكاورع أخلاق أبيه ففتح المعابد ، وسمح للشعب الذى وصل الى احط دركات التعاسة ، بأن يعود كل الى عمله ، وأن يعودوا الى تقديم القرابين . فسبق في عدالته جميع الملوك السابقين ، وامتدحه المصريون بسبب ذلك أكثر من أى ملك آخر من ملوكهم الآخرين ، مجاهرين بأنه لم ينصف في أحكامه فحسب ، بل انه عندما كان يرى أحد الناس غير راض بحكمه يعطيه تعويضا من ماله الخاص لكي يهدىء من سسورة غضبه » (١) . ولكن الآلهة كانت قد قررت أن يحكم مصر حكام مستبدون لمدة مائة وخمسين سنة ، فبناء على هذه القصة ، ولما كان حكم خوفاً وخفراً قد دام مائة سنة وستاً ، فقد كان على المصريين أن يتوقعوا اربعا وأربعين سنة من العذاب عندما اعتلى منكاورع عرش البلاد . ولكيلا تغير الآلهة ما حكمت به ، قررت أن يكون حكم منكاورع العادل الرحيم حكما قصيرا ، ولكن مع انذاره بأن منيته قد قربت . .

وها هى كلمات هيرودوت : « .. وجاءته نبوءة من مدينة بوتسو ثائلة له : « ستعيش على الأرض ست سنوات وستنتهى أيامك في العام السابع » ، وغضب منكاورع وأرسل رسالة ملأى بالغضب الى النبوءة معلنا فيها عدم عدالة الاله قائلا : « ان كلا من أبى وعمى قد أغلقا المعابد ، ولم يأبها للآلهة ، وأهلكا جموعا كثيرة من الناس ، ومع ذلك فقد تمتع كل منهما بحياة طويلة . وأنا التقى أموت بعد وقت قليل ! » فوصله الرد من النبوءة في رسالة ثانية : « ولهذا السبب بالذات تنتهى حياتك سريعا . . فانك لم تفعل ما كان ينبغى عليك أن تفعله ، فقد قدر على مصر أن تقاسى المحنة مائة وخمسين سنة ، وقد فهم الملكان

اللذان سبقاك على العرش ذلك ، بينما لم تفهمه أنت ! » . وعندما وصلت الى منكاورع هذه الرسالة احس أن قضاءه أصبح محتوما ، فأمر بتجهيز المصابيح لايقادها كل يوم عند المساء ، وأقام المآدب ومتع نفسه بدون انقطاع طول الليل والنهار ، متنزها في الأحراش والغابات ، ومرتحلا الى الأماكن التي سمع بطيب العيش فيها ، وكانت رغبته اثبات كذب النبوءة بأحالة الليل الى نهار ، وهكذا عاش ست سنوات كأنها اثنتا عشرة سنة « (١) » .

وليس هناك ما يبرر الاعتقاد بأن القصة التي اقتبسها هيرودوت مستمدة في أصلها من حقائق تاريخية ، رغم وجود الدليل على موت منكاورع المفاجيء ، بعد حكم ربما دام ثمانى عشرة سنة ، اذ نرى ذلك في جميع مباني مجموعته الهرمية . ولا بد أن منكاورع كان يريد السير على نهج خفرع في اقامة مبنى الوادى ومعبده الجنائزى من الحجر الجيري المكسى بالواح من الجرانيت المصقول ، وأن يكون طريقه الجنائزى مشيداً من الحجر الجيري . الا ان حفائر ريزنر قد أظهرت أن الخطة لم تنفذ ، وأن الجزء الأكبر من العمل قد تم بسرعة ب مواد من نوع رخيص ، أو أنها تركت دون اتمام . وبنيت أساسات مبنى الوادى بالحجر فقط ، بينما بنيت كل مبانيه تقريبا بالطوب اللبن ، أما الطريق الجنائزى فقد كان رصيفا مكونا من الأحجار بنى عليها مهر من الطوب اللبن المطلوس من الداخل والخارج بالملاط الأبيض ، وكان مسقوفا بكتل من الخشب ، وأعدت أساسات المعبد الجنائزى والقلب الداخلى لبعض مبانيه من الحجر الجيري . وقد بدى في وضع بلاطات من الجرانيت في الأرضية ، وكسوا بعض الجدران بالجرانيت ، ولكن الطوب اللبن كان المادة التي عم استخدامها في انجاز الجزء الأكبر من البناء .

وهناك عدد من المقابر والآثار التي تركها أصحابها دون أن يتموها وقام بعدهم أبناؤهم أو خلفاؤهم باتمامها ، وعلى هذا يكون أمراً متمشيا مع المنطق اذا قلنا ان الملك شبسسكاف — الذى يعتقد أنه خلف منكاورع على العرش — هو الملك الذى أتم بالطوب اللبن المجموعة الهرمية لسلفه منكاورع . وأحد النصوص التي عثر عليها في المعبد الجنائزى يدل على أن شبسسكاف هو الذى أخذ على عاتقه اتمام المجموعة الهرمية ، اذ يقرر أنه « صنعه (المعبد) كتذكار لوالده ملك الوجه القبلى والبحرى (منكاورع) » .

ولكن كلا من مبنى الوادى والمعبد الجنازى قد ربما وعدل تصميميهما فى عصر متأخر . ونسب ريزنر هذه الاصلاحات وهذه التغييرات الى الكهنة الذين كانوا قائمين بالخدمة فى المعبد فى عصر الأسرتين الخامسة والسادسة . وأشار الى أن عملهم ربما لم يصدر عن شعورهم بالواجب فحسب ، بل بدافع من المصلحة الشخصية . اذ أنهم - ككهنة جنائزين - كان لهم الحق فى التمتع بإيرادات الوقف السخى الذى أوصى به الملك المتوفى ، فى مقابل خدمته فى المعبد ، وكان لهم أيضا الحق فى سكنى مدينة الهرم ، وهى عبارة عن مبان مسورة الصقت بمبنى الوادى ، كان يعنى سكانها من دفع ضرائب معينة . ولكى يضمنوا لأنفسهم هذه الامتيازات أصبح من النواجب عليهم أن يحتفظوا بكيان المبانى سليما ، وأن يفعلوا بعض ما يظهرهم بأنهم قائمون بالطقوس اللازمة فى المعبد . واختلفت الاصلاحات القديمة والجديدة من الناحية المعمارية والترتيب الداخلى عن مبانى خفرع ، ولكن لم تدخل عليها أية تغييرات أساسية فى تكوينها العام .

واكتشف ريزنر أثناء حفائره فى مبنى الوادى وفى المعبد الجنازى عددا كبيرا من التماثيل الكبيرة والصغيرة ، معظمها يمثل الملك اما بمفرده أو كفرد فى مجموعة ، اذ كان من بين ما عثر عليه فى مبنى الوادى بعض مجموعات تماثيل من حجر الاردواز تحوى كل منها ثلاثا مكونا من الالهة حاتور والملك وأحد آلهة الأثانيم (لوحة ٩) . ولا شك أن منكاورع كان يريد أن يكون لديه اثنتان وأربعون من هذه المجموعات الثلاثية ، تمثله كل منها فى صحبة اله والهة من آلهة الأقاليم ، غير أنه لم يعثر الا على أربع فقط منها وبعض أجزاء أخرى ، وربما لم يتم عمل العدد الباقى أبدا .

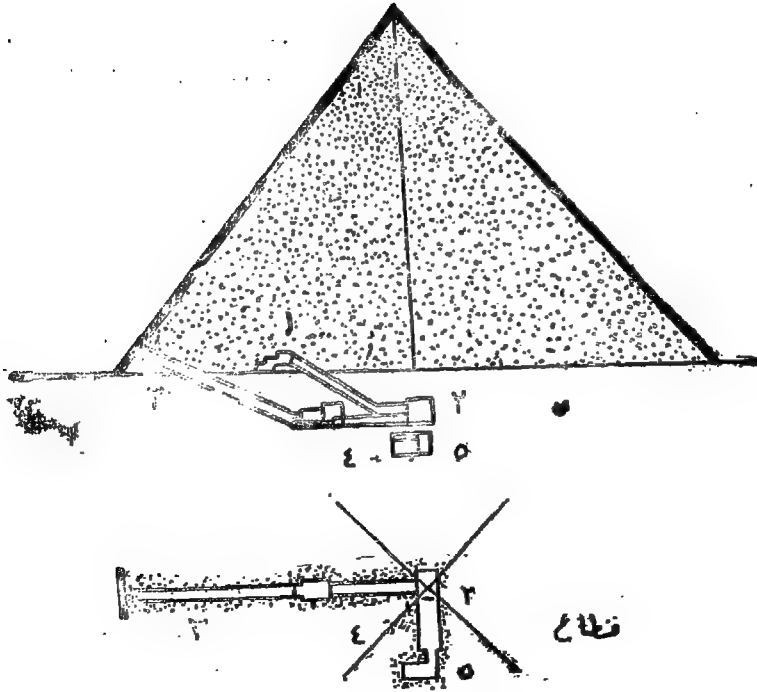
وعثر ريزنر أيضا على قطع فنية أخرى فى مبنى الوادى ، منها تماثيل يجمع بين الملك منكاورع والملكة خع - مرو - نبتى الثانية ، (لوحة ١٠) . وهذه التماثيل كلها أعمال فنية ممتازة يمكن مقارنتها بأحسن القطع الفنية التى عرفت من نوعها حتى الآن ، فقد نحتت كلها على أساس الطراز الفنى الطبيعى الذى يميز تماثيل هذه الدولة . وكان من نتيجة ذلك أنها وصلت الى درجة عالية من العناية باظهار بعض المميزات الفردية فى كل منها . ففى الأشكال الثمانية التى نرى فيها وجه الملك لا نجد اثنين منها يتشابهان تماما ، ولكن معظمها يبين الوجه بعينين متفتحتين قليلا ، وأنف مكسور ، والشفة السفلى مدلاة ، ويشبه

الوجه في كثير من مظهره وجه خفرع كما نراه في تمثاله الشهير المصنوع من الديوريت (لوحة ٨) ولكن عظام الخدين في الأخير أعلى والوجه أضيق .

وهناك خمسة عشر تمثالا صغيرا لهذا الملك تركت دون اتمام ، ويمكن تفسير ذلك بموت الملك المفاجيء وشح خلفه . ولئن كان ترك هذه التماثيل الصغيرة دون اتمام أمرا يؤسف له دون شك يحرمانا مما كنا نتوقعه من جمال فنى ، الا أنها بحالتها الراهنة تلقى كثيرا من الضوء على الطريقة الفنية التى كان يستخدمها المثالون المصريون ، ولهذا فهى الآن أهم مما لو كانوا قد اتموا نحتها . وقد قام ريزنر بفحص دقيق لهذه التماثيل ، وتمكن من تمييز ثمانى خطوات في تطور العمل ، يماثل بعضها الخطوات المختلفة التى نراها في التماثيل غير التامة في مناظر صناعة التماثيل في نقوش جدران المقابر .

ويشغل هرم منكورع أقل من نصف المساحة التى اقيم عليها الهرم الأكبر . ويبلغ طول كل ضلع في القاعدة ٣٥٦٥ قدم ، والارتفاع العمودى له الآن ٢٠٤ أقدام ، وكان عند تشييده يزيد أربعة عشر قدما . وكسى الجزء الأعلى منه بالطريقة العائنة بأحجار منحوتة من أحجار طره الجيرية . ولكن الستة عشر مدمكا السفلية كانت مكسية بالحجر الجرانيتى الوردى . وقد ترك بعض منها دون اتمام . ومن المرجح أن منكورع كان يريد كساء الهرم كله بالجرانيت ، ولذا يمكن أن نقول أن تغيير المادة بين الحد الذى وظف فيه العمل عند وفاته . ومن ناحية أخرى فربما كان الجمع بين الحجر الجيرى والجرانيت عن قصد ، وفى هذه الحالة يكون البرهان الوحيد على موت الملك المفاجيء هو وجود أحجار الجرانيت غير المصقولة عند القاعدة .

أما فى الداخل ، فهناك على الأقل تغيير واحد فى التصميم ، وربما تغييران . فالتصميم الأول يتكون من ممر منحدر من النوع المعتاد (شكل ١٧ — ١) قطعوه فى الصخر ويؤدى الى حجرة الدفن المستطيلة الشكل ومحورها الأطول من الشرق الى الغرب ، وعندما عدلوا هذا التصميم عمقوا أرضية حجرة الدفن (شكل ١٧ — ٢) ونحتوا ممرًا ثانيا تحت الأول (شكل ١٧ — ٣) . ويظهر أن السبب الوحيد لهذا التغيير فى التصميم كان عزمهم على تكبير البناء العلوى للهرم ، وما يحتمه ذلك من تشييد الممر فى مستوى منخفض ، لكى يحتفظوا بموقع المدخل فى التواجهة الشمالية الجديدة فى مستوى مرتفع عن سطح



شكل ١٧ - هرم منكاووع . قطاع في اتجاه الناحية الغربية ، مع رسم قطاع افقى

الأرض تقريبا ، وقد كسى الممر الجديد من المدخل بالجرانيت الى النقطة التي يبدأ عندها دخوله في الصخر . وعند أسفل المنحدر اتسع الجزء الأفقى من امتداد الممر ، وأصبح ردهة زينت جدرانها الصخرية بدخلات وخرجات منحوتة في الصخر ، ووضعت ثلاث سقطات من الجرانيت في هذا الممر بين تلك الردهة وبين حجرة الدفن .

ولم يشمل التصميم الثالث والآخر أى تغيير في المشروع الأول ، بل اقتصر على اضافة حجرتين : اولاهما لوضع الاشياء التي رغب الملك في أن تكون قريبة من جنته ، أما الثانية فهي حجرة دفن جديدة . ويمكن الوصول الى هاتين الحجرتين عن طريق منزلق ينحدر جهة الغرب من وسط أرضية حجرة الدفن الأصلية وينتهى بممر قصير أفقى . أما المخزن الذي يقع على الجانب الأيمن من الممر فيمكن الوصول اليه عن طريق بضع درجات (شكل ١٧ - ٤) ، وهو حجرة مستطيلة فيها أربع حجرات صغيرة عميقة في الجدار الشرقي واثنان في الجدار الشمالي ، والحجرة كلها مقطوعة في الصخر . وتقع حجرة الدفن الجديدة في نهاية الممر (شكل ١٧ - ٥) وقد شيدت كل جدرانها

وارضيتها وسقفها من الجرانيت . وقطعوا الجانب الأسفل من سقفها
المذهب على شكل مدور لتشبه بذلك السقف المقبى (الشبيه بالبرميل) .

وقد عثر الكولونل هوارديس داخل هذه الحجرة على تابوت
مستطيل من حجر البازلت زينت أوجهه على شكل دخلات وخرجات .
ولسوء الحظ ضاع هذا التابوت الجميل — الذى كان يحوى أصلا جثة
منكأورع — عندما غرقت السينة التى كانت تنقله الى انجلترا أمام
شاطئ اسبانيا . واكتشف الكولونل فيس فى حجرة الدفن الأضلية
بعض العظام الآدمية ، وغطاء تابوت خشبى على هيئة انسان
(Anthropoid) عليه اسم منكأورع . وهذا الغطاء موجود الآن فى
المتحف البريطانى ، ولا يمكن أن يكون قد صنع فى عهد منكأورع لأنه على
نمط لم يستخدمه المصريون قبل العصر الصاوى .

أما تحديد صاحب العظام فهى مسألة شائكة ، لأنه لا يوجد أى
برهان على أنها خاصة بذلك الملك . واعتقد « بورخارت » — وهو تحت
تأثير تاريخ غطاء التابوت — أن كل التصميم الثالث للهرم كان من
عمل المرممين الصاويين ، الذين وجدوا عند دخولهم الهرم أن حجرة
الدفن العلوية فى حالة فوضى ، وأن بقايا الجثة مبعثرة ومعرضة
للأنظار . ولكن بعد أن أعلن « بورخارت » وجهة نظره هذه كشفت
الحفائر عن مقبرة شبسكاف وثبت أنها تحتوى على مخزن وحجرة للدفن
يشبهان فى طرازهما مثيلهما فى هرم منكأورع .

ومن ذلك لا نرى أى داع للشك فى أن التصميم الثالث يرجع
تاريخه الى عهد منكأورع نفسه . أما ما قام به الصاويون فلم يزد على
وضع الجثة فى تابوت داخلى جديد ، ثم اعادتها الى تابوتها الأصلي ،
ولم يقوموا بعمل أى تغييرات فى البناء من أى نوع كان .

ويقع الى جنوب هرم منكأورع صف من ثلاثة أهرام اضافية ،
لم يتم العمل فى أى واحد منها على الأرجح ، ويقع أكبرها فى الطرف
الشرقى من هذا الصف ، وكسى جزء منه — مثل الهرم الأصلي —
بالجرانيت . ولكن العمل فى الهرمين الثانيتين لم يتقدم بعد البناء
الحجرى ، إذ أهمل العمل فيهما . وفى الناحية الشرقية من كل هرم بنوا
معبدًا جنازيا صغيرا من الطوب ، ولذا فمن المحتمل أن يكون شبسكاف
هو الذى بناها بعد موت منكأورع .

ولم يظهر أى دليل على شخصية أصحابها أثناء حفائر ريزنر لهذه
الأهرام ، ولكن حجم الأول منها يجعلنا نظن أنه كان للملكة خع
— مرر — نبتى الثانية ، وهى الزوجة الملكية الأولى . واكتشف

الكولونل فيس في الهرم الثانى منها تابوتا صغيرا من الجرانيت وبعض
العظام الآدمية التى قال انها كانت لامرأة شابة ، وعلى ذلك فمن المحتمل
أن يكون هذا الهرم قبرا للملكة شابة أو أميرة . أما صاحب الهرم
الواقع فى أقصى الغرب من هذا الصف فلا يعرف عنه شيء .

وعلاوة على الأهرام الثلاثة الكبيرة فى الجيزة وهرمى سنفسرو فى
ميدوم ودهشور ، فما زال هناك هرم آخر للملك من ملوك الأسرة
الرابعة وبانيه هو « ددف - رع » الذى حكم بين خوفو وخفرع ،
وقد اختار له مرتفعاً يشرف على الوادى عند أبو رواش على بعد
خمسة أميال الى الشمال من منطقة أهرام الجيزة . ولم يبق من بنائه
العلوى الا النزر اليسير ، ومن المستحيل أن نقدر أبعاده الأصلية
أو نجرؤ حتى على القول بأنه تم بناؤه . ويتكون بناؤه السفلى من
خندق مكشوف ، ينحدر الى أسفل نحو قاع بئر عمودية يبلغ عمقها
نحو ٣٠ قدماً ، وعرضها ٣٠ قدماً من الشمال الى الجنوب ، وطولها ٧٠
قدماً من الشرق الى الغرب .

ومن الغريب أن ددف - رع اختار العودة الى تصميم الخندق
المكشوف والبئر العمودية الخاصين بالأسرة الثالثة ، فى حين أن سلفه
خوفو قد نجح فى بناء الأجزاء السفلية من قبره بطريقة تستنفد مجهوداً
أقل من مجهود عمل خندق ، ولكن ربما كان اختلاف نوع الصخر فى
الهضبتين هو السبب فى ذلك .

ولا شك أن الاعتبارات الخاصة بطبيعة المنطقة هى التى حددت
خط الطريق الجنازى ، الذى بدلا من أن يسير من الشرق الى الغرب
نراه يتصل بالمعبد الجنازى من الشمال ، وذلك لأنه باتباع هذا الخط
أمكن استخدام إحدى الهضبات الصخرية ، وبذلك قلت كمية البناء
اللازمة للعلو به الى المستوى المطلوب . وقدر بترى - الذى قام
بدراسة هذا الطريق الجنازى - أن طوله كان حوالى ميل وارتفاعه فى
بعض المواقع ٤٠ قدماً . ولا يظهر الآن أى أثر لبنى الوادى ، ولكن
تدراً كافياً من المعبد الجنازى ما زال قائماً كالمعتاد أمام الواجهة الشرقية
للهرم ويكفى لاستخلاص رسمه التخطيطى . وبنيت جدرانه من الطوب
اللبن ، مما يرجح أن هذا المبنى شيد بسرعة بعد موت صاحبه . وتقع
الى جنوب هذا المبنى مباشرة حفرة عميقة ينبئ شكلها أنها حوت يوماً
مركباً من مراكب الطقوس الدينية .

ولم يبين شهبسكاف ، الذى أكمل مجموعة منكاورع الهرمية ، لنفسه
هرماً . وقد قام مرييت فى عام ١٨٥٨ بفحص قبره فى سقارة ، ولكنه

قال خطأ ان صاحبه هو الفرعون أوناس آخر ملوك الأسرة الخامسة ،
ثم قال بعد ذلك انه قبر أتى (Aty) خليفة أوناس .

و فى عام ١٩٢٤ قامت مصلحة الآثار المصرية بعمل حفائر فى المنطقة
تحت ادارة جوستاف جيكييه (Gustave Jequier) فتوصل الى
معرفة صاحبه الحقيقى ، ويعرف هذا القبر باسم « مصطبة فرعون » ،
وقد شيد على شكل تابوت ضخّم مستطيل فوق رصيف واطيء على
الأرجح . وتميل جوانب هذا التابوت الى الداخل بدرجة تبلغ حوالى
٦٥° ، وترتفع نهايته المربعة فوق مستوى سطح سقفه المقبى . ولم يبق
منه الآن الا قلب البناء المبنى بالحجر المحلى ، ولكنه كان فى الأصل
مكسيا بأحجار طرة الجيرية ، وعملت له « وزرة » من الجرانيت .
واقيم فى الجانب الشرقى منه معبد جنازى صغير ، يخرج من ركنه
الجنوبى الشرقى طريق جنازى طويل بنيت جدرانه بالطوب اللبن
ويتجه الى أسفل ويصل الى مبنى الوادى .

وبنت ملكة تسمى خنت كاسوس — التى ربما كانت زوجة
لشبسسكاف — فى المساحة الواقعة بين الطريقين الجنازين لخفرع
ومنكاورع قبرا يشبه تماما مصطبة فرعون . وظن فى وقت ما أنه
هرم لم يتم ، ولكن الحفائر الحديثة التى قام بها الاستاذ سليم حسن
على نفقة جامعة القاهرة اثبتت أن بناءه العلوى كان على شكل تابوت
فوق قاعدة مربعة عالية . ونحت معبده الجنازى — الذى يتكون من
ثلاث حجرات فقط — فى قلب صخرة القاعدة ، أى أنه ليس ببناء
منفصلا . ويجرى الطريق الجنازى أولا نحو الشرق ، ثم ينحرف
بزاوية قائمة تماما نحو الجنوب ، وينتهى عند مبنى الوادى الذى يمتد
حتى يصل الى نهاية طول مبنى الوادى الخاص بمنكاورع .

واذا القينا نظرة عامة على أهرام الأسرة الرابعة نجد أنها امتازت
دون شك بالميل الى الضخامة فى البناء ، وقدر ريزنر أن بعض الكتل
من الأحجار المحلية المبنية فى جدران معبد منكاورع الجنازى تزن
أكثر من ٢٢٠ طنا ، فى حين ان بعض كتل الجرانيت التى جاءوا بها
من أسوان — أى من مسافة تبعد ٥٠٠ ميل — يزيد عن ٣٠ طنا .
ولاستخدام مثل هذه الكتل الهائلة فائدتان رئيسيتان ، أولاها
الحصول على متانة أكثر ، وثانيتهما تقليل عدد اللحامات فى المبانى .

وما كان فى استطاعة خوفو — الذى ربما كان مجنوناً بحب العظمة — اثناء حكم دام نحو ٢٣ سنة أن يقيم بناء فى حجم ومثانة الهرم الأكبر ، لو لم يكن بناؤه قد بلغوا قدراً عظيماً من التقدم الفنى أعانهم فى معالجة رفع الأحجار المفرطة فى ثقل الوزن وعظم الحجم ، وليس أدل على اتقانهم الكامل لهذا الفن من ملاحظة بترى بأن سمك اللحامات فى كسوة الهرم الأكبر واحد على خمسين من البوصة .

والى جانب اتقانهم الكامل لفن رفع كتل الأحجار الثقيلة فقد اتقنوا أيضاً فن قطع ونحت الأحجار الصلبة . فمنذ وقت مبكر ، يرجع الى الأسرة الأولى ، استخدموا الجرانيت فى تبليط حجرة ، بينما بنيت حجرات الدفن الصغيرة فى هرم زوسر المدرج وفى المصطبة الجنوبية كلها من هذه المادة ، ولكنهم لم يبنوا الا فى الأسرة الرابعة فقط مبانى فى حجم مبنى الوادى أو معبد خفرع الجنازى يكسونها كلها بالجرانيت . واستخدموا حجر البازلت أيضاً من حين لآخر قبل الأسرة الرابعة بمدة طويلة ، ولكنهم لم يستخدموه بالكمية التى نراها فى تبليط أرضية معبد خوفو الجنازى أو تابوت منكورع المغقود .

وقد كان من رأى بترى أنه كان لأحد الأهرام الإضافية للهرم الأكبر حواجز من البازلت تمتد أسفل كل ركن ، لتحول دون ما يتعرض له من التهدم أو التأثيرات الجوية .

وتقدم صنع التماثيل اثناء الأسرة الرابعة تقدماً محسوساً فى الكم والقيمة ، وحسب ريزنر — بعد أن فحص كل أجزاء التماثيل المكتشفة فى مبنى الوادى ومعبد خفرع الجنازى — أن مجموعة الهرم الثانى وحدها كانت تحتوى بين مائة تمثال ومائتين . وربما صنع عدد مماثل من التماثيل للهرم الأكبر وهرم منكورع ، وبذا يصل المجموع الإجمالى للتماثيل فى المجموعات الهرمية الثلاث الى عدد لا ينقص الا قليلاً عن خمسمائة تمثال . وقد ظهر الأثر الكامل لهذه النهضة الفنية فى صنع التماثيل التى شجعها أولئك الملوك ، عندما جاءت الأسرتان التاليتان واحتوت كل مقبرة خاصة فى الجيزة وسقارة على تماثيل لصاحبها . وثبتت تلك التماثيل القليلة نسبياً التى عثر عليها فى مجموعات الأهرام الثلاث فى الجيزة ، أن المصريين كانوا قد وصلوا الى اظهار الملامح كما كانت فى وجوه أصحابها أكثر من أى تماثيل صنعت فيها سبق ذلك من عصور .

ومما يستلفت النظر كثرة انتاج التماثيل وعدم وجود أى أثر للنقوش فى المجموعات الهرمية الخاصة بالأسرة الرابعة ، والأمثلة الوحيدة لتلك النقوش هى التى كشفت عنها الحفائر فى معبد خوفو الجنازى وفى هيكل الهرم الثانى من اهرامه الجانبية ، ولكنه قد عثر على أحجار منقوشة من معابد خوفو وخفرع فى مبان من الدولة الوسطى فى اللشت كانوا قد أخذوها من الجيزة . وتبين كل هذه النقوش أن فن نحت الأحجار بالنقوش البارزة - التى نرى أمثلة منها فى ممرات الهرم المدرج والمصطبة الجنوبية - لم يندثر اثناء الأسرة الرابعة ، وما لم يخفى لنا المستقبل بعض اكتشافات غير منتظرة فيجب أن نقرر أنها لم تكن مستعملة على نطاق واسع (١) .

(١) اكتشف الدكتور أحمد فخري فى مبنى الوادى لهرم سنفرو بدمشور كثيرا من النقوش التى كانت تغطى مساحات كبيرة من جدرانه وأعمدته ، وهى غاية فى الاتقان والجمال الفنى والأهمية - (العرب) .

الفصل الخامس

أهرام الأسرتين الخامسة والسادسة

وبالرغم من افتقارنا الى وجود وثائق تاريخية فان في امكاننا التكهّن بطبيعة الحوادث السياسية التي أحاطت بنهاية الأسرة الرابعة من عدد من المعلومات غير المباشرة ، فقد أفصح خلفاء خوفو الثلاثة (ددفرع وخفرع ومنكاورع) عن اعترافهم بآله الشمس رع بوجوده في تكوين أسمائهم . وهناك أيضا بعض القرائن على أن خفرع ومنكاورع اتخذوا اللقب « ابن رع » ، وهو لقب ملكي أخذ يظهر في أسماء الفراعنة ابتداء من الأسرة الخامسة . ولهذا فمن المعقول أن نستنتج من ذلك أن عبادة الشمس كانت قائمة في عهد هؤلاء الملوك ، وأنها حلت محل عبادة أتوم التي كانت أقدم منها في هليوبوليس ، ولكن عند نهاية الأسرة الرابعة نرى أن شبسسكاف لم يخالف من سبقوه في اختيار طراز دفنه فحسب ، بل انه — حسب ما وصلت اليه معلوماتنا — لم يتبع ما كانوا يسيرون عليه من اعترافهم الصريح بصلتهم بالآله رع في أسمائهم والقباهم . وسواء أكان منقاداً في ذلك بدوافع دينية أو ضرورة سياسية فان هذا لا يمكن أن يقلل من الحقيقة الواقعة . ولكن نظرا لما نعرفه عن المصريين في جميع العصور من حذر ومحافضة في الأمور التي تتعلق بالدين والحياة في العالم الآخر ، نجد من الصعب أن نعتقد أن شبسسكاف كان سيدخل مثل هذه التغييرات الأساسية ما لم يفكر في أن قوة كهنة رع المطردة تهدد تهديدا مباشرا سلطة واستقلال العرش . وفشل نضال شبسسكاف — الذي كان في أغلب الظن سلبيا ولم تصحبه عداوات مريرة — في احراز أى نجاح دائم ، لأنه بعد وفاته ، بعد حكم دام أقل من أربع سنوات ، اعتلى العرش طائفة من الملوك الذين رفعوا من شأن عبادة الشمس وجعلوها دين الدولة الرسمي .

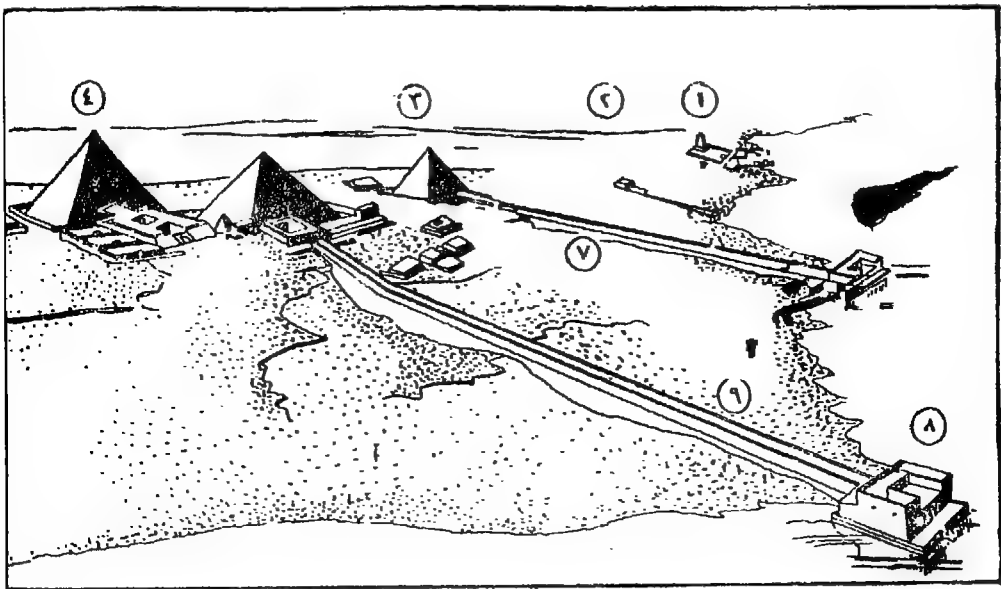
وحفظت لنا بردية في متحف برلين تسمى « بردية وستكار » أسطورة عن أصل الأسرة الخامسة ربما كان فيها شيء من أصل الحقيقة،

وتاريخ البردية نفسها يرجع على الأرجح الى عصر الفترة الثانية ، ولكنها كانت بكل تأكيد نسخة من مخطوط أقدم منها . وبناء على هذه الأسطورة كان الملوك الثلاثة الأول لهذه الأسرة — أوسركاف وساحورع ونفرار كارع — توائم ثلاثة للاله رع ولدتهم زوجة كاهن من كهنة رع . وربما كان أوسركاف من عائلة كهنة ووصل الى منصب الكاهن الأعظم في هليوبوليس قبل اعتلائه العرش .

أما أمه نفرحتبس Neferhetepes فيرجح أنها كانت بنتا لددفرع ، ومن المرجح أيضا أن ساحورع ونفرار كارع كانا أخوين من أبناء شبسسكاف وخنت — كاوس ، ولكنها لم يحاولا أن يعيدا ما بداه أبوهما من خروج على الدين .

وبنى كل من هؤلاء الملوك الثلاثة وثلاثة من خلفائهم معابد خاصة للشمس تمجيدا لرع . وقد ذكرت الكتابات المعاصرة ستة معابد ، ولكن لم يعثر الا على معبدى نى — أوسر — رع وأوسركاف (شكل ١٨ — ١ و ٢) ، والمعبد الأول في حالة حسنة جدا اذا قورن بالآخر ، وهو مشيد بالحجر وتم حفره في الأعوام ١٨٩٨ — ١٩٠١ . بمعرفة لودويج بورخارت وهانريش شيفر (Heinrich Schaefer) على نفقة البارون فون بيسينج (Baron von Bissing) وجمعية الشرق الألمانية (Deutsch Orient-Gesellschaft) (شكل ١٩) ، وقد أقيم على قمة منخفض يقع على حافة الصحراء في أبو غراب ، على مسافة ميل تقريبا الى الشمال من بلدة أبو صير حيث بنى أوسر رع هرمه .

ويبدأ الطريق الجنائزى من مبنى صغير (مبنى الوادى) أقيم داخل مساحة كبيرة مسورة ، وبنوا فوق هذا الطريق ممرا مستقفا يصل الى أعلى التل . وعند الطرف العلوى من الطريق الجنائزى ما زالت توجد بقايا فناء مبلط طوله ٣٣٠ قدما وعرضه ٢٥٠ قدما ، ومن أهم ما فيه قاعدة مستطيلة فوقها مسلة غير مرتفعة ، وهى الرمز المقدس لاله الشمس . وعند أسفل القاعدة يقوم مذبح منخفض لتقديم القرابين . مكون من خمس كتل من المرمر . وحفرت بالوعات فى البلاط لتصريف دم الحيوانات المقدمة قرابين على المذبح الى تسعة أحواض كبيرة من المرمر . وفى الجانب الشمالى من الفناء يوجد مكان مسور لتقديم القرابين وعدد من المخازن ، وفى خارج الفناء وفى الجهة الجنوبية منه نرى الى ناحية الجنوب أساسات من الطوب اللبن لحفرة كانت تحوى



شکل (۱۸) - اهرام أبو صیر • رسم تصویری لما كانت علیها عند تشييدها

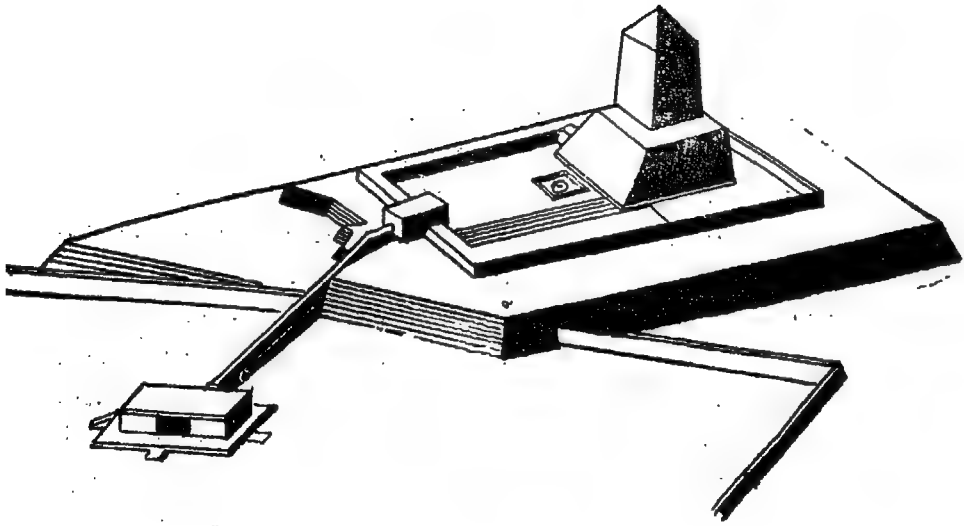
نموذجاً للمركب التى كان يستخدمها اله الشمس فى رحلته اليومية عبر السماء .

وكانت المعابد والمباني الجنائزية فى الأسرة الخامسة مليئة بنقوش ملونة على الجدران على أعظم جانب من الأهمية والقيمة الفنية . وفى المعبد الشمسى للملك نى - أوسر - رع نجد نقوشاً بارزة ، نقلت الآن الى المتحف المصرى ومتحف برلين ، وكانت فى ممر الطريق الجنائزى ثم حول الجانبين الشرقى والجنوبى من الفناء ، وفى الهيكل الذى يقع بين نهاية الممر والمسلة . وتمثل هذه النقوش مواضيع مختلفة ومتنوعة ، ففيها كثير من النباتات والحيوانات التى خلقها اله الشمس ، وفيها أيضاً مناظر الاحتفالات المتصلة بتأسيس المعبد واحتفالات الحب سد للملك . ويدل وجود مناظر الحب سد على أن هذا المعبد لم يبن الا بعد عدة سنين - ربما ثلاثين سنة - بعد اعتلاء الملك للعرش . وليس من المعقول أن يكون نى - أوسر - رع قد تباطأ فى بناء معبد الشمس حتى ذلك الوقت المتأخر من حياته ، ولهذا فربما يكون البنى الحجرى قد بنى بدلا من معبد سابق من الطوب اللبن ، وأقامه لأجل استخدامه فى حفلات الحب سد .

وقد عاد ملوك الأسرة الخامسة الى عادة بناء الأهرام التى نبذها شبسيسكاف ، الا أن حجم هذه الأهرام ومراعاة الانتقان فى تشييدها يقلان كثيراً عما كان فى أهرام أسلافهم ، لأن قلب الهرم مبنى بأحجار صغيرة ثم كسوه بأحجار طره الجيرية . ونظراً لرداءة بنائها فقد حل الخراب بأهرام هذه الحقة وتأثرت تأثراً بالغاً ، بل أن بعضها تقلص الى كومة من الرمل والرديم .

وبنى أوسركاف هرمه فى سفارة على مقربة من الركن الشمالى الشرقى لسور الهرم المدرج ، ومن المحتمل أن قبر زوسر أصبح له تقديس خاص ، وربما اعتقدوا أن الدفن فى حرمة يضى عليهم منافع خاصة ، وهذا يفسر لنا اختيار أوسركاف لمنطقة تبدو من وجوه عدة غير لائقة لأقامة هرم عليها .

فالى الشرق مباشرة ، حيث يقام المعبد الجنائزى عادة ، ترتفع الأرض ارتفاعاً كبيراً ، ولهذا لم يشيد الا هيكل صغير فى الناحية الشرقية من الهرم ، وأقام المعبد الجنائزى فى الناحية الجنوبية مخالفاً بذلك القاعدة العامة . وقد أثبتت الحفائر التى قام بها س. م. فيرث

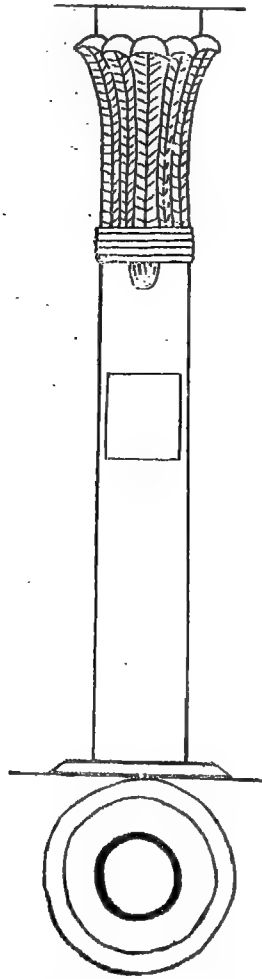


شكل (١٩) - معبد الشمس للملك نى . أوسر . رع

لحساب مصلحة الآثار المصرية عام ١٩٢٨ - ٢٩. أن هذا المعبد تخرّب في العصور القديمة ، واستخدموا موقعه في العصر الصاوى لبناء المقابر ، غشيدوا مبانيها العلوية من أحجار معبد اوسركاف ومن الأهرام المجاورة . وكان تخریب المعبد كاملا ، حتى أن كثيراً من تفاصيل رسمه التخطيطى - التى كانت غير عادية على ما يظهر - لا يمكن مغزفتها الآن على وجه اليقين . وعثر الحفارون وسط الخرائب على أجزاء من مناظر نقشت بعناية نقشاً بارزاً ، تمثل الملك أمام الآلهة ، وفيها بعض مناظر من رحلات لصيد الطيور في أحراش الدلتا . واكتشفوا أيضاً رأس تمثال ضخم من الجرانيت الوردى للملك ، ولهذا الرأس أهمية خاصة لأنه الرأس الملكى الوحيد فى الأسرة الخامسة ، وأقدم الأمثلة فى التماثيل المصرية ، باستثناء تمثال أبى الهول ، التى تزيد على الحجم الطبيعى .

واختار ساحو رع ، ونفر اركارع ، ونى أوسر رع لأهرامهم هضبة على حافة الصحراء بالقرب من أبو صير (شكل ١٨ - ٣ و ٤ و ٥) ، وبينما تتفق مجموعتا هرمى ساحو رع ونى - أوسر - رع فى نظامهما مع القواعد المتبعة ، نراها يفوقان فى فخامتھا الفنية كل ما بنى قبلهما . وقد قدر لودويج بورخارت الذى كشف عن هذه المجموعات الهرمية لحساب جمعية الشرق الألمانية بين أعوام ١٩٠٢ - ١٩٠٨ أن

مساحة سطح الجدران المغطاة بالنقوش البارزة في مجموعة ساخورع الهرمية وحدها بلغت نحو ١٠.٠٠٠ متر مربع . ولكن من سوء الحظ كان سكان المنطقة قد اكتشفوا أن حجر طره الجبى المنقوش يخرج احسن أنواع الجير ، وكانت نتيجة ذلك أنه لم يبق من المساحة الأصلية الا حوالى ١٥٠ متراً مربعاً نجت من أولئك المخربين وكانت مكسرة الى قطع صغيرة لا حصر لها . وكان تخريب مجموعة نى اوسر رع الهرمية أكثر مما حدث لمجموعة ساخورع . أما مجموعة نفر اركارع الهرمية فمن المحتمل أن العمل لم يكن قد انتهى فيها وأوقفوه قبل تنفيذ كثير من النقوش التى كانوا يزمعون القيام بها .



شكل (٢٠) - عمود من الطراز النخيلى

وكان لمبنى الوادى فى معبد ساحورع مرفآن . أحدهما يواجه الشرق والآخر يواجه الجنوب (شكل ١٨ - ٦ ، شكل ٢١ - ١ و ٢) .
وكان هناك منزلتان متصلان بالمرفاين اما بقناة أو بالنيل الذى كان فى أيام فيضاناه السنوى يمتد الى ما وراء مجراه العادى . وفى داخل الواجهة الشرقية من البناء شرفة مقامة فوق أعمدة ، بلاط أرضيتها من البازلت الأسود المصقول ، وسقفها من الحجر الجيرى المدهون بالأزرق ليحاكى السماء ومزين بنجوم ملونة بلون الذهب ، وكل عمود من الأعمدة الثمانية يتكون من قطعة واحدة من الجرانيت . أما الجدران فكانت من الحجر الجيرى المزين بالنقوش البارزة ولكن أفرزها الأسفل كان من الجرانيت . أما طراز الأعمدة فكان محاكاة لأشجار النخيل وقد ربط جريدها فى حزمة مكونة تاج العمود (شكل ٢٠) .
وعلى كل عمود ، داخل إطار مستطيل ، وضعوا اسم الملك والقابله الهيروغليفية وملاوها بمعجون ذى لون أخضر . وشيدوا شرفة أخرى فى الواجهة الجنوبية للبناء ، وهى أقبل فى اتساعها من الشرفة الشرقية ، وأرضيتها من الحجر الجيرى وأعمدتها أسطوانية ، وليس عليها أى نوع من التيجان . وكانت كل من الشرفتين تتصل بيهو على شكل حرف T ، وهذا البهو هو القاعة الوحيدة فى هذا المبنى . وكان الملك يمثل فى النقوش التى فى هذا البهو اما على صورة أبى الهول أو بشكل أسد له رأس طائر يطاء تحت قدميه آسيويين أو لبيين أحضرهم الاله له أسرى مكبلين ، ويتكرر هذا المنظر - ربما مع اختلافات بسيطة - على الجدران الداخلية للطريق الجنائزى فى نهايته السفلى (شكل ١٨ - ٧ وشكل ٢١ - ٣) .

واحتوى معبد ساحورع الجنائزى على العناصر الأساسية الخمسة فى معبد خفرع ، وهى : بهو المدخل ، والفناء المكشوف ، وخمس كوات للمائيل ، والمخازن ، والمقدس . وبهو المدخل (شكل ٢١ - ٤) مخرب تخريبا تاما الى درجة جعلنا عاجزين عن معرفة أى شئ عنه على وجه التأكيد ، ولكن أرضيته كانت من الحجر الجيرى وجدرانه من الحجر نفسه تغطيها نقوش بارزة ملونة ، وكان الأفرز الأسفل من تلك الجدران من الجرانيت . ويلط الفناء المكشوف (شكل ٢١ - ٥) بالبازلت المصقول ، وإذا استثنينا مذبحا من الرمر فى الركن الشمالى الغربى فقد كان هذا الفناء خاليا خلوا تاما ، وأحيطت جوانبه الأربعة برواق يشبه فى مبناه الشرفة الشرقية فى مبنى الوادى فيما عدا سقفه المزين بالنجوم فقد كان محمولا على صفاً واحد من الأعمدة النخيلية الطراز . وكانت جدران هذا الرواق مغطاة بنقوش تمثل

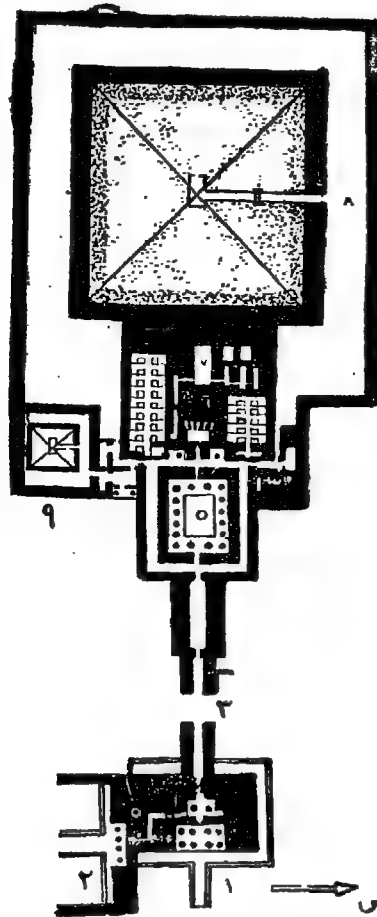
الملك ينتصر على أعدائه ، فالذين على الجانب الشمالى اسيويون ، والذين على الجانب الجنوبى ليبويون . وعلى أحد هذه النقوش ، التى عثر عليها فى الركن الجنوبى الغربى ، نرى ساحورع وهو يقتل زعيما ليبيا أسيرا ، كما نرى اثنين من أبناء هذا الزعيم وامراة — ربما كانت زوجته أو ابنته — يقفون متضرعين ، وهناك أسرى ليبويون آخرون — بعضهم من النساء والأطفال — يتضرعون مثلهم . ونرى فى أماكن أخرى مبعثرة مناظر لحيوانات حية أخذت كغنيمة ، ذكروا عددها فى الكتابات المجاورة فمثلا ١٢٣٤٤٠ رأسا من الماشية ، ٢٢٣٤٠٠ حمار ، و ٢٣٢٤١٣ غزالا ، و ٢٤٣٦٨٨ من الغنم ، ولكنهم لم يرسموا ذلك العدد الهائل من الحيوانات بل رمزوا لها بعدد قليل من كل منها .

وهناك مناظر أخرى مشابهة يبلغ عددها أحد عشر منظرا عثر عليها على بقايا مباني هذا الرواق ولكنها محطمة الى درجة لا يمكن معها اعادة تركيبها أو فهم تفاصيلها .

وهناك ممر عريض يحيط بالفناء وهو مبلط أيضا بالبازلت ومزين بالنقوش . وأمكن بدراسة الأجزاء الباقية من نقوش هذا الممر التأكد من أنها تختلف كثيراً فى طبيعتها عن تلك التى فى الفناء أو الطريق الجنازى . فكان على الجانب الشمالى منه مناظر تمثل الملك وهو يطعن بحريته سمكة كبيرة ، أو تمثله وهو يصطاد الطيور بعصا الرماية .

وعلى الجانب الجنوبى نقوش يبلغ طولها ٣٠ قدما تقريبا تمثل الملك وهو يصيد الحيوانات ، ويقف وراءه خليفته على العرش نغر اركارع وعدد من حاشيته وأمامه مجموعة من الآرام والغزلان والأبائل وحيوانات أخرى ذات قرون ، يسوقها رجال يضربونها لتدخل الى أرض متسعة مسورة حيث يرميها الملك بسهام من قوسه ، وتمسك كلاب الصيد بعضا من الحيوانات المجروحة من نحورها لاحتضارها للصيادين . ونرى هنا وهناك شيئا من التنوع فى المناظر ببعض أشياء مسلية ، كتصوير ثور الغيط (اليربوع) والقنفذ وهما يختفیان فى جحريهما أو الضبع وهو يحاول أخذ ريم جريح ليلتهم جزءا منه . ويرجع الفضل فى حفظ هذه التحفة الممتازة من النقش الفنى الى محض الصدفة ، اذ تحول هذا الجزء من الممر فى العصور المتأخرة فأصبح هيكلا للالهة سخمت الهة النار .

ومن اهم النقوش في المعبد كله تلك التى كانت على الجدار الشرقى للممر الغربى . فالى يسار الباب الذى نفاذره من الفناء المكشوف كان يقف الملك بصحبة رجال بلاطه وهم يشاهدون رحيل اثنتى عشرة سفينة بحرية ذاهبة الى ارض غير معينة ، ربما فلسطين أو سوريا . ويقابل تلك المناظر فى الناحية الجنوبية للباب منظر الملك مع حاشيته يشاهدون وصول السفن وقد عادت محملة ومعها عدد من الاسيويين . ونحن لا نعرف ان كانت هذه السفن قد خرجت فى مهمة حربية أو لغرض تجارى . ولهذا ربما كانت حمولتها جزية أو بضائع تجارية ، ولا نعرف أيضاً أن كان الاسيويون أسرى حرب أو عبيداً اشتروهم . وقد



شكل (٢١) - المجموعة الهرمية لساخورع

استورد المصريون الخشب من سوريا في عهد سنفر ١٢٠٠ ولهذا لا يمكننا ان نعتبر هذه الحملة شيئاً جديداً استحدثه ساحورع .

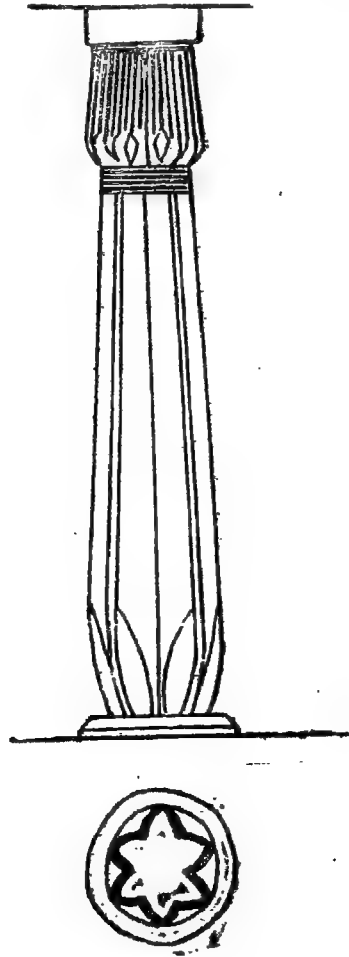
ويمكن الدخول الى جميع اجزاء المجموعة الهرمية بطريق مباشر او غير مباشر من الممر الغربى . ويمكن الوصول عن طريق باب فى الطرف الشمالى الى داخل حرم الهرم او الى سلالمة تؤدي الى سقف المعبد ، ويؤدى باب آخر فى الطرف المقابل من الممر الى داخل حرم الهرم ، وكذلك الى فناء الهرم الجانبى (شكل ٢١ - ٩) والى مدخل جانبى للمجموعة الهرمية . وفى وسط الممر على الجانب الغربى يوجد ممر يعقبه بضع درجات تؤدي الى حجرة صغيرة فيها السكوات الخمس للتماثيل (شكل ٢١ - ٦) ، وفى الجدار الجنوبى لهذه الحجرات باب هو الطريق الوحيد للوصول الى المقدس (شكل ٢١ - ٧) والى خمس حجرات خلفه كانت اثنتان منها على الأمل تستخدمان فى اقامة نوع من الطقوس فى حفلات المعبد الدينية .

ويبلغ طول المقدس حوالى ٤٥ قدماء وعرضه نحو ١٥ قدما ، ويحتفل أن تكون أرضيته قد بلطت بالزمر ، وهو المادة التى صنعوا منها المنبح المنخفض القائم عند أسفل الباب الوهمى الجرانيتى فى الجدار الغربى .

والجدران الشمالية والجنوبية والشرقية كانت مشيدة من أحجار جيرية ومزينة بنقوش تمثل الآلهة وهى تحضر الهدايا من الأطعمة للملك ، أما أناريزها السفلى فكانت من الجرانيت .

ويمكن الوصول الى المخازن - وهى فى صفين متقابلين - عن طريق ممرات تبدأ من دخلتين عميقتين فى الجدار الغربى من الدهليز الغربى . وهى سبعة عشر مخزنا تصل اليها من الدخلة الجنوبية وعشرة مخازن من الدخلة الشمالية . ويحمل سقف كل دخلة عمود من الجرانيت ارتفاعه ١٢ قدما على هيئة حزمة مكونة من ستة جذوع من نبات البردى مربوطة مع بعضها ، وكونت براعمها تاج العمود (شكل ٢٢) . وبنيت المخازن فى مجموعات من طابقين ، وكل مخزن حجرة واحدة ، ولكل مجموعة سلمها الخاص . ومن المحتمل جداً أن المجموعة الصغيرة من المخازن كانت للاحتفاظ بالاشياء النفيسة ، مثل الأوانى المزخرفة والتمائيل المذهبة التى يستعملها الكهنة الجنازيون فى مناسبات خاصة .

وعلى بعض القطع المنقوشة من جدران احدى الحجرات نرى الملك ممسكا بطلية . ولهذا فمن المحتمل أن تكون هذه الحجرة مخزنا لوضع النياشين الذهبية التى كان الملك يكافئ بها موظفيه اعترافا بخدماتهم الممتازة ، وربما كانت المخازن فى المجموعة الكبيرة تستخدم لتخزين بعض الاواني والأطعمة .



شكل (٢٢) - عمود من طراز حزمة البردى

ومن أهم معالم مجموعة ساحورع الهرمية ذلك النظام الدقيق لتصريف المياه التى كانت تسقط على السقف فتصرف من ميازيب على هيئة رعوس الأسود ، تبرز من أعلى الجدران الخارجية . أما فى

الأجزاء المكشوفة (غير المسقوفة) فى المجموعة الهرمية فان ماء المطر الذى يسقط فيها ينصرف من فتحات عند أسفل الجدران الخارجية بعد أن يصل إليها عن طريق قنوات محفورة فى أحجار بلاط الأرضية . الا أنه كانت هناك طريقة أخرى لتصريف المياه ونقل المياه والسوائل الأخرى التى كانت تستخدم أثناء اقامة الاحتفالات فى المعبد ، والتى أصبح بعضها نجسا من الناحية الدينية ولذلك كان من الخطر لمسها . فقد وضعوا فى أجزاء مختلفة داخل المعبد خمسة أحواض من الحجر ، مغلقة بالنحاس ولها سدادات من الرصاص تحكم غلق فتحاتها . اثنان منها فى الحجرات الواقعة خلف المقدس ، وواحد فى المقدس نفسه ، وآخر فى الممر المؤدى الى المقدس ، والآخر فى مجموعة المخازن الصغرى . وركبوا فى هذه الأحواض مواسير من النحاس لتوصلها بأنابيب نحاسية تجرى تحت أرضية المعبد الداخلى والفناء المكشوف وبهو المدخل والطريق الجنائزى حتى طرفه السفلى حيث تنتهى الى منفذ فى الجانب الجنوبى ، وذلك كله لتصريف المياه الى خارج المعبد ، ولا شك أن المصريين استخرجوا المعدن اللازم لهذه الأنابيب من مناجم سينا أو مناجم الصحراء الشرقية ، لأن طولها أكثر من ألف قدم . وان فى استعمال مثل هذه الكمية من هذا المعدن النفيس ، دليلا واضحا على الأهمية التى كان ساحورع يعلقها على وجودها فى معبده .

وتهدم هرم ساحورع تهدما بالغا سواء من الخارج أو الداخل . وكان طول ضلع قاعدته عندما كان تاما ٢٥٧ قدما ، وكان ارتفاعه العمودى نحو ١٦٢ قدما ، ولم يبق من كسوته الأصلية التى كانت من أحجار طره الجيرية الا بعض قطع ، غير أن جزءا كبيرا من قلب بنائه ما زال سليما . وقد سد معظم الممر المؤدى الى حجرة الدفن سدا كاملا بانهيأ بنائه ، ولهذا لا يمكن المرور فيه . أما مدخله فهو فى الواجهة الشمالية (شكل ٢١ - ٨) عند نقطة تبعد عن شرق الوسط بقليل وفى مستوى الفناء المحيط به ، وينحدر بزاوية قدرها ٢٧° لمسافة ١٤ قدما تقريبا ، ويستمر أفقيا لمسافة ٢٧ قدما حيث سد بسقاطات من الجرانيت ، ثم يصعد بانحدار تدريجى بسيط حتى يصل الى حجرة الدفن المستطيلة . وكسيت جدران الممر كلها من الداخل بالحجر الجيرى ، أما منزلق المدخل وبضعة أقدام على جانبي السقاطات

ومسافة قصيرة في نهايته فقد كسيت بالجرانيت . وبنيت حجرة الدفن كلها من أحجار طره الجيرية ، ويتكون سقفها المذهب من ثلاث طبقات فوق بعضها . وقدر يرنج الذى فحصى السقف أن أضخم أحجارها يبلغ ٣٥ قدما فى الطول وعرضها ٩ أقدام وسمكها ١٢ قدما . ولكن بالرغم من حجمها وثقلها فلم يبق منها سليما دون تكسير سوى اثنين فقط .

ووضع نفرار كارع Neferirkhara — الذى دام حكمه أكثر من عشر سنوات — تصميم مجموعته الهرمية على مثال مجموعة ساجورع تقريبا ، ولكنها على نطاق أعظم (شكل ١٨ — ٤) . ولكن لم يقدر له أن يراها كاملة ، فعندما حانت منيته لم يكن قد تم إلا وضع أساسات مبنى الوادى . وبنوا الطريق الجنازى ، ولكنهم لم يتموا الممر الذى فوقه . أما العمل فى كوات التماثيل الخمسة وفى المقديس داخل المعبد فقد تم منها جزء كبير . ولم يتم بناء الهرم ، مع أن العمل فيه كان قد تقدم أكثر من أى مبنى آخر فى المجموعة الهرمية . ويبلغ طول ضلع القاعدة ٣٦٠ قدما وارتفاعه ٢٢٨ قدما . وهو بذلك يزيد قليلا عن هرم منكاورع . وتبين القطع القليلة الباقية من كسوته الخارجية أن المذمك الأسفل على الأقل كان من الجرانيت الذى لم يصقل سطحه . وأراد نفررع — خليفة نفرار كارع الذى لم يحكم إلا فترة قصيرة وبدأ بينى هرما على مسافة قصيرة فى الجهة الجنوبية الشرقية لنفسه — أن يتم مجموعة نفرار كارع ، وكذلك فعل نى أوسر رع ، ولكنها استعملوا فقط الطوب اللبن وعدلا فى التخطيطات الأصلية ، وتركوا مبنى الوادى والطريق الجنازى دون انجاز ، فأتتهما نى أوسر رع (Niuserra) فيما بعد واتخذهما لنفسه . وترتب على ذلك أن كهنة نفرار كارع الجنازيين — بدلا من أن يتبعوا القاعدة المألوفة ببناء مدينة الهرم على مقربة من مبنى الوادى — وجدوا أنفسهم مضطرين لتشييد منازلهم المبنية بالطوب اللبن خارج جدران المعبد الجنازى .

ولكى يستعمل طريق « نفراركارع » الجنازى دون عمل أى تغيير ، اضطر « نى أوسر رع » أن يبنى مجموعته الهرمية الى جانب معبد نفرار كارع الجنازى فى الجهة الشرقية . وقد اختار أرضا واقعة فى الناحية الشمالية الشرقية ، وبذلك أمكن استعمال النصف الأسفل من الطريق الجنازى فقط كما هو ، وخلع أحجار الجزء الأعلى منه وأعاد بناءه حسب الاتجاه الجديد أى فى اتجاه الشمال الشرقى (شكل ١٨ — ٩) وأصبحت هذه الزاوية الى حد ما أقل ، نظرا

لوضعهم بهو المدخل وفناء الأعمدة أمام النصف الجنوبي من الواجهة الشرقية للهرم . فإذا لم يكونوا قد فعلوا ذلك عمدا لتقصير المسافة بين المعبد والطريق الجنائزى القديم ، فلا بد أن عدولهم عن بناء المعبد على خط محور الهرم من الشرق الى الغرب كالمعتاد كان نتيجة حتمها عليهم وجود عائق في المكان ، مثل وجود مقبرة مثلا أو نظراً لعدم صلاحية الأرض في ذلك المكان .

واختلفت مجموعة نى أوسر رع الهرمية عن مجموعة ساحورع في التفاصيل فقط ، غير أنها تعطى صورة واضحة للمدى الذى يمكن عمله في تعديل التخطيط المتبع ليلانم ما تفرضه طبيعة المكان في أى موقع من المواقع . وكان لمبنى الوادى شرفتان ، كبراهما تواجه الناحية الشرقية وصغراهما تواجه الناحية الغربية (شكل ١٨ - ٨) الا أنه بدلا من الأعمدة النخيلية التى نراها في مبنى الوادى لساحورع فقد زودت هاتان الشرفتان بأعمدة بردية الطراز من الجرانيت الوردى ، وقد استخدموا أيضا أحجار طره الجيرية والجرانيت الوردى والبازلت الأسود المصقول في الأسقف والجدران وأرضيات الغرف . كما استخدموا البازلت في بناء الأفريز السفلى لجدران ممر الطريق الجنائزى . أما الجدران نفسها فقد كسيت بأحجار طره الجيرية ، وزينت بنقوش لمناظر مختلفة منها ما يمثل الملك كاسد أو كاسد له رأس طائر يطا أعداءه تحت قدميه . وفي المعبد الجنائزى تحمل الأعمدة البردية سقف الممر المحيط بالفناء . وبنيت معظم المخازن - نظرا لضيق المكان - في المعبد الداخلى خارج الجدارين الشمالى والجنوبى لبهو المدخل . وشغل المقدس مكانه المعتاد ، الى الشرق من حجرة الدفن ، وبذلك أصبح الى الشمال من المحور الشرقى الغربى للمعبد بمسافة غير قليلة . وفي جنوب شرقى الهرم الاصلى بنوا الهرم الاضافى المعتاد .

وبنى دد كارع أسيسى - وهو الذى خلف نى أوسر رع على العرش - هرمه في سقارة ، وهو الهرم المسمى باللغة العربية « الهرم الشواف » . ولم تتحدد نسبة هذا الهرم الى أسيسى الا في خريف عام ١٩٤٥ عندما كشفت عنه مصلحة الآثار المصرية تحت ادارة اسكندر فارى (١) .

(١) كان المرحوم اسكندر فارى يعاون المرحوم عبد السلام محمد حسين في حفائره في تلك المنطقة . (العرب)

واقام لونس — آخر ملوك هذه الأسرة — هرمه قريبا من الركن الجنوبي الغربى لسور الهرم المدرج ، أى فى الناحية المقابلة للمنطقة التى قام عليها هرم أوسر كاف مؤسس الأسرة ، وثبت من حفائر مصلحة الآثار — التى تبت منذ سنوات قليلة تحت ادارة الأستاذ سليم حسن أولا ثم عبد السلام حسين فيها بعد — أن جزءاً كبيراً من الطريق الجنازى ما زال محتفظاً بكيانه فى هذه المجموعة الهرمية أكثر من أى طريق جنازى آخر (لوحة ١١) . وبالرغم من أن الطرف العلوى من هذا الطريق فقط هو الذى قد أزيحت عنه الرمال ، فإن اتجاه الطريق بأكمله أصبح واضحاً على طول المسافة كلها، أى الـ ٧٣٠ ياردة التى تفصل بين مبنى الوادى والمعبد الجنازى . ولا يتبع هذا الطريق خطاً مستقيماً ، ولكنه يغير اتجاهه مرتين لكى يستفيد من طبيعة الأرض . ولكن بالرغم من هذه التعديلات فقد كن من الضرورى ملء هبوط فى الأرض يبلغ عمقه نحو ٢٥ قدماً واتساعه أكثر من ذلك ، وقد أخذوا بعض الأحجار التى استعملت فى ملء هذا الهبوط من مبانى الهرم المدرج ، وهذا يثبت أن آثار زوسر الشهيرة كانت قد بدأت تنهدم فى أواخر أيام الأسرة الخامسة . وبنيت جوانب الجسر منحدره فأصبح اتساعه فى سطحه العلوى ٢٢ قدماً تقريباً . وفوق هذا الأساس الضخم بنوا الممر العادى المستوف ، ويبلغ ارتفاع جدرانه نحو ١٢ قدماً وسمكها حوالى ٦ أقدام و ٨ بوصات، أما عرض الممر فى الوسط فلم يزد على ٨ أقدام و ٧ بوصات تقريباً . وسقفوا الممر بكتل من الحجر يبلغ سمكها قدماً و ٩ بوصات ، وقد تركوا فى وسط السقف فتحة عرضها ٨ بوصات تقريباً لاندخال الضوء . وإلى جنوب الطريق الجنازى حفرة المركب طولها ١٤٨ قدماً ومبطنه كلها بأحجار طره الجيرية .

والجدران الداخلية للممر رسمت عليها نقوش دقيقة ومناظر كثيرة شغلت مساحات كبيرة منها ، وفى بعضها نرى سفينة تنقل بعض الأعمدة النخيلية والأعتاب المستعملة فى بناء المعبد الجنازى ، وكلها من الجرانيت جاءت بها السفينة من أسوان .

وفى مجموعة أخرى من هذه النقوش نرى بعض الصناع يطرقون الذهب ، ويصبون الأدوات النحاسية ، أو يصقلون الاوانى المصنوعة من الذهب أو الحجر . ونجد فى أماكن أخرى نقوشاً تبين عمال الضياع الملكية وهم يجنون التين ويحصلون القمح ويجمعون العسل ، وهناك عدد كبير من الخدم يحضرون الأطعمة من مختلف الأنواع الى

القبر . واشتملت مناظر الصيد على صور لكل حيوان ذى قرنين معروف للمصريين ، وكذلك على رسم للزرافة والاسد والفهود والذئاب والضباع واليرابيع والقنافذ . وربما كان أكثر هذه المناظر تعبيراً عن موضوعه ، ذلك النقش الذى يمثل ضحايا إحدى المجاعات ، فقد هزلت أجسامهم حتى بدت جلداً على عظم (لوحة ١١ ب) . وما يدعو الى الأسف أن هذا المنظر غير كامل ، ومن الصعب أن نتكهن بالمناسبة التى جعلتهم يرسمونه ، بل لا يمكن على وجه اليقين تحديد الجنسية التى ينتمى إليها الأشخاص المرسومون فيه .

ولما كانت نقوش المقابر توضح عادة الوقائع والحوادث التى يرغب صاحب المقبرة فى تخليدها ، فربما كان هؤلاء الناس الذين كادوا يموتون جوعاً غير مصريين ، وأن الجزء المفقود من هذا الجزء من النقوش يحتوى على مناظر المأون التى أرسلها اليهم أوناس . ولونت كل هذه المناظر بألوان زاهية بقيت بعض آثارها واضحة حتى الآن ، وزين السقف أيضاً بنجوم ذهبية نقشت نقشاً بارزاً فوق أرضية تشبه السماء فى زرقتها .

أما معبد أوناس الجنائزى فقد كشف أ. بارزانتي (A. Barsanti) عن جزء منه عندما كان يعمل هناك لحساب مصلحة الآثار فى عام ١٩٠٠ ، وأجزت مصلحة الآثار فى عام ١٩٢٩ حفائر أخرى تحت إدارة س. م. فيرث فأنتمت حفرة . وهو يشبه فى تخطيطه وبنائه معبد ساحورع الجنائزى شبيهاً كبيراً ، ولكنه يختلف منه فى وضع الممرات والمخازن داخل المعبد . وتختلف أرضيتهما ، فقد استخدم أوناس أحجار الرمر ، بينما استخدم ساحورع البازلت فى تبليطات أرضيات معبده . وبينما وصل إلينا عدد عظيم من النقوش التى كانت فى الطريق الجنائزى ، لم تحفظ لنا الأيام من نقوش المعبد إلا قطعاً قليلة عليها رسم بعض الخدم يحملون القرابين .

ولا يختلف هرم أوناس فى مظهره الخارجى عن غيره من الأهرام فى شئ ذى أهمية خاصة ، وطول ضلع قاعدته ٢٢٠ قدماً وارتفاعه العمودى ٦٢ قدماً ، وهذه مقاييس متواضعة إذا قارناها بآثار الأسرة الرابعة ، أما فى داخله فهناك عدة أشياء جديدة . فالدخل ، ولو أنه فى الناحية الشمالية إلا أنه ليس فى واجهة الهرم بل تحت الأرضية . وكانت هناك ثلاث سقاطات من الجرانيت لسد الممر المؤدى من المدخل الى ردهة مربعة (شكل ٢٣ - ١) وعلى الجانب الشرقى

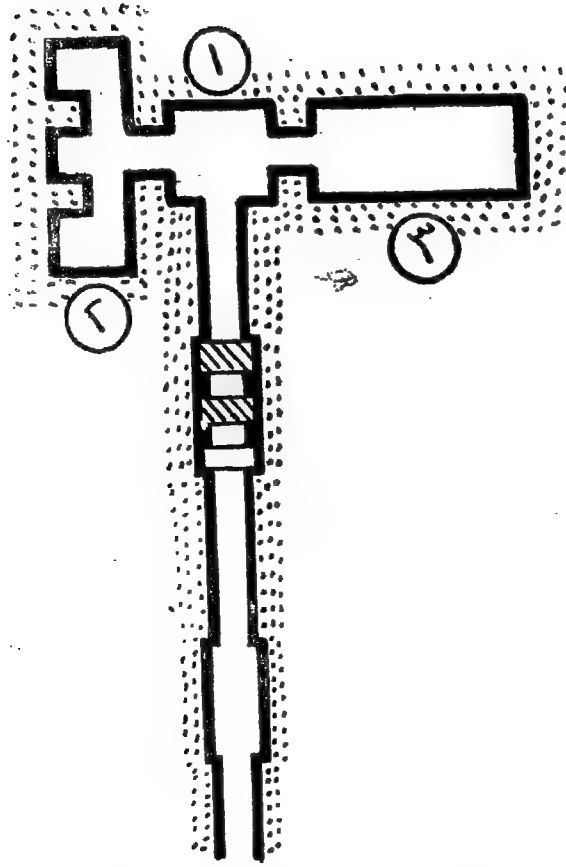
لهذه الردهة تفتح حجرة طويلة ضيقة في الجدار الشرقى منها ثلاث كوات لتمثيل (شكل ٢٣ - ١) . أما حجرة الدفن فكانت في الناحية الأخرى غربى الردهة (شكل ٢٣ - ٣) ، وفي نهاية الحجرة نجد تابوتا حجريا مستطيلا ، وقد ظل سليما حتى الآن ولكن محتوياته سرقت من مدة طويلة قبل عام ١٨٨١ وهو الوقت الذى اكتشفه فيه ج. ماسبرو ، أول عالم أثرى فتح هذا الهرم .

وبنيت كل الحجرات داخل الهرم من أحجار طره الجيرية ماعدا الجدار الغربى من حجرة الدفن ، وكذلك النصف الجنوبى من كل من الجدارين الشمالى والجنوبى أمام التابوت ، اذ بنوها بأحجار المرمر بدلا من الحجر الجيرى ، ونقشوا على المرمر زخارف تمثل دخلات وخرجات وبابا وهميا لونوها كلها .

ولكن هناك ما هو أهم من هذه التجديدات في البناء في هذا الهرم . وتلك هى السطور الرأسية من الكتابات الهيروغليفية التى تغطى جدران الردهة والأجزاء المبنية بالحجر الجيرى من حجرة الدفن ، ومأوا كل حرف هيروغليفى بمعجون أزرق اللون فجعلها واضحة جليلة فوق الأرضية البيضاء . وتعرف هذه الكتابات باسم « متون الأهرام » ، وهى غير قاصرة على هذا الهرم فقط بل وجدت أيضا في أهرام الأسرة السادسة ، في أهرام تيتى ، وببى الأول ، ومرن رع ، وببى الثانى ، وفي هرم ملك يسمى ايبى (Ibi) لا يعرف تاريخه على وجه التحقيق ، وفي أهرام زوجات الملك ببى الثانى الثلاث .

ولست متون الأهرام قصة متصلة ، بل تحتوى على مجموعة من التعاويذ جمعت دون عناية كبرى بما تحويه ، ودون أن يكون لها ترتيب خاص . وبالرغم من أننا نجد معظم هذه المتون في أكثر من هرم ، إلا أن الموجود منها في هرم ما يختلف عن الموجود في هرم آخر ، فمثلا في هرم أوناس نجد فقط مائتين وثمانية وعشرين متنا اختيرت من مجموع الرقى المعروفة لنا والتى يزيد عددها على سبعمائة .

وكان الغرض من متون الأهرام — كأي عنصر آخر في المجموعة الهرمية — أن تضمن للملك أو الملكة السعادة في الحياة بعد الموت . وكان سحر الكلمة المكتوبة قويا لدرجة أن وجودها وحده يكفى ليضمن تحقيق الأفكار التى تعبر عنها .



شكل (٢٣) - الحجرات والممرات فى هرم أنوبس

ولا شك أن الكلمة التى تخرج من فم شخص له أهمية التفوه بها . كان لها أيضا الأثر نفسه على الأكل . ولكن خروجها من الفم كان يتوقف على حسن قصد أو مثابرة أشخاص آخرين .

ويوجد نص يكتب عادة على الجدار الشمالى لحجرة الدفن يبين الصلوات التى يتلوها الكهنة كل يوم فى المعبد الجنائزى عندما يضعون الأطعمة على المذبح أمام الباب الوهمى . فإذا ما كتبوا هذه الصلوات وملأوا مخازن المعبد بالأطعمة ، فإن الملك يأمن غائلة الجوع والعطش حتى ولو أهمل الكهنة فى أداء واجباتهم . ويصف كثير من النصوص رحلة الملك فى العالم الآخر ، ذلك العالم الذى كان مقره فى السماء بعد الألفى الشرقى ، ويصف مجهوداته عند وصوله الى هناك . وواضح أن

الملك لا يتوقع أن يلقي معونة ذات شأن من الآلهة عندما يقوم بهذه الرحلة ، ولكنه إذا تحصن بقوة هذه النصوص السحرية يستطيع أن ينجح في التغلب على كثير من مخاطرها . وبمساعده هذه النصوص أيضا يضمن الملك اشتراكه مع اله الشمس في رحلته اليومية عبر السماء . وبين هذه النصوص مجاميع من الأناشيد للآلهة ودعوات من أجل الملك المتوفى .

وأكثر نصوص الأهرام لم يكن من عمل الأسرتين الخامسة والسادسة على وجه التأكيد ، ولكنها نشأت في العصور الموعلة في القدم ، ولهذا لا نعجب إذا رأيناها تحتوى في بعض الأحيان على تعليمات لأمر لم يزاولها الناس في عهد أوناس ومن جاءوا بعده ، ففى المتن رقم ٦٦٢ مثلا نقرأ هذه العبارة : « اطرَح الرمل عن وجهك » وهى عبارة لا يمكن الا أن تشير الى طريقة الدفن في عصر ما قبل الأسرات ، عندما كان الملك يدفن في قبر محفور في الرمل .

وهناك خطأ مشابه ولكنه يشير الى مصاطب الطوب اللبن في العصر العتيق ، ففى المتن رقم ٣٥٥ : « أزيلت قوالب الطوب من أجلك فى القبر العظيم » . وفى المتون رقم ٢٧٣ — ٢٧٤ اشارات الى عادات كانت متبعة فى عصور أقدم عهدا من العصر العتيق ، تصف الملك المتوفى كصياد يمسك الآلهة ويلتهمها لكى تحل صفاتها فيه .

ولكن فى الوقت ذاته نجد ذكر الهرم فى كثير من هذه المتون ، ومعنى ذلك أن هذه المتون يمكن أن تكون قد نشأت قبل الأسرتين الثالثة والرابعة ، فالمتن رقم ٥٩٩ مثلا يقول : « هم (أى الآلهة) أولئك الذين يجعلون هذا العمل خالدا وسيجعلون هذا الهرم خالدا » . ونظرا للإشارة المستمرة الى عقيدة الشمس يكاد يكون من المؤكد أن هذه المتون من عمل كهنة عين شمس . فعندما وضعوها فى الأسرة الخامسة أخذوا بعض تعاويذ دينية قديمة وأضافوا عليها بعض أدعية وصلوات من عصور أحدث لتلائم احتياجاتهم فى العصر الذى عاشوا فيه .

ومع أن الغرض من متون الأهرام هو مساعدة الملك المتوفى ، الا أن وجودها فى قبره خلق مشكلة جديدة لها خطورتها ، فنظرا لكتابتها بالهيروغليفية فقد اشتملت على كثير من صور الكائنات الحية ، ولم يكن لهذه الصور قيمتها كعبادة من علامات اللغة

الهيروغليفية فحسب ، بل كان لها — بفضل السحر — القدرة على أن تصبح مرة ثانية المخلوقات التي تمثلها . فمثلا رسم الأسد يعبر عن العلامة التي تنطق « رو » ، وفي الوقت ذاته اسم الحيوان الحي نفسه بكامل صفاته . وكذلك صور الآلهيين التي تتكون منها بعض العلامات الهيروغليفية المستخدمة بكثرة تؤدي وظيفة مزدوجة . فلكي يدرأوا عن الملك خطرهما — الذي قد ينتج من وجود عدد كبير من كائنات عدوة للإنسان ومهلكة له على مقربة من المكان الذي هو فيه — لجأ الكهنة والفنانون الى عدد من الحيل المختلفة . فأحيانا يحذفون العلامات الخطرة ، أو يضعون مكانها علامات تمثل أشياء لا حياة فيها ولها نفس القيمة الصوتية في اللغة الهيروغليفية . وكثيرا ما كانوا يحذفون من صور الإنسان الرجلين والجسم ، فتقتصر على الرأس والذراعين فقط . أما الحيوانات فانهم يستطيعون تفساد ضررها بوسيلة بسيطة ، وهي يتر أجسامها ورسمها نصفين الواحد منها منفصل عن الآخر . أما الشعباء فكانوا يرسمونها كاملة ، ولكن العقارب كانت تجرد من أذنابها . وكان المخلوق الوحيد الذي لم يسمح بوجوده على جدران حجرة الدفن هو السمك (ولم يشنوا عن هذه القاعدة الا مرة واحدة فقط) الا أن هذا الاغفال لم يكن راجعا الى أن السمك ربما يزعج صاحب المقبرة بوجوده ، بل نتيجة اعتقادهم بأن السمك — رغم أنه غير ضار بالإنسان الحي — إلا أنه يندس الى جثة .

وبقيت متون الأهرام ، ولكن في صورة معدلة ، أثناء الدولة الوسطى . فان عادة كتابة المتون على جدران الحجرات والممرات في القبر قد أهملت وكتبت بدلا من ذلك على الجوانب الداخلية للتوابيت الخشبية المستطيلة التي كانوا يستخدمونها في ذلك العصر ، وهذا هو السبب في تسميتها « متون التوابيت » . وفي هذا العصر أيضا لم تعد قاصرة على الملوك بل اغتصب النبلاء حق استعمالها ، متبعين في ذلك نفس الطريقة الديمقراطية التي اتبعوها في أمور أخرى كثيرة كانت في أول أمرها امتيازاً قاصراً على الملك . وفي عصر الدولة الحديثة ، وبعد أن دخلت على المتون تعديلات أخرى ، كتبت على ورق البردي وسميت « كتاب الخروج أثناء النهار » ، وهي التي يعرفها أكثر الناس في العصور الحديثة باسم « كتاب الموتى » .

وبنى تيتي وببى الأول ومن رع أهرامهم في سقارة ، فاختار تيتي منطقة تقع في الشمال الشرقي من الهرم المدرج ، بينما اتجه خليفته الى جهة الجنوب واختارا موقعين لهرميهما على مقربة من مصطبة

ولم تشذ المجموعات الهرمية الثلاث عن النظام المتبع ، ولكن التفاصيل الكاملة لمبانيها لا يمكن التحقق منها حتى يكشف عنها تهما ، فالأهرام ذاتها تبدو صغيرة اذا قورنت بأعمال العصور السابقة ، ولكنها رغم صغر حجمها ورغم تدهمها فان أهميتها كبيرة ، نظرا لما تحويه من النصوص التى تشمل كثيراً من متون لم ترد فى هرم أوناس . واحد هذه الأهرام الثلاثة — وهو هرم بيبى الأول — جدير بأن نذكره لأن نصوصه كانت أول متون الأهرام التى عثر عليها ، وكان يظن قبل أن يكتشفها ماسيرو فى عام ١٨٨١ أن الجدران الداخلية فى الأهرام كانت عارية من الكتابة .

واعطى بيبى الثانى — الذى خلف من رع — عرش البلاد وهو طفل ، ومات فى سن المائة ، على ما ذكره ماينتون . وقد ذكرت الوثائق التاريخية المصرية التى كتبت فى العصور المتأخرة أنه حكم أربعاً وتسعين سنة ، فان صح ذلك فحكمه أطول حكم فى تاريخ مصر . وتقع مجموعته الهرمية — أو على الأصح ما تبقى منها بعد قرون من تعرضها للهدم والاعتداء — على مسافة قصيرة الى جنوب مجموعتى سلفيه ، وتبعد بمقدار ٣٠٠ ياردة عن الركن الشمالى الغربى لمصطبة شيبسكف ، وقد حفرها جوستاف جيكييه بين عام ١٩٢٦ وعام ١٩٣٦ ونجح فى معرفة رسوماتها التخطيطية كلها ، والقليل من مبانيها . وكان من نتيجة عمله هذا أن أصبح ميسورا لنا أن نرى تخطيط المجموعة الهرمية عندما اكتملت ووصلت الى آخر تطوراتها .

وأمام مبنى الوادى رصيف عريض يبرز مسافة لا بأس بها عن حدوده الشمالية والجنوبية (شكل ٢٤ — ١) ، ولكي نصل الى هذا الرصيف من مستوى الوادى يجب أن نصعد منزلقاً قصيراً من كلا الجانبين ، ثم نواصل السير فى منزلق أطول صاعد ولكنه على زاوية قائمة . واحاط بالرصيف فى نواحيه الشمالية والجنوبية والغربية جدار سميك مرتفع من الحجر الجيرى ، وبنيت سلالم ضيقة داخل المبنى عند كل طرف من الجدار ، وهى تؤدى الى « متراس » يمتد بطول الجدار كله . وفى وسط الجدار الغربى الطويل فتح باب عتيقه وجانباه من الجرانيت نقشت عليه أسماء والقاب الملك ، بحروف هيروغليفيه كبيرة ، ويوصل هذا الباب الى طريقة تسير خلال سمك الجدران حتى تصل الى بهو أعمدة به ثمانية أعمدة مستطيلة كانت من الحجر الجيري على الأرجح .

ولم يبق من مبانى هذا الفناء الا ارضيته واساساته ، مثل باقى ابنية المعبد ، ولكن المكتشف وجد بين الرديم بعض قطع نقشت ولونت بعناية نقوشا كانت يوماً من الأيام على جدران ذلك الفناء . ويبدو ان المناظر المرسومة كانت من الذع التقليدى الذى يمثل الملك وهو يذبح أعداءه أو يصطاد الطيور فى أحراش الدلتا أو فى حضرة الآلهة . ولا شك أنها كانت أهم حجرة فى المبنى كله ، اذ ان الحجرات الباقية لم تكن الا مخازن وغرفتين أخريين وكانت جدرانها عارية من النقش على ما يبدو . ولم تسفر الحفائر عن أثر لآى تمثال ، ولكن ليس من المستبعد أن هذا المعبد قد حوى عدداً من تماثيل الملك .

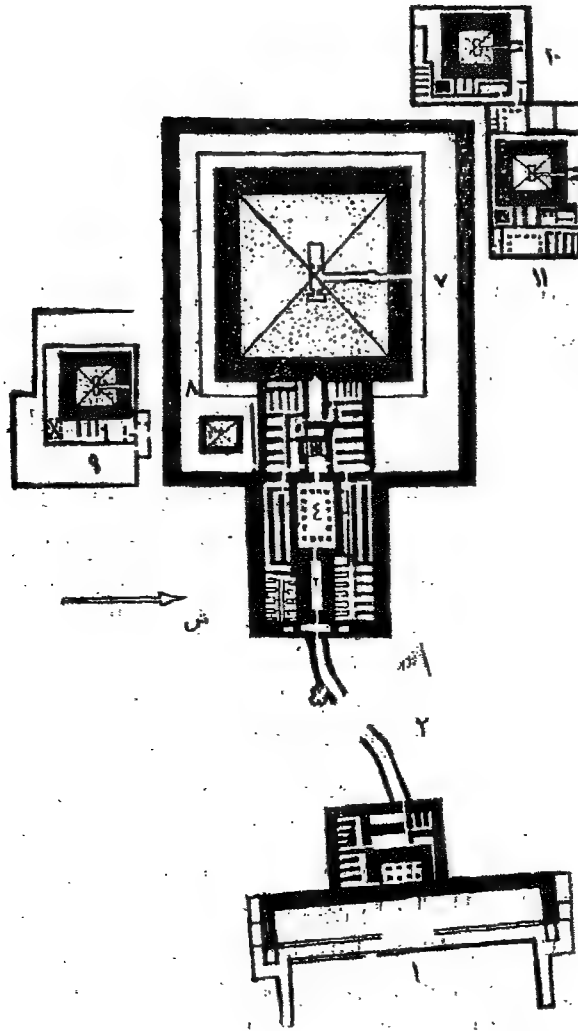
ومع أن مبانى طريق بيبى الثانى الجنازى (شكل ٢٤ - ٢) على أسوأ حالة ، الا أنه يشبه طريق أوناس فى كثير من الاعتبارات ، فكلا الطريقين غير اتجاههما مرتين ، أما لكى يستفيدوا من طبيعة المكان وأما لتقليل زاوية انحدارهما . وكذلك تقارب الممران اللذان غوثهما فى مقاييسهما أيضا . ولكن بينما عثر على كثير من بقايا النقوش فى ممر أوناس ، نجد أنه لم يعثر الا على بعض قطع قليلة مبعثرة فى ممر بيبى الثانى . ويبدووا واضحا من هذه القطع أن المناظر التى كانت مرسومة فى الطرف الأسفل من الممر تشبه كثيرا تلك التى كانت فى المكان نفسه فى ممر ساحورع ، فالملك ممثل على صورة أبى الهول أو على صورة أسد برأس طائر وهو يطاء تحت أقدامه أعداء مصر التقليديين الذين تحضرهم اليه الآلهة كأسرى . وكان يصحب هذا المنظر ، كما فى الأماكن الأخرى ، مجموعة من النقوش تبين الآلهة سثشات وهى تسجل أسماء الضحايا وتحرر كشوف الجزية المأخوذة .

أما المناظر التى فى الطرف العلوى من الممر فكانت تحمل طابعاً جنائزياً صرفاً ، فهناك صفوف طويلة من الخدم يحملون ما تنتجها الضياع الملكية الى القبر . وفى المناظر المجاورة نجد مواكب مشابهة ، لكنها تتكون من الآلهة والالهات ، تتقدم نحو الملك الجالس على عرشه . وبالقرب من أعلى الممر نرى أبواباً فى الجدران الجانبية لكى يمر منها الكهنة الذين يصلون الى المجموعة الهرمية من الشمال أو الجنوب ويريدون دخول المعبد الجنازى ، فلا يضطرون للذهاب أولاً الى مبنى الوادى ثم يصعدون الطريق الجنازى كله . وكان البواب يقيم فى بيت

صغير الى جوار جدران المبر ، ليحرس الباب الجنوبي وليمنع الأشخاص غير المصرح لهم بالدخول الى الأماكن المقدسة . ولم يعثر على اثر لمثل هذا البيت الصغير في الجانب الشمالى ، اذ ان المكان متهدم الآن ولا يمكن تحقيق وجود مكان الباب نفسه ، ولكن المفروض ان مثل هذا البناء كان موجوداً .

وكان الطريق الجنازى في هذه المجموعة مفصّلاً عن بهو المدخل في المعبد الجنازى بمرر مستعرض لا يمكننا أن نعتبره عنصراً معمارياً جديداً لأنه ، كما يبدو ، قد قصد به فقط أن يوصل الى السلام التى تؤدى الى السقف من ممرات في كلتا الناحيتين . ولم يختلف بهو المدخل في الشكل والحجم عن التصميم المعتاد . فكانت جدرانه محلاة بالنقوش ، وفي أحدها ترى الملك وهو يصطاد فرس النهر من قارب مصنوع من البوص . ويعد بهو المدخل مباشرة نجد فناء فيه أعمدة على جوانبه ، وهو وأن كان أقل اتقاناً من الناحية المعمارية الا أنه يتفق في تخطيطه مع أبهاء معابد الأسرة الخامسة (شكل ٢٤ - ٤) . ولم تنقش الثمانية عشر عموداً المصنوعة من حجر الكوارتزيت الأحمر والتي تحمل سقف المشى لتحاكى الأعمدة النخيلية أو أعمدة البردى ، بل صنعت من قطعة واحدة مستطيلة زين وجهها الخارجى فقط بصور الملك مع أحد الآلهة ، وحلت بلاطات من الحجر الجبرى محل بلاطات البلازيت المصقول أو المرمر في معبدى ساحورع وأونس . ومن المحتمل أنهم لم يزينوا جدران هذا الفناء بزخرفة نقوشه باللوان زاهية ، وربما كان مظهره — اذا قارناه بالمعابد التى شيدت قبله — بسيطاً ومملاً لا تنوع فيه .

ويعد هذا الفناء ذى الأعمدة الجانبية يقع الممر المستعرض المتوسط الذى لم يستخدم لفصل الأجزاء الداخلية من المعبد عن الأجزاء الواقعة خارج السور المحيط بالهرم فحسب ، بل كان النقطة المركزية في المجموعة الهرمية كلها . وبالرغم من أنه تطور معمارياً من الجزء الغربى من المبر الذى يحيط في المعابد السابقة بالجدران الخارجية للأبهاء ذات الأعمدة ، الا أنه أصبح الآن عنصراً مستقلاً ، وحذفوا الأقسام الجنوبية والشرقية والغربية من الممر السابق . وتؤدى الأبواب الموجودة في الطرفين الشمالى والجنوبى لهذا الممر الى داخل السور المحيط بالهرم ، حيث تقوم — في الركن الجنوبى الشرقى من الهرم الإضافى (شكل ٢٤ - ٨) والى الشرق من هذا الممر ومناخها للجانبين الشمالى والجنوبى من البهو ذى الأعمدة وبهو المدخل — مجموعة



شكل (٢٤) - المجموعة الهرمية لبيبي الثاني

كبيرة من المخازن . ونحن نعرف ان نى أو سررع - نظراً لقلة المساحة في معبده الداخلى - شيد المخازن على جانبيه بهو المدخل ، ولهذا لا يمكن القول بأن بيبي الثانى قد ادخل بدعة معمارية في هذا الصدد . وكانت الأجزاء الداخلية من المعبد وباقى المخازن تقع في غرب المر ، ونصل اليها عن طريق فناء صغير أو بهو يحتوى على كوات التماثيل الخمسة (شكل ٢٤ - ٥) .

ولم يعثر جيكييه الا على بعض قطع صغيرة من النقوش في المهر المستعرض المتوسط ، ولكنه استطاع أن يبين في رسمه — الذى صور فيه هذا المهر كما كان يوم انشائه — أن تلك النقوش كانت من أهم ما في المعبد كله . وفي الناحية الجنوبية من الجدار الشرقى نرى الملك وهو يضرب زعيما ليبيا أسيرا بقبوسه على رأسه ، ووقف خلف هذا الزعيم زوجته وولداه طالبين الرحمة . ولم يكن هذا المنظر تكراراً للموضوع المرسوم في معبد ساحورع فحسب بل هو فى الحقيقة نسخة منه ، حتى في تكرار اسماء الزوجة والولدين . وتثبت هذه النسخة المزدوجة لموضوع واحد في معبدى ملكين يفصل بين حكميهما قرنان من الزمان أن نقوش المعابد لا تسجل في الواقع حوادث تاريخية من حياة الملك بل انها تثبت أنه لم يقصد منها سوى اظهار الحياة المثالية التى كان الملك يرغب في ان يحيهاها في العالم الآخر .

وفي مكان آخر من هذا الجدار نفسه نرى الملك مرسوما أربع مرات لابسا تاج مصر العليا وممسكا في يده سوطا وشيئا مستطيلا ، وهو يؤدي شعيرة دينية تتطلب منه أن يجرى بين أحجار مرصوصة على هيئة حدوة الجواد وبعضها موضوع على مسافة من البعض . وقد سبق العثور على مثل لمنظر هذا الاحتفال في الهرم المدرج (لوحة ١٣) وهو منظر الجزء الخاص بعيد الحب سد ، ويبدو أن الغرض منه في الأصل على الأقل هو اعادة الخصوبة الى الأرض . وفي منظر آخر على هذا الجدار — وربما كانت له أيضا علاقة بشعائر الخصوبة — نرى الملك واقفا الى جوار عمود مرتفع مدعم بأربع سنادات من الخشب ، ورسم رجلان أحدهما فسوق الآخر وهما يسفلقان هذه السنادات ، بينما يقف آخرون ممسكين بالحبال المربوطة في السنادات والعمود . وهناك نسخ من هذا المنظر ، الذى يذكرنا الى حد ما باحتفالات « عمود شهر مايو » في العصور الوسطى . ونرى أيضا في اللصوص المتأخرة على جدران معابد الكرنك والاقصر ودندرة وادفو صورا منه ، ولكننا نرى في تلك النسخ الاله مين اله الخصب يقف في مواجهة الملك على الجانب الآخر من العمود المرتفع ويتقبل منه خضوعه .

ومن فجوة في الجدار الغربى المستعرض المتوسط ، يوصل سلم صغير الى البهو أو الفناء الذى توجد فيه كوات التماثيل الخمسة (شكل ٢٤ — ٥) ولكن لم يبق داخل هذه الكوات الا قاعدة تماثيل واحد مهشمة ، وهى تثبت أن التماثيل قد صنعت من الحجر الجيري . وتمشيا مع العادة المتبعة لدى المصريين كانت هذه التماثيل ملوثة ،

وكان على كل تمثال اسم الملك ولقب من القابه الخمسة على الأقل . وكانت هناك أيضا أبواب مزدوجة من الخشب لتحجب التماثيل عن العيون في غير أوقات الطقوس الدينية التي كانت تقام أمامها . وربما كانت هناك أيضا مجموعة ثانية من التماثيل مخبأة ، وذلك اذا صبح التفسير الذى يقول بأن البناء الاجوف الذى يقع داخل البناء خلف الكوات الخمس ليس الا سردابا .

وفى كل من طرفى بهو التماثيل مر ، الشمالى منهما يؤدى الى مجموعة صغيرة من المخازن ، والجنوبى الى حجرة ضيقة تتصل بدورها بمجموعة أكبر من المخازن وبردهة مربعة الى جوار المذبح (شكل ٢٤ - ٦) . وكان من بين النقوش التى تزين جدران الحجرة الضيقة منظر من المناظر العديدة التى تكررت فى هذا المعبد وتمثل الملك منتصرا على أعدائه ، ولم يبق من هذا المنظر الا أجزاء قليلة ولكنها تعطينا فكرة واضحة عن المنظر كله ، لأن جيكيه قد عرف فيها انها كانت الأصل الذى نقلت عنه نسخها ، نقلها الملك امنخوتب الثانى فى معبد الكرنك بعد موت بيبى الثانى بنحو الف سنة . وفى الجزء الأوسط من المنظر رسم كبير للملك ملوحا بدبوس فوق رعوس جمع من الأسرى الأجانب ، وخلف الملك صورة آدمية صغيرة تمثل قرينه الذى يحمله ، وفى مكان آخر من المنظر ترى الالهة سثبات تسجل على قرطاس عدد الأسرى المنبوحين ومقدار الجزية المأخوذة .

وان تكرر وجود مثل هذه المناظر فى المعبد الجنازى يجعلنا نظن أن احتفالات فى أوقات معينة كانت تقام لاهياء فكرى النصر الذى أحرزه المصريون فى العصور الأولى على جيرانهم الأجانب ، وربما كان هذا التفسير يوضح لنا أيضا وجود بعض تماثيل فى هذا المعبد وفى غيره من معابد أسلافه ممثلة أسرى من الأجانب راكعين مكتوفى الذراعين . ولم يعثر حتى الآن على تمثال كامل من هذا النوع من التماثيل ، ونرى فى أكثرها أثر تحطيمها عن عمد . فمن المحتمل إذن أن تلك التماثيل كانت تستخدم أثناء تلك الاحتفالات الفكرية لتحل محل الأسرى الأحياء الذين كان من المفروض أن يقتلوا ، إذ ان العقلية المصرية لم تستسغ هذا النوع من القتل المجرد من أية رحمة .

ويحمل سقف البردهة المربعة عمود واحد كان فى الغالب مئسرا الشكل . وعلى كل من جدرانها الأربعة نرى الملك تستقبله الالهة المصرية وكبار الموظفين الدينيين والمدنيين ، الذين اجتمعوا لتحيته

مند دخوله المعبد آتياً من قبره عن طريق المقدس . فالآلهة الذين يزيد عددهم على المائة قد وقف كل منهم منتصب القائمة ممسكا بصولجان في يد ويعلامة « الحياة » في اليد الأخرى ، والموظفون البالغ عددهم نحو خمسة وأربعين قد انحوا أمام مليكهم خاشعين ، وكذلك نرى الجزارين وهم يذبحون الماشية استعداداً للاحتفال .

وكان المقدس (شكل ٢٤ - ٦) الذى يبلغ طوله ٥١ قدماً وعرضه ١٧ قدماً وارتفاعه ٢٤ قدماً أكبر حجرة فى المعبد الداخلى ، وزين سقفه القبة حسب المعتاد بنجوم ذهبية فوق أرضية من سماء زرقاء . ولم يبق أثر للباب الوهمى الذى يشغل النصف الأسفل من الجدار الغربى أو من المذبح المنخفض الذى كان أمامه على الأرض ، وفى الاستطاعة معرفة المواضع الكاملة للنقوش الملونة على الجدران الشمالية والجنوبية والشرقية مع أنها مهشمة الى مئات القطع . فعلى كل من الجدارين الطويلين كان الملك جالساً الى مائدة مضملة بالماكولات ، وقد وقف من ورائه قرينه ، وأمام كل مائدة رهط من مائة وخمسة وعشرين حاملاً للقرايين من الكهنة وموظفى الأقاليم ورجال البلاط وأعيان البلاد . وقد ضمن هؤلاء جميعاً بتمثيلهم فى هذا المنظر أن يظلوا فى خدمة الملك فى الحياة الأخرى . ومن بين القرايين التى يقدمها هؤلاء الرجال البط والأوز والنبذ والجمعة والفواكه والخبز والخضروات ، ونرى الماشية والغزلان والماعز وقد ربطت بحبال فى أعناقها أو أرجلها الأمامية ، أما الحمام والسمان فقد حملوه فى أقفاص . وفوق هذه النقوش أفريز عريض رسمت عليه مقادير أخرى من الأطعمة ، ويمتد هذا الأفريز على الجائط الشرقى حيث نرى مناظر ذبح الماشية وقد شغلت المكان الذى شغله جملة القرايين على الجدارين الشمالى والجنوبى .

ولم يحدث أن أمكن إعادة تكوين مناظر النقوش الأصلية فى مقدس المعبد الجنائزى كما حدث فى هذا المعبد ، أو رأينا كيف كانت جدرانه كلها مغطاة بما كان يسد الحاجات المادية اللازمة لاسعاد الملك المتوفى . فنحن نرى هنا جميع أنواع الماكولات ، فإذا أهمل الكهنة فى وضع الكميات اليومية من المؤن فوق المذبح فإن الملك لن يتأثر من الجوع أو العطش ، لأن مجرد وجود الصيغة السحرية التى صاحبت النقوش والضوء تمدها بجميع خصائصها المادية . وزيادة فى

الحرص، خزنوا بعض الخمر والأطعمة الجافة في عدد من المخازن في الناحية الشمالية ، وهى متصلة بالمقدس عن طريق ممر بينهما .

وقبل أن يقوم جيكييه بحفر هذه المنطقة كان كوم التراب المرتفع في الصحراء هو الدليل الوحيد على وجود هرم بينى الثانى ، الذى كان — مثل الأهرام الأخرى التى من عصره — مشيداً من أحجار صغيرة . واستخدموا في بنائه مونة مكونة من طوى النيل وقد أمسكت بعضها ببعض كسوة سميكة من أحجار طره الجيرية . وكان لهذه الطريقة في بناء الأهرام أضرار جسيمة ، إذ لا يوجد ما يعوق سرعته تحطيم البناء كله إذا ما أزيل جزء من الكسوة الخارجية ، وكان طول ناعدة الهرم عند بنائه ٢٥٨ قدماً تقريبا ، وارتفاعه العمودى ١٧١ قدماً تقريبا ، أى أنه أكبر من أى هرم من أهرام أسلافه المباشرين .

وكان هذا الهرم فريدا في ظاهرة واحدة فقط ، إذ بنوا حول قاعدته كلها أطارا مربعا ، وكسوه بأحجار طرة الجيرية ، ولم تكن له فتحة إلا في الناحية الشرقية فقط حيث يتصل المعبد الجنائزى بواجهة الهرم . ويرتفع هذا الإطار الذى يبلغ عرضه ٢١ قدماً الى مستوى المذمك الثانى ، أو ربما الثالث ، من كسوة الهرم . ونظراً لأنه بنى ملاصقا مباشرة للكسوة ، فمتحتم أن يكون قد أضيف الى الهرم بعد أن تم بناء الجزء الأسفل منه على الأقل .

وهناك في الواقع كل ما يجعلنا نعتقد أنه كان إضافة الى التصميم الاصلى لأن جيكييه وجد أن الجوانب الشمالية والجنوبية والغربية من السور المحيط بالهرم قد فك بناؤها ثم أعيد بعد ذلك على مسافة أبعد من الهرم ، وربما كان ذلك لانساح مكان لبناء الإطار . ومن الصعب أن نفهم لماذا عملت هذه الإضافة ، ولكن ربما أوجبها زلزال هز كيان البناء كله فبنوا هذا الإطار لزيادة متانته . ويرى البعض أن هذا الإطار ربما يفسر البناء المستطيل المضاف الى قاعدة الهرم عندما يستعمل كعلامة هيروغليفيه



هذا الإطار ليس له شبيه معروف ، ويبدو أن تنفيذه في هذه الحالة جاء فيما بعد كنتيجة أملتها حادثة معينة ، وأغلب الظن أن العلامة الهيروغليفيه السابق الإشارة إليها تمثل الهرم يعلو فوق جدار السور المحيط .

واكتشف جيكييه عند فك جزء من الاطار خارج مدخل الهرم أن بعضا من الأحجار التي استخدمت في بنائه مزينة بالنقوش ، ومن المعتاد أن النقوش التي تدخل في بناء الجدران أو المبانى لابد أن تكون من مخلفات مبان أقدم عهداً تستخدم غالباً بعد مرور قرون كثيرة . ولكتبنا نجد أن هذه النقوش كانت دون شك من العصر نفسه كتلك التي في المعبد الجنائزى المجاور ، وإن الاستنتاج المنطقي ليدل بوضوح على أنها كانت في يوم من الأيام جزءاً من البناء الذى هدم في الوقت الذى أضيف فيه الاطار الى جوانب الهرم .

ويمكن تحديد طبيعة البناء من هذه النقوش القريبة الشبه بتلك التي كانت في المقدس ، وذلك في اشتغالها على صفوف الموظفين الذين يحملون القرابين الى الملك الجالس الى مائدة ، وعلى مناظر ذبح الحيوانات ، وفي ذلك ما يجعلنا نرجح أن البنائين قد صمما للقيام بوظائف متشابهة . فنحن نعرف وجود هيكل للقرابين عند مدخل القبر وذلك في هرم تيتي أول ملوك الأسرة السادسة ، كما نعرف أمثلة أخرى من عصور متأخرة ، ولهذا لا يكاد يوجد شك في أن هيكلنا من هذا النوع بنى أيضا عند مدخل هذا الهرم (شكل ٢٤ - ٧) ، ولكن إضافة الاطار استلزمت إزالته ، وربما حل محله فيما بعد هيكل جديد لم يبق له أثر الآن ، أو أنهم عدلوا عن التخطيط الأصلي .

وكانت كل أهرام الأسرة السادسة متشابهة في التصميم العام وفي ترتيب أجزائها الداخلية . فينحدر من المدخل الى أسفل انحداراً شديدا لمسافة قصيرة ، ثم يستمر أفقياً الى أن يصل الى ردهة مربعة بين السرداب وحجرة الدفن . وفي بداية القسم الأفقى يتسع الممر ويرتفع سقفه فيكون منه ما يشبه الحجرة . وقد وجد جيكييه داخل هذه الحجرة في هرم بيبى الثانى بعض قطع من أوانى المرمر والديوريت نقش عليها اسم الملك مع أسماء بعض من سبقوه ، واستنتج من فحص هذه القطع أن الأوانى ربما كانت تحوى عطورا كسرت عهداً أثناء القيام بشعيرة دينية عند مدخل القبر . ونقشت متون الأهرام على جدران هذه الحجرة وعلى كل الجدران الباقية في داخل الهرم ، باستثناء تلك الأجزاء من الممر التي كسيت بأحجار الجرانيت ، والسرداب والطرف الغربى من حجرة الدفن المجاورة للتابوت حيث كسيت الجدران بالمرمر وزينت برسوم تمثل بابا وهمياً وبعض دخلات وخرجات .

وبالرغم من أن هذه المتون ليست محفوظة جيداً مثل متون أوناس ، إلا أن كلا منهما تتشابه في كثرتها ، وأن محتوياتها مرت بدور التطور ووصلت الى مستوى عال .

ويقع خارج السور المحيط بهرم الملك ثلاثة أهرام صغيرة خاصة بالمسكات أوجبتن (Ujebten) وأبوت (Iput) ونيت (Neit) . (شكل ٢٤ — ٩ و ١٠ و ١١) أما الملكة الرابعة المسماة عنخس — ان بيبي (Ankhes-en-Pepi) التى تزوجها في آخر أيام حكمه الطويل والتى عاشت بعده بمدة فلم تدفن في هرم . وكان لكل من الأهرام الثلاثة مجموعته الخاصة به ، والتى تضمنت في صورة مصغرة العناصر الأساسية للمعبد الجنائزى والسور الذى يحيط بهرم الملك ، ويمكن رؤية أوضح الأمثلة لتخطيطها وتنظيمها في هرم نيت (شكل ٢٤ — ١١) .

نفى الركن الجنوبي الشرقى من جدار السور الحجرى المحيط بالهرم ، يوجد مدخل ضيق يوصل الى زدهة تتصل بدورها بفناء مكشوف محاط من جوانبه الثلاثة بأعمدة مربعة ، وزينت جدران كل من الزدهة والفناء بنقوش بارزة تمثل الملكة وهى تقدم القرابين لالهات مختلفة أو تتقبل التحية من أسرتها وأتباعها . ويخرج ممر من الركن الشمالى الغربى للفناء ويمر بمجموعة من خمسة مخازن وفناء صغير فيه ثلاث كوات للتماثيل والمقدس . ويقع خلف الحجرة الطويلة والكوات سرداب أقيم داخل البناء ، وهو بذلك يشبه السرداب الذى بين الكوات والمذبح في معبد الملك .

ولم يكن هرم الملكة نيت — الذى يبلغ طول ضلع قاعدته المربعة ٧٩ قدماً وارتفاعه نحو ٧٠ قدماً — في كل معاله الأساسية الا نسخة مصغرة من هرم الملك . وأقيم أمام مدخله هيكل للقرابين كانت جدرانه الداخلية مزينة جزئياً بنقوش تمثل الملكة وهى تتسلم المأكولات . ووضع مذبح للقرابين الجنائزية عند قاعدة الباب الوهمى الذى قام مقام الجدار الجنوبي من الهيكل . ولما كان هذا الباب يغطى فتحة الممر الى الهرم فلا بد أنه لم يوضع في مكانه الا بعد عملية الدفن ، أما داخل الهرم فإن الجدران الجانبية للممر بعد سقطة الجرائيت الوحيدة كانت مغطاة بمتون الأهرام الى حجرة الدفن ما عدا طرفها الغربى حيث كسيت الجدران بالمرمر ، وزينت برسوم الباب الوهمى والدخلات والخريجات . وكان التابوت الجرائيتى عند العثور عليه فارغاً بدون غطاء .

وكان الى جواره ، مدفونا في ارضية الحجرة ، الصندوق الكانوبي
المصنوع من الجرانيت والذي كان يحتوى يوما ما على اربعة اوان
وضعت فيها احشاء الملكة ، وفي الناحية الأخرى من حجرة الدفن
توجد طريقة قصيرة تؤدي مباشرة الى السرداب دون وجود الردهة
التي تفصل بينهما كما هو الحال في هرم الملك .

وربما كان اهم شيء للمجموعات الهرمية الثلاث للملكات تلك
الأهرام الاضافية بالقرب من الركن الجنوبي الشرقي لكل هرم منها .
ففى مجموعات أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة كان بعض
علماء الآثار المصرية ينظرون الى تلك الأهرام الاضافية على أنها قبور
للزوجات الملكيات ، نظرا لمشابهتها للأهرام الاضافية التي أقامها خوفو
ومنكاورع ، والتي لها في الحقيقة كل مظاهر القبور الملكية ، ولكن
هذا الظن أصبح بعيد الاحتمال بعد أن عرفنا أن بيبي الثانى ، مع أنه
ضمن مجموعته الهرمية حرما اضافيا ، الا أنه بنى أهراما منفصلة
بمجموعات هرمية للملكاته ، فخفضت هذه النظرية نهائيا بعد أن ثبت
أن كل مجموعة هرمية للملكات قد احتوت أيضا على هرم اضافى .
وبالرغم من أننا لا نعرف التفسير الثابت الصحيح لوجود هذه الأهرام،
فإن بعض البيانات عن الغرض الحقيقى من وجودها قد أمدنا به هرم
نيت الاضافى الذى كان مملوءا بأوان من المرمر والفضة . وعلى ذلك
فالأرجح أنهم كانوا يظنون أن تلك الأوانى كانت تكتسب من محتوياتها
فضلا خاصا والا كانوا وضعوها في المخازن .

ووجد جيكيه في الفناء الصغير خارج هرم نيت الاضافى ستة عشر
تمونجا لمراكب دفنت جنباً الى جنب في حفرة غير عميقة . ومع أن
وجود مثل هذه النماذج في الدولة القديمة كان نادراً نسبياً ، الا أن
مقابر انفرد الثانية والدولة الوسطى كثيراً ما اشتملت عليها كجزء من
أثاث حجرة الدفن ، وكانت توضع فوق غطاء التابوت . ولم يكن الفرق
بين مكان النماذج في العصرين بمحض الصدفة ، ولكنه كان على الأرجح
نتيجة لاختلاف الغرض منهما . ففى الدولة الوسطى كانوا يقصدون
من استعمالها أن تكون لفائدة المتوفى في الحياة بعد الموت ، ولهذا كان
من الضروري أن تحفظ بنفس العناية التي يحفظ بها باقى أثاث القبر .
أما المراكب الموضوعة تحت أرض مجموعة نيت الهرمية فكانت صورة
مصغرة للأسطول المستعمل في جنازة الملوك لنقل الجسم الى مبنى
الوادى .

وقد بنى هرم نيت على مسافة بعيدة من الوادى ، فلم يخصص له مبنى للوادى أو طريق جنازى لان الوصول الى مكانه عن طريق الماء كان أمرا غير عملى ، ولكن رغم ذلك فقد كان للاحتفال بنقل الجسم فى مركب درجة من القداسة أجبرتهم على وضع بديل عنها من نماذج المراكب ، فهتى وصلت الجثة الى القبر تصبح وكأنها قد أدت وظيفتها، وكانت تدفن بعد ذلك فى حفرة بسيطة معرضة لما يلحقها من اذى النمل والقوى المدمرة الأخرى .

ويبدو أن بيبي الثانى كان آخر ملك فى الدولة القديمة بنى مجموعة هرمية على نمط كبير ، وقد ترك أخذ خلفائه ويسمى ايبى (Ibi) هرما لم يتم بناؤه ، ولكن لم يزد حجمه عن هرم نيت وتنقصه المبانى المعتادة الملحقة به . ولم يكن هذا التدهور نتيجة لتغير مفاجئ فى العقائد الدينية ، وانما كان مرجعه الى نقص الثروة وفى نفوذ العرش ، وهى الحالة التى استمرت بعد ذلك مدة تزيد على مائتى سنة . فمئذ الأسرة الرابعة اعتاد الملوك مكافأة رجالهم لا بتشييد المقابر لهم فحسب، بل باقطاعهم قطعا ذات قيمة من الضياع الملكية التى خصصت غلتها لتزويد المقابر بالأكولات . وكانت مثل هذه الاراضى الموهوبة تعفى عادة من الضرائب ، ومع مرور الأيام أصبح مجموعها كبيرا وسبب نقصا فى موارد الخزانة وأثر على الدخل . وزيادة على ذلك ففى الأسرتين الخامسة والسادسة أصبحت وظيفة حكام الأقاليم وراثية ، بعد أن كان الملك يمنحها سابقا لمدة معينة أو مدى حياة من يعينه فيها . وكانت نتيجة ذلك أن تكون جيل من أمراء الأقاليم لم يعودوا يشعرون بأنهم مدينون بمراكزهم لعطف الملك بل اعتبروها كحق ينالونه بفضل مولدهم . ولكن النتائج التى ترتبت على هذه التطورات لم يظهر أثرها الا فى نهاية حكم بيبي الثانى الطويل ، عندما أدت كهولته الى نقص فى الهيبة الشخصية التى كان يتمتع بها الملك سابقا ، فلم يمض على موته الا فترة قصيرة حتى ساءت الأمور فى البلاد ، وخاصة فى الشمال عندما تعرضت لغزو اسيوى ، وأصاب أمورها الداخلية الانحلال ، وعادت مرة ثانية فانقسمت الى أقاليم تشبه تلك التى أخضعها الملك « مينا » عندما وحد الأرضين فى بداية العصور التاريخية.

فاذا ألقينا نظرة سريعة على أهم المعالم الفنية فى المجموعات الهرمية للأسرتين الخامسة والسادسة نجد أن أهم ما استحدثوه هو الأعمدة الجرانيتية التى على شكل النبات ، وكذلك الزيادة العظيمة فى استعمال النقوش على الجدران . وقد استعمل زوسر من الأسرة الثالثة من قبل

الاعمدة التى على هيئة ساق بردى أو زهرة لوتس ، ولكنها كانت تصنع من الحجر الجيرى ولم تقم فى وسط حجرة بمفردها ، ولسنا نعرف شبيها لها فى الأسرة الرابعة . ونرى فى مجموعة خفرع الهرمية — اذا اعتبرناها نموذجا لعصره — أن أعمدة ذلك العصر كانت مستطيلة وخلت من الزخرفة خلوا تاما ، وفى عهد بيبي الثانى فضلوا استعمال الأعمدة المستطيلة مرة أخرى ، ولكنها لم تكن خالية من الزخارف ولم تكن أيضا من الجرانيت .

ولم تصل نقوش الأسرة الخامسة الى المستوى الفنى لنقوش الأسرة الرابعة ، ولكنها غطت مساحات كبيرة تشمل مواضع كثيرة وكانت أكثر حيوية فى تعبيرها . وإلى هذه الحقبة من الزمن تنتمى بعض المصاطب الهامة فى سقارة ، ومن أكثرها شهرة بنقوشها مصطبة تى وبتاح حتب . وقد أنتجت الأسرة السادسة أيضا أمثلة عظيمة من جبال النقوش ، أحسنها تلك التى فى مجموعة بيبي الثانى الهرمية وفى المصطبة القريبة من هرم تيتى ، ولكننا نرى فى أكثرها تدهورا واضحا فى قيمتها الفنية ، برغم ما فيها من حيوية بالغة وتنوع فى الشكل .

وبينما وصلت إلينا كميات هائلة من النقوش فى مدافن ملوك الأسرة الخامسة والسادسة ، فاننا نلاحظ أن عدد التماثيل التى عثر عليها لهؤلاء الملوك الذين صنعت من أجلهم تلك النقوش قليل جدا . وليس هناك ما يدعو الى الشك فى أن كل معبد قد ضم فى الأصل خمسة تماثيل على الأقل فى الكوات ، كما أقيمت تماثيل أخرى فى الأبهاء المكتشوفة .

كما احتوت معابد الأسرة السادسة التى كانت مزودة بسراديب على عدد من التماثيل التى أخفيت تماما عن الأنظار . ويمكننا أن نتخيل القيمة الفنية لهذه التماثيل المفقودة لا من القليل الباقى منها — بحسب — مثل رأس التمثال الكبير للملك أوسركاف المكتشف فى معبد بسقارة — بل من التماثيل الكثيرة للأتباع والموظفين المعاصرين التى عثر عليها فى المصاطب . ولا شك أن أعظم القطع الفنية يرجع تاريخها الى الجزء الأول من عصر الأسرة الخامسة ، عندما كانت الدروس التى تعلموها من المثاليين الذين نحتوا التماثيل الرائعة لخفرع ومنكاورع مازالت ماثلة فى أذهانهم . وفى النصف الأخير من الأسرة الخامسة وفى الأسرة السادسة هبط مستوى فن النحت هبوطا محسوسا ، ولكنهم أنتجوا فى هذه الفترة بضعة أمثلة تشر النفس من بينها ذلك التمثال المصنوع من المرمر للملك بيبي الثانى وهو طفل (لوحة ١٣) .

الفصل السادس

أهرام العصور التالية

في أعقاب الدولة القديمة عانت مصر عصرا من أحلك ما مر عليها في تاريخها الطويل ، فلم يهتم أحد بتقدم الفنون والصناعات ، ولم يقف الأمر عند ذلك بل ان معظم المعابد والمقابر من عصر بناء الأهرام بما فيها من قطع فنية وكنوز مخبوءة قد نهبت وخربت تخريبا منظما . ويذكر مانيتون ان الأسرتين السابعة والثامنة كانتا من حكام اعتلوا العرش في منف وحكموا عهودا قصيرة ، وكان سلطانهم محليا فقط . وعمت الفوضى الشاملة معظم أنحاء البلاد حتى لقد ظل معظم الأراضي من غير زراعة ، وأنشبت المجاعة أظفارها في عدد من الأمالييم . وبدا في وقت من الأوقات — أثناء عصر الأسرة الثامنة — أن محاولة قامت لإعادة الاستقرار في ثمانية أقاليم من أقصى الجنوب ، إذ تكون حلف تحت زعامة أمير قفط . وبعد أربعين عاما غزا أمير اهناسيا (Herakleopolis Magna) — ويسمى خيتي — مصر العليا كلها إلى حدود الشلال الأول عند أسوان ، وأصبح مؤسس الأسرة التاسعة (سنة ٢٢٣٠ ق.م) وامتدت مملكته شمالا حتى منف ، ولكنها لم تشمل كل الدلتا لأن جزءا منها ظل تحت سيطرة الغزاة الآسيويين .

وبعد مائة سنة تقريبا من غزو خيتي ، ثار أنتف أمير طيبة ضد ملك اهناسيا المعاصر له ، وأعطى نفسه لقب ملك مصر العليا ومصر السفلى . واتخذ اثنان من خلفائه نفس اللقب ، وكان كلاهما يسمى أنتف ولكن حملهم للقب لم يكن الا ادعاء على غير أساس ، لأن مملكتهم — مع أنها تضم كل البلاد الواقعة في الجنوب حتى أسوان — الا أنها لم تمتد في أي وقت من الأوقات إلى ما بعد أبيدوس في الشمال .

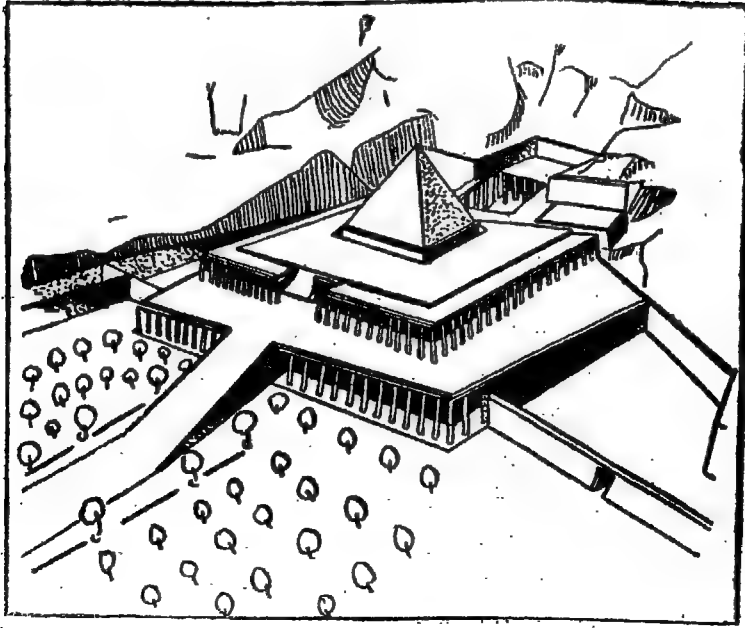
وبالرغم من ملكهم المحدود فانهم اعتبروا فيما بعد انهم أول ثلاثة من ملوك الأسرة الحادية عشرة . وسمى الملوك الثلاثة الباقيون من ملوك هذه الأسرة باسم منتوحتب (Menthuhetep) وكان ثانيهم المسمى نب — حبت — رع منتوحتب (Neo-hepet-Ra Menthuhetep)

من أعظم ملوك مصر . فاستولى في أول سننى حكمه — الذى دام واحدا وخمسين عاما — على ابيدوس التى كان قد أضاعها سلفه ، وزحف شمالا ليقهر منافسه فى اهناسيا ، وأقام نفسه ملكا على مصر كلها دون منازع .

واذا اعتبرنا بعض النقوش التى زينت يوما هيكلًا بناه نب . حبت . رع منتوحتب فى الجبلين (Gebelein) صالحة لتكون وثيقة تاريخية ، فإنه قاد أيضا حملة ناجحة ضد النوبيين والليبيين والأسويين ، ولكن ما يستنتج من هذا النوع من الآثار لا يمكن التعويل عليه . وبالرغم من أنه اقتدى الى حد ما بما فعله مينا قبله بألف عام ، إلا أنه لم يقم بنقل عاصمة ملكه الى الشمال بل استمر يعيش فى دليبة التى أصبحت لأول مرة مقرا للحكومة .

ونحن لا نكاد نعرف الا القليل من المعلومات الصحيحة عن ادارته الاقليمية ، ولكن من المرجح أن امراء الأقاليم — ما عدا عدد قليل من بينهم — عينهم الملك فى وظائفهم ولكنه سحب منهم الحق فى وراثة هذه المناصب . وبدأت الفنون تنتعش بعد أن بقيت مهلهة قرنين ونصف قرن من الزمان . وخلف مثال من هذا العصر يسمى ارتيسن (Irtisen) نقشا — يوجد الآن فى متحف اللوفر — سجل فيه : « كنت فنانا بارعا فى فنى ، متفوقا فى علمى .. عرفت [كيف تصور] الحركات فى صورة الرجل وقوام المرأة .. وموازنة الذراع عند التقلب على فرس النهر ، وحركات الشخص الجارى .. وليس فى استطاعة احد أن ينجح فى كل هذا [العمل] الا انا وابنى الأكبر من صلبى » .

ولم يكن النحت هو الفرع الوحيد للفنون التى انتعشت فى عصر نب . حبت . رع منتوحتب ، فقد تقدم فن المعمار تقدما ملحوظا كما يتضح ذلك من معبده الجنازى الفريد فى نوعه ، وهو المعبد الذى قام بحفره ادوارد نافيل (Edouard Naville) وه. ر. هول (H. R. Hall) لحساب جمعية الأبحاث المصرية (Egypt Exploration Fund) فى الأعوام ١٩٠٣ — ١٩٠٧ ، ثم بعد ذلك مرة أخرى ه. ا. وينلوك (H. E. Winlock) لحساب متحف التروبوليتان بنيويورك (شكل ٢٥ ولوحة ١٢) .



شكل ٢٥ - المعبد الجنائزى لـ « نب » حيت « رع متو حتب » .

بنى هذا المعبد في طيبة في جون عميق بين صخور الجبل على الضفة الغربية من النهر في المنطقة المعروفة باسم الدير البحرى ، وهو يحوى في تصميماته كثيرا من التجديدات تستلفت النظر . فلهذا المعبد طريق جنائزى غير مسقوف يبلغ طوله ثلاثة أرباع الميل ، على كل من جانبيه جدار من الحجر ، ويمتد من مبنى الوادى على حافة الأراضى المنزرعة ثم يصعد في حافة الهضبة الى فناء كبير محاط من كل جوانبه ما عدا الغربى منها بجدران عالية . ووضعت تماثيل للملك من الحجر الجيرى ، يبعد الواحد منها عن الآخر مسافة ٣٠ قدما ، وتمثله في صورة مومياء الاله أوزيريس مستندة الى الجدران الداخلية للطريق الجنائزى . وعند الطرف الغربى للفناء الامامى أقاموا صفين من الأعمدة المربعة حجبت الجانب الشرقى من شرفة عريضة أقاموا فوقها المعبد . وكان من بين النقوش الملونة التى تزين كسوة الشرفة مناظر لحملة حربية على الاسيويين ، وصفوف الأسرى الأجانب ، وفرق من الجنود المصرية المسلحة بالاقواس ، واسطول من السفن . وأمام هذه الأعمدة زرعوا - في حفر مملوءة الى عمق ٣٠ قدما بخليط من التربة السوداء

ورمل النهر — صفوفًا من الأشجار كانت تبدو كالغابة الصغيرة . وكانت كل هذه الأشجار من الأثل ، ما عدا ثمان منها — كل أربع على أحد جانبي الطريق الصاعد إلى أعلى الشرفة — فقد كانت من الجميز ، وكانت كل شجرة منها تظلل تمثالا جالسا للملك .

وقد نحت جزء من الشرفة في الصخر وبنى الجزء الآخر بالحجر ، وتشبه في شكلها حرف 'I' مقلوب . وكان الجزء المتقاطع منه متاخما للفناء الأمامي ، أما الجذع فقد نحت في واجهة لجبل . وفوق الجزء المتقاطع أقيم مبنى مربع زينت واجهاته الخارجية كلها — ما عدا الغربية منها — بأعمدة . أما جدرانها الأربعة فقد زينت كلها من الداخل والخارج بنقوش ملونة لم يبق منها إلا أجزاء قليلة . ويعمل في وسط الشرفة هرم أقيم فوق قاعدة مستطيلة عالية ، وكان بناء متينا للغاية ، بناؤه الداخلي من الرديم وكسى بأحجار جيرية مصقولة ، ولا توجد فيه ممرات أو حجرات . ويقع بين القاعدة التي تحت الهرم وجدران المبنى مثنى يحمل سقفه المسطح أعمدة مئمة ، ثلاثة صفوف في كل من الجوانب الشمالية والجنوبية والشرقية ، وصفان في الجانب الغربي . ويقع خلف المبنى المربع في القسم الضيق من الشرفة فناء تقوم البواكى في جانبه ، وصالة أعمدة مكونة من ثمانين عمودا مئمة مرتبة في عشرة صفوف .

وهناك هيكل صغير بنى داخل صالة الأعمدة ، وكان فيه تمثال . أما للملك أو لأحد الآلهة ، وكان هذا التمثال في كوة مقنطرة في الصخر .

وأقام نب . حبت . رع منتوحتب صفا من ستة هياكل مكعبة الشكل من الحجر الجيري ، قبل أن يفكر في بناء معبد جنازى بهذا الحجم ، وكان خلف كل هيكل بئر عمودية تهبط عميقة في قلب الصخر ، وفي نهايتها حجرة دفن صغيرة تقع تحت الهيكل تقريبا . وخصصت هذه المقابر والهياكل لست سيدات من العائلة المالكة ، ربما كان بعضهن ملكات والأخريات أميرات ، متن جميعا ودفن في الوقت الذي كان الملك يعترزم إقامة معبده الجنازى في الجزء الأمامي من الشرفة فقط . ولكن امتداد المبنى نحو الغرب أوجب إما إزالة الهياكل — وهذه عملية لا يمكن تنفيذها دون نقل المقابر كلها إلى مكان آخر — أو أن تصبح هذه الهياكل جزءا من المبنى الجديد . وفضلوا الرأي الأخير ، ودخلت الهياكل ضمن الجدار الذي يفصل المبنى المربع والهرم عن الفناء ذى البواكى الجانبية ، وأصبح كل ثلاثة منها على

جانب من المدخل الذى يصل بين هذين الجزاين من المعبد . ولم يكن هذا الحل موفقا من جميع الوجوه ، لأن معظم النقوش التى كانت تزين الهيكل من الخارج غطيت بالجدار الجديد ، ولكن مثل هذا الأمر لم يسبب انزعاجا للتفكير المصرى ، فان وجود النقوش هو الأمر الأهم ، أما إذا كانت النقوش ظاهرة أو غير ظاهرة فهذا شيء غير ذى بال . وبقيت المقابر التى تحت الهيكل كما هى ولم تتأثر بتوسيع المعبد ، بل أصبحت فى الواقع أكثر حماية إذ أصبح أربع من الست أبار تحت بلاط الأرضية أو الجدران أو الأعمدة الخاصة أو الفناء ذى البواكى ، بينما غطيت البئر الباقيتان ببلاط وضع من جديد . وإلى هذه العناية والتحفظ فى اخفاء المقابر يرجع الفضل فى أنها — ما عدا اثنتين منها — قد نجت من النهب والسرقة أكثر من مرة . ومن أهم ما احتوت عليه تلك المقابر تابوتان من الحجر الجيرى لمسكتين أولاهما تسمى كاويت والثانية تسمى عشت ، ونرى سطحيهما الخارجيين مزينين بنقوش غائرة جميلة . ومن بين المناظر المرسومة عليهما بعض ما يحدث فى حياة الملكات اليومية ، مثل قيام إحدى الخادمتين بتعطيرها وتزيينها ، أو رسمها وهى تشرب اللبن من بقرات رسمت مصحوبة بعجولها ، أو وهى تزور إحدى الضياع المسكية حيث كان الفلاحون منهمكين فى ملء مخازن الغلال بالقمح ، أو الاستعداد لوثيمة . ورسمت مناظر ملونة ومشابهة لما سبق داخل تابوت عشت ، بينما كان أغريز الكتابة الملونة هو الزخرفة الوحيدة داخل تابوت كاويت .

واقسام نب . حبت . رع منتوحتب داخل حدود المعبد كلا من قبره الرمزي وقبره الحقيقى ، ويقع مدخل قبره الرمزي فى قاع حفرة كبيرة فى أرضية الفناء الأمامى . وقطعوا بعد هذا المدخل طريقة لمسافة تبلغ ١٥٥ ياردة فى الصخر حتى وصلوا الى نقطة تقسع مباشرة تحت الهرم وانتهت بحجرة متسعة ، وبالرغم من أن هذه الحجرة لم تفتح مطلقا قبل اكتشافها على يد هوارد كارتر فى عام ١٩٠٠ فقد كانت غارية من كل شيء اللهم الا من بقايا قرابين ، ومن تمثال جالس للملك يلتف فى قماش من الكتان الرقيق ، وتابوت خشبى فارغ ، وكان تحت هذه الحجرة ويتصل بها من بئر عمودية حجرة أخرى اشتملت فقط على بضع قدور وثلاثة مراكب خشبية رديئة الصنع . ويظن أن الغرض من وجود هذا القبر الرمزي لاستعماله فى حفلة دفن رمزي فى عيد الحب سد الذى ربما أحياء الملك فى السنة التاسعة والثلاثين من حكمه . ويؤيد هذا التفسير وجود التمثال الجالس بدلا من جثة الملك ويؤيده

أيضا زى التمثال الذى يمثل الملك وهو يلبس الرداء القديم الذى كان يرتديه الملوك عادة فى احتفالات الحب سد .

أما القبر الحقيقى فهو عند نهاية نفق أطول من نفق القبر الرمزي، يبدأ من الفناء ذى البواكى ويهبط فى خط مستقيم تحت بهو الأعمدة حتى يصل الى حجرة دفن على مسافة بعيدة تحت صخور الجبل . واحتوت هذه الحجرة التى كانت مكسية بالجرانيت على حوزة من الرمر والجرانيت وضع بداخلها — كما هو المفروض — تابوت خشبى ملون يضم رفات الملك . وعندما وصل المكتشفون الى هذه الحجرة لم يجدوا من الأشياء المكتشفة داخلها سوى تلك الحوزة ومركبين صغيرين وصولجانات مكسرة وأختام مخروطية وأقواس ، ولكنهم لم يجدوا المومياء أو التابوت الخشبى .

ولم بين مطلقا معبد جنازى يطابق تماما معبد نب . حبت . رع . منتوحتب الجنازى . وقد بدأ الملك الذى تلاه على العرش — واسمه سمنخ . كا . رع . منتوحتب — يعد العدة لاقامة مبنى مشابه فى منطقة لا تبعد كثيراً من جنوبى الدير البحرى ، ولكن نظراً لجلوسه على العرش بعد أن تقدم به العمر فقد مات ولم تكن عمليات البناء قد تقدمت أبعد من الخطوات الأولى ، وأهمل العمل بعد ذلك . ولكن بعد مرور خمسمائة عام جاءت ملكة مشهورة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة تسمى حتشبسوت وكلفت مهندسيها سنموت بأن يبنى لها معبدا جنازيا يشمل كل المعالم المعمارية الهامة فى معبد نب . حبت . رع . منتوحتب ، وتلبية لرغبتها صمم سنموت معبدا أكبر وأبهى ، وهو المعبد ذو الشرفات الذى يقع الى الشمال من بقايا مبنى منتوحتب والذى أصبح بحق من أشهر الآثار المصرية .

وبعد موت سمنخ . كا . رع منتوحتب مباشرة وقعت البلاد مرة ثانية فى الفوضى ، واعتلى العرش منتوحتب الرابع الذى كان يسمى أيضا نب . تاوى . رع ، والذى حكم جزءاً من السبع السنوات التى انقضت قبل أن يعود النظام . ولكن لأسباب ما زالت غامضة لم تعترف الوثائق المتأخرة به كحاكم شرعى على البلاد . أما الذى خلفه على العرش فهو وزيره وقائد جيشه أمنمحات الذى أصبح مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وهى أسرة مكونة من أربعة ملوك سمووا باسم أمنمحات وثلاثة ملوك سمووا باسم سنوسرت (Senusert) وملكة سميت باسم سبك — نفرو — (رع) .

وكانت الأسرة الثانية عشرة من أعظم الأسر في تاريخ مصر . ويتضح من اسم مؤسسها الذى يعنى حرفياً « آمون فى المقدمة » أنه ولد فى طيبة ، حيث كانت عبادة الإله آمون قد أصبحت منتشرة ، إلا أن أجداده ربما عاشوا فى الأشمونين ، الموطن السابق لهذا الإله . ولم يترسم أمنمحات ما فعله ملوك الأسرة الحادية عشرة بجعل طيبة عاصمة ملكه ، ولكنه استفاد من تجاربهم ومن معلوماته عن الصعوبات التى ربما لاقوها فى بسط سيطرتهم على مصر السفلى من ذلك المكان البعيد ، فنقل مقر الحكومة نحو الشمال وأقام العاصمة فى مكان يطلق عليه اثت . تاوى ، ومعناه « التى قبضت على الأرضين » . ولسنا نعرف تماماً موقع اثت تاوى ، ولكن لا بد أنها تقع فى حدود منطقة اللشت حيث يوجد هرمًا أمنمحات الأول وخلفه سنوسرت الأول .

وكان الموقع الجديد للعاصمة على مقربة من أهم آثار الدولة القديمة التى يمكن رؤيتها منها ، ولهذا فضل أمنمحات الأول أن يبنى قبره متفقاً مع التصميم الأساسى للمجموعة الهرمية المعروفة لتأثره بها ، ولكنها فى ناحية أخرى فقط ، شابهت تصميم معبد الدير البحرى . الخاص بنب حبت رع متوحش ، وذلك بإقامتها على أرض مرتفعة . جعل مبانيها على مستويين مختلفين . فقام الهرم على الشرفة العلوية محاطاً بسور من الحجر ، وفى الجهة الغربية من الهرم — وعلى نفس الشرفة ، ولكن خارج السور البحرى — نرى صفاً من المقابر الخاصة بأفراد الأسرة المالكة ، وعندما قامت بعثة متحف المتروبوليتان بالحفائر هناك عام ١٩٢٠ وجدت أن جميع محتوياتها الداخلية قد نهب كلها من قديم الزمن . وعلى الشرفة الصغيرة التى تحتها المعبد الجنائزى المبنى إلى جواره قامت من الشمال والجنوب مقابر فئة قليلة من المقربين من رجال البلاط ، وأحيطت الشرقتان والمقابر القريبة منهما بسور مستطيل من الطوب . وهناك خارج هذا السور جبانة تحوى على مصاطب ما يقرب من مائة نبيل وموظف .

واستعمل أمنمحات الأول عند بناء قلب هرمه وجدران معبده الجنائزى عدداً هائلاً من كتل الحجر الجبرى المأخوذة من مقابر الدولة القديمة فى دهشور وسقارة والجيزة .

وكان كثير من هذه الأحجار مزينا بالنقوش أو الكتابات ، ولما كان من المرجح أن المبانى التى أخذت منها هذه الأحجار كانت قد تخربت فعلاً فإن أخذها من أمكنتها ووضعها فى تلك المبانى صان كثيراً من النقوش التى لولا ذلك لفقدت إلى الأبد . ولكن نظراً

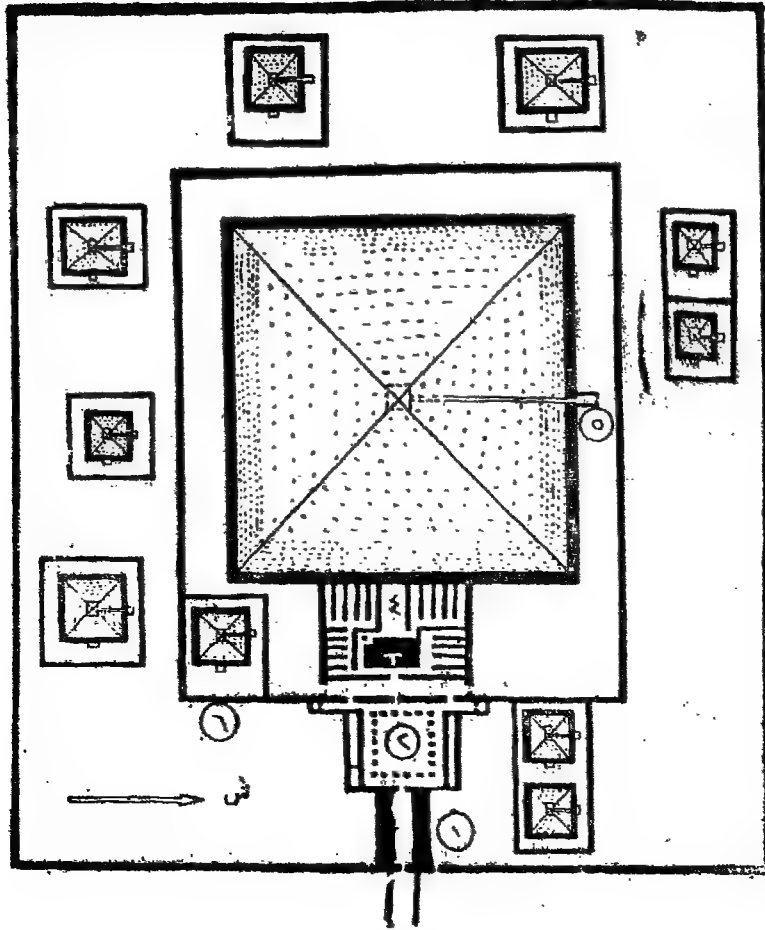
للتخريب الكامل الذى أصاب هذا الهرم ومجموعته عند إجراء الحفائر،
فقد تعذر أحيانا التفريق بين الأحجار التى من الدولة القديمة وتلك
التي صنعت في الأسرة الثانية عشرة لتزيين هذا المعبد . ولم يكن من
الميسور دائما معرفة الفرق بين نقوش كل من العهدين ، لأن أمنحات
الأول كان يقلد عن عمد بعض مميزات النقوش في الدولة القديمة ،
وكثيراً ما نقلوا على آثارهم مناظر مشابهة تماماً للمناظر الموجودة في
مقابر الدولة القديمة .

وكان مدخل هذا الهرم في مكانه المعتاد وفي مستوى الأرض في
وسط الواجهة الشمالية ، وأقيم أمامه هيكل للقرايين شبيه بالهيكل
الذى وجد في هرم تيتي وببى الثانى ، وبنى في حائطه الخلفية باب وهمى
من الجرانيت الوردى . ويقع خلف الباب الوهمى ممر مكسى بالجرانيت
يؤدى الى حجرة الدفن ، وكانت هناك سقاقات عديدة من الجرانيت
للسد هذا الممر بعد دفن الملك .

ولسنا نعرف عن الترتيب الداخلى لهذا الهرم غير وجود
الممر ، وذلك لأن ارتفاع مستوى النيل جعل حجرة الدفن مغمورة
بصفة مستمرة بالمياه ، وكانت عودة ارتفاع المياه عند محاولة إزالتها
من داخل الهرم سريعة جعلت كل الجهود التى بذلت للوصول إليه
تبوء بالفشل .

وبنى سنوسرت الأول هرمه على مسافة تبلغ نحو ميل ونصف الى
الجنوب من هرم سلفه ، وحقق ماسيرو عام ١٨٨٢ نسبة هذا الهرم
اليه اذ وجد بعض أجزاء من أدوات صنعت من المرمر تحمل اسم
سنوسرت الأول داخله . وبعد اثنتى عشرة سنة قام ج . ا . جوتييه
(J. E. Gautier) وجوستاف جيكييه (Gustave Jéquier)
بحفر جزء كبير من المنطقة ، ونظمت بعثة متحف المتروبوليتان الباقى منه
وكذلك الجبانة المتاخمة في فترات متقطعة بين عام ١٩٠٦ وعام ١٩٣٤
تحت إدارة ا . م . ايثجو (A. M. Iythgoe) و ا . س . ميس
(A.C. Mace) وأمبروس لانسنج (Ambrose Lansing) .

وتشبه مجموعة سنوسرت الأول الهرمية في كثير من تفاصيلها
مجموعة أمنحات الأول . ولكن بينما لا نكاد نعرف عن المجموعة
الهرمية لأمنحات إلا الخطوط العامة ، فإن الجزء الأكبر من التخطيط
الأصلى لمجموعة سنوسرت الأول أصبح معروفا جيدا ، وأصبح معروفا



شكل (٢٦) المجموعة الهرمية لسنوسرت الاول

ايضا انه يكاد يكون صورة من معابد الاسرة السابعة الجنائزية ،
وعلى الاخص مجموعة بيبي الثاني (شكل ٢٦) .

وينى فوق الطريق الجنائزى ومر عرضه ثمانية اقدام يربط مبنى
الوادي - الذى عثر على اثر بسيط منه - بيهو المدخل فى المعبد
الجنائزى . وقد نقطوا بالاسود والاحمر الانريز الاسفل من الجدران
الحجرية لتحاكى الجرائيت ، وزينوا الاجزاء التى فوقها بالمنظر المعتادة ،
وعلى مسافات منتظمة يبلغ طول كل منها حوالى ٣٣ قدما وضعت تماثيل
الملك بهيئة الاله اوزيريس على جانبي الممر ، ووضع كسل منها فى
دخلة الجدران ، واقيمت تماثيل مشابهة لها - عثر على ستة منها فى
حفرة قريبة من الهرم - وكانت تستند الى جدران بهو المدخل (شكل

٢٦ - ١) وفي هذا ما يثبت أن هذا الجزء كان معتبرا استمرارا لمسار الطريق الجنائزى .

وفي البهو ذى البواكى (شكل ٢٦ - ٢) تماثيل للملك ربما استند كل منها الى الأربعة والعشرين عمودا التى تحمل سقف المشى . وعشر جوتيه وجيكييه على عشرة منها ، وهى من أحسن أنواع حجر طره الجيرى ، وكانت موضوعة جنبا الى جنب فى حفرة أخفيت عن الأنظار فى زمن قديم — مثل التماثيل الأوزيرية — بمعرفة شخص كان يريد أن يحفظها من خطر كانت معرضة له . ومع أن هناك بعض فروق بسيطة جداً فى سيماء الوجه الا أنها كانت فى الحقيقة نسخا طبق الأصل من بعضها ، وكل تماثيل منها بالحجم الطبيعى ويمثل الملك جالسا على العرش ومرتديا اللباس الملكى المعتاد (لوحة ١٥) . ولا شك أن هناك تماثيل أخرى تمثله واقفا كانت موضوعة خلف الأبواب الخشبية للكوات الخمس فى المعبد الداخلى (شكل ٢٦ - ٣) . وتحتوى البقية الباقية من المعبد الداخلى على المخازن العادية فقط وبعض الغرف والمقديس (شكل ٢٦ - ٤) . ويبدو أنهم لم يبنوا سردابا ليضعوا عددا آخر من التماثيل داخل البناء بين الكوات والمقديس .

وكان نظام جدران السور الخارجية فى هذه المجموعة يماثل نظام الجدران فى مجموعة أمنمحات الهرمية ، وكان يحيط بالهرم سور داخلى من الحجر ، وكان هذا السور مزينا على مسافات منتظمة بدخلات وخرجات نقشت عليها أسماء الملك ، وقد أحاط هذا السور بالهرم والأجزاء الداخلية من المعبد الجنائزى والهرم الاضافى (شكل ٢٦ - ٦) . وبين هذا السور والسور الخارجى المبنى بالطوب اللبن يوجد فناء واسع كان يقوم فيه البهو ذو البواكى وصالة المدخل الخاصة بالمعبد الجنائزى وتسعة أهرام صغيرة لأفراد من الاسرة المالكة . وزود كل هرم من هذه الأهرام الصغيرة بمعبد جنائزى صغير وهيك للقرابين وسور يحيط به ، ونحتوا تحت أرضية هيكل القرابين بئرا عمودية ونزلوا بها الى عمق كبير ، وحفروا فى الوقت ذاته بئرا ثانية من نفس النوع الى شرق البئر الأولى ولكنها كانت أقل عمقا وتتصل بالأولى بهمر فى أسفلها .

وليس من السهل تفسير وجود البئر الثانية ، وربما قصد بها سهولة ادخال التابوت عندما كان العمل جاريا فى بناء القبر بعد بناء هيكل القرابين . ومن المحتمل فى مثل تلك الحالة أنهم كانوا يدلسون الجثة والتابوت الخشبى الى البئر الأولى ثم ينقلونها الى حجرة الدفن عن طريق الممر الذى سد بسقافات وضعت على مسافات منتظمة تنزلق الى الجانب .

وفى حجرة الدفن لأحد هذه الأهرام الصغيرة - وهو الهرم الذى فى الطرف الغربى من الصف الجنوبى - وجد حفارو متحف المتروبوليتان تابوتا جميلا من الحجر الرملى الكوارتزى ولكنه كان فارغا . وكان ذلك التابوت يملأ فراغ الحجرة تماما ، مما جعل اللصوص القدماء عندما كانوا يبحثون عن الكنز المخبوء فيها ينتقبون جوانبه وأرضيته ليصلوا الى جدران الحجرة ، الا ان تخريبهم هذا لم يأت بثمره . وكان هناك صندوق كانوبى صنع من نفس المادة التى صنع منها التابوت وبفس العناية ، وضعوه فى كوة فى الركن الجنوبى الشرقى من حجرة الدفن ، ولم يكتب على التابوت أو الصندوق الكانوبى ما يمكننا من الاستدلال على اسم ولقب صاحبهما الذى كان ينتمى دون شك الى العائلة الملكية .

ويشغل هرم الملك مساحة مربعة طول ضلعها ٣٥٢ قدما تقريبا ويعملو الى ارتفاع ٢٠٠ قدم تقريبا . ويتكون بناؤه العلوى من ثمانية جدران ضخمة من الحجر تبدأ من وسطه متجهة الى الخارج الى أن تصل الى أركانه الأربعة وإلى منتصف كل جانب .

وقسم كل من هذه الأجزاء الثمانية فى التوصيلية الى قسمين غير متساويين فى الحجم بجدران بنيت موازية لجوانبه وتنتهى عند منتصف المسافة بينها وبين المركز الأوسط . وملئت هذه الأجزاء الستة عشر بقطع من الأحجار الجيرية الخشنة وضعت فى رمل أبيض . ثم بنوا كسوة متينة من أحجار طره الجيرية جعلت البناء كله يتماسك مع بعضه .

ولم يكن مخدّل الهرم فى واجهة البناء العلوى ، بل جعلوه تحت بلاط أرضية هيكّل القرايين (شكل ٢٦ - ٥) . وينحدر منه الى أسفل ممر مربع طول ضلعه ٣ أقدام وبوصة واحدة متجها نحو حجرة الدفن . وكسوا مسافة طولها نحو ٣٦ قدما من هذا الممر بأحجار منحوتة من الحجر الجيرى ثم كسوا المسافة الباقية منه بأحجار الجرانيت . وبالرغم من أن الجثة والتابوت الداخلى قد نقلوا الى حجرة الدفن عن طريق هذا الممر ، إلا أنه من غير المعقول - نظراً لصغر أبعاده - أنهم نقلوا التابوت الخارجى عن طريقه أيضا ، وربما نقلوه عن طريق بئر منفصلة ما زالت محتفية عن الانتظار تحت خرائب البناء العلوى . ولا نعرف شيئا عن حجرة الدفن التى تملؤها وتغطيها المياه مثل حجرة الدفن فى هرم أمنمحات الأول .

وبنى ثلاثة من خلفاء سنوسرت الأول الأربعة مجموعات هرمية في دهشور على حافة الأرض المنزرعة — الى الشرق من الهرمين اللذين شيئا في الدولة القديمة واقدهما كلها — وهى مجموعة هرم امنمحات الثانى التى لم تحتو على اى تجديد فى التصميم أو فى طريقه البناء ، ولكنها نالت شهرة خاصة فى نهاية القرن الماضى لأنها كانت أحد الأمكنة التى عثر فيها على ما سموه كنز دهشور ، وهو مجموعة ممتازة من المجوهرات والأمتعة الشخصية اكتشفها ج. دى مورجان (J. de Morgan) ومحفوظة الآن فى متحف القاهرة . وكان هذا الجزء من الكنز لأميرتين سميتا خنومت (Khnumet) وايتا (Ita) كان قبراهما من بين مجموعة المقابر الملكية على مقربة من هرم الملك فى الجانب الغربى منه . وتشهد دقة الصناعة والذوق الفنى فى هذه المجموعة كلها بمهارة الصائغ والجوهرى المصرى فى أعلى درجاتها .

ونبذ سنوسرت الثانى — الذى خلف امنمحات الثانى على العرش — أهم التقاليد الثابتة فى عمارة الهرم ، وهو كون موقع المدخل فى الواجهة الشمالية . ولا بد ان المزايا المترتبة على توجيه ممر المدخل نحو مجموعة النجوم القطبية لم تعد لها الأهمية الكبرى فى نظره ، وأصبحت الأهمية الأولى هى المحافظة على سلامة الهرم بوضع مدخله فى مكان لا يتوقعه من سيحاول سرقة . ولكن هذه الحيلة زادت من متاعب الأثريين ، فان بترى الذى حفر هذا الهرم — الذى بنوه عند اللاهون على حافة الفيوم — عمل بضعة شهور عام ١٨٨٧ — ١٨٨٨ دون أن يتمكن من العثور على الطريق الموصل الى الداخل . وبعد أن انفق مبالغ طائلة وزمنا طويلا فى السنة التالية نجح فى العثور عند الناحية الجنوبية من الهرم على بئر تهبط عمودية ثم تؤدي الى ممر نحت على عمق ٤٠ قدما تحت سطح الأرض يوصل عن طريق غير مستقيم الى حجرة الدفن المبنية كلها من الجرانيت . ثم عثر بعد ذلك فى مكان بعيد فى الجنوب أيضا على بئر ثانية أكبر من الأولى تهبط أيضا الى الممر ، وعن طريق البئر — كما لاحظ بترى — أنزل الى هذا الممر التابوت الفخم المصنوع من الجرانيت الوردى والذى عثر عليه فى حجرة الدفن ، لأن البئر الأولى كانت أقل عرضا من التابوت بمقدار ٧ بوصات . ويقول بترى ان هذا التابوت من أجل القطع الفنية الدقيقة الصنع التى أمكن نحتها فى هذه المادة الصلبة الصعبة . وكان توازى أضلاعه ، بناء على حسابه ، أقرب ما يكون الى الكمال ولا يزيد الخطأ فيه عن $\frac{1}{100}$ بوصة فى كل ذراع .

وعلاوة على التابوت فقد احتوت الحجرة على مائدة للقرايين
صنعت من المرمر .

وفي بنائه العلوى اختلف هرم سنوسرت الثانى فى كثير من النواحي
عن أهرام أسلافه ، فقد احتوى بناؤه الداخلى على ربوة من الصخر
ترتفع عن سطح الأرض بأربعين قدما ، وفوق ذلك المستوى أقام
فوق الصخر شبكة من الجدران الساندة وملأ المساحات المتخلفة بين
تلك الجدران بالطوب اللبن .

ثم كسى هذا البناء الداخلى بالطريقة المعتادة بأحجار جيرية من
نوع جيد ، وبنوا المدمك الأسفل داخل الأساس الصخرى ليتحمل
ضغط البناء الخارجى . ويوجد حول كل جانب من جوانب القاعدة
خندق غير عميق مملوء بالرمال كان الغرض منه امتصاص مياه الأمطار
التي كانت تنزل على واجهة الهرم . وقدر بترى أن مثل هذا الخندق
يستطيع أن يستوعب أى كمية من ماء المطر فى أى مرة تسقط فيها
أمطار بشدة فى مصر . ويحيط بالهرم جداران ، أحدهما من الحجر
على حافة الخندق والآخر من الطوب اللبن أقيم بعيداً الى الوراء . وكان
خلف السور الخارجى صف واحد من الأشجار ، زرعت فى الحفر
التي نقرت فى الصخر وملئت بالطين .

وبين جدارى السورين المحيطين بالهرم وفى الناحية الجنوبية منه
توجد أربع مقابر أعدت لدفن أفراد من الأسرة الملكية . وعند
الكشف من المقبرة التى فى الطرف الشرقى فى عام ١٩١٣ اكتشف
بترى ومساعدته جأى برنتين مجموعة من الجواهر والأشياء الشخصية
خاصة بأميرة تسمى سات — حاتحور — يونت (Sat-Hathor-Iunut)
صاحبة تلك المقبرة . ولا تقل هذه المجموعة ، من أى وجه من الوجوه ،
عن تلك التى سبق العثور عليها فى دهشور . وكان من بين القطع المهمة
فى هذه المجموعة تاج ذهبى فخم ، وصدرتان ذهبيتان مرصعتان
بالمعائن الملونة والأحجار الكريمة على أحدهما اسم سنوسرت الثانى
وعلى الثانية اسم أمنحات الثالث ، وعقود من حبات من الذهب
وحجر الجعشت (الاماتيست) والعقيق الأحمر واللازورد والفلسبار ،
وعقد مكون من حبات من الذهب على هيئة رأس أسد ، وحبات
فى إطار من الذهب والأحجار الكريمة ، وأساور وخواتم . واشتملت
أدوات الزينة على أمواس شفراتها من النحاس ومقابضها من الذهب
وأوان مرمرية للعطور والدهون ، وأوان أخرى لنفس الغرض ولكنها
مصنوعة من حجر السبع (الحجر الزجاجى الأسود — إسيديان)

المسقول ومغلف جزء منها بالذهب ، ومراة من الفضة ذات مقبض من السبج والذهب . وقد وضعت هذه المجموعة فى الأصل فى ثلاث علب من الأبنوس طعنت احداها على الأقل بالذهب والعاج والعقيق الأحمر والفياتس الأزرق . وهذه المجموعة — ما عدا القليل منها الذى فى المتحف المصرى — موجودة الآن فى متحف المتروبوليتان للفنون فى نيويورك .

وسار سنوسرت الثالث وأمنمحات الثالث — اللذان شيدا هرميهما فى دهشور الى الناحيتين الشمالية والجنوبية من هرم أمنمحات الثانى — على نمط سنوسرت الثانى فى استخدام الطوب اللبن لاقامة البناء العلوى والاستزادة من عدد الحجرات والممرات فى الجزء الأسفل . واتبعا نفس الطريقة أيضا فى عدم وضع مدخل المبنى السفلى فى الواجهة الشمالية ولكن عند نقطة بعيدة عن الهرم نفسه لا يمكن العثور عليها الا بطريق الصدفة أو بعد البحث المضنى . وقد حدث لمورجان عندما قام بحفر هذين الهرمين فى عام ١٨٩٤ — ١٨٩٥ أنه قضى أشهراً عديدة من العمل غير المثمر قبل أن يجد سبيلا الى حجرة الدفن ، وأخيراً استطاع فى النهاية أن يعين موقع مدخل هرم سنوسرت الثالث فى الفناء الذى فى الجانب الغربى منه ، وعين مدخل هرم أمنمحات الثالث فى مكان مشابه مواجه للركن الجنوبى من واجهة الهرم الشرقية . ورغم هذه المخادعة فقد فشل معماريو الهرمين فى تضليل اللصوص القدماء ، ولم يجد دى مورجان فيهما الا القليل .

ولكن حظه كان أفضل عندما قام بحفر مقابر أفراد الأسرة المالكة فى الجانب الشمالى من كل هرم ، فوجد فى مقبرتى الأميرتين سات — حاتحور ومريت (داخل السور الخارجى لهرم سنوسرت الثالث) وفى مقبرة الأميرة نوب — حتب (داخل السور الخارجى لهرم أمنمحات الثالث) مجموعة من الحلى من نوع مجموعة الحلى النى وجدت فى مقابر أميرات أمنمحات الثانى وسنوسرت الثانى . ولم توضع هذه الحلى على موميات الأميرات بل أخفيت فى مكان خاص داخل المقبرة ، وكان ذلك سببا فى ظهور النظرية القائلة بأن مجموعة أخرى من الحلى — ربما كانت من نوع أردأ — كانت تجهز خصيصا لتوضع مع المومياء ، أما الحلى التى عثر عليها مخبأة فى أماكن خاصة فهى الحلى التى كانت تلبسها الأميرات أثناء حياتهن .

وحكم أمنمحات الثالث ستا وأربعين سنة على الأقل ، وهو من بين الملوك البارزين فى تاريخ مصر ، ولكنه لم ينل شهرته بسبب أعماله

الحربية وجرائه أو حسن إدارته ، ولو أنه من المحتمل — عندما تزداد معلوماتنا عن الأحوال السياسية والاجتماعية في عصره — أن يظهر أنه في هذه النواحي أيضا يستحق كل تقدير ، وإنما كانت شهرته بسبب أعماله الفنية وإنشاءاته المعمارية ومن بينها الهرمان اللذان اقترن اسمه بهما . ولا شك أن التماثيل التي بقيت لهذا الملك تعد من روائع فن النحت التي أخرجها قدماء المصريين (لوحة ١٣ ب) وهى توضح لنا أعلى درجة بلغتها النهضة الفنية التى بدأت فى عهد نب — حبت — رع المنتوحتب واستمرت فى التقدم دون عائق يذكر حتى نهاية الأسرة الثانية عشرة .

على أنه من قبل أن تكشف الحفائر عن أية واحدة من تلك الروائع الفنية ، كان مؤرخو اليونان والرومان قد خلدوا اسم أمنحات الثالث باعتباره منشئاً لبحيرة مورييس فى الفيوم ومشيداً لقصر اللابرنت الذى كان على مقربة من البحيرة . والفى قارنوه بقصر اللابرنت القديم الذى أقامه الملك مينوس فى كنوسوس فى جزيرة كريت . ووصف ديودور — الذى زار مصر فى أواسط القرن الأول قبل الميلاد — تلك البحيرة بالكلمات الآتية : « مورييس ... حفر بحيرة ذات فائدة عظيمة ولو أنها كلفت عناء كبيراً . ويقولون ان محيطها ٣٦٠٠ استاد (١) وعمقها فى أغلب المواقع خمسون قامة (القائمة ٦ أقدام) : فمن ذا الذى يتأمل فى عظمة هذا المشروع ولا يتساءل : كم من عشرات الآلاف من الرجال استخدموا فى هذا العمل ، وكم قضوا من السنين حتى أتموه ؟ لا يستطيع أحد أن ينتقص عمل ملك جاء بمثل هذه الفوائد والمزايا لكل سكان مصر .

« وحيث ان النيل لا يقف عند حدود ثابتة فى فيضانه ، وأن رخاء البلاد يتوقف على تنظيم مياه النهر ، فقد حفر الملك هذه البحيرة ليمد البلاد بفائض مائه ، ولكيلا يغمر النهر بشدة نياره الأراضى فتتكون المستنقعات والبرك ، ولكيلا تتسبب قلة مائه فى التأثير على المحصول عندما يكون فيضانه أقل من الحد المألوف ، لهذا حفر بين النهر والبحيرة قناة طولها ٨٠ استاداً وعرضها ٣٠٠ قدم ، وبواسطة هذه القناة كان يستطيع أن يجلب ماء النهر فى بعض الأوقات ، وفى أوقات أخرى يتفادى ذلك ، وبهذا يمد الفلاحين بالماء فى الأوقات المناسبة بفتح مدخل القناة ثم اغلاقه ثانية بطريقة فنية تكلفه أموالاً كثيرة لا تقل

(١) الاستاد = ١٨٥٣ متر . (المغرب)

عن ٥٠ وزنة من ذهب (الوزنة الواحدة تساوى عشرة آلاف جنيه تقريباً) وهى المبلغ اللازم ليصرفه أى شخص يريد فتح أو قفل هذه الفتحة . واستمرت هذه البحيرة تخدم أغراض المصريين الى أيامنا هذه ، واتخذت اسمها من اسم بانيتها ، وما زالت تسمى بخيرة مورييس « (١) » .

ولكن بالرغم من أن أمنمحات الثالث قد قام على الأرجح بتنفيذ بعض مشروعات تتعلق بالرى أو استصلاح بعض الاراضى القريبة من هذه البحيرة ، وبالرغم من أن ديودور وبعض الكتاب القدماء نسبوا اليه أمر انشائها فعلاً ، إلا أنه يكاد يكون من المؤكد أنها كانت موجودة قبل عصره ، وأن اسمها دون شك غير مشتق من اسمه الأول الذى كان ينطق « نمارا » على الأرجح ، والذى عرفه اليونانيون فى اللغة الدارجة باسم مارس ، بل هو مشتق من بلدة على البحيرة اسمها « مى - ور » (أغلب الظن أن موقعها مدينة غراب الحالية) أو من اسم القناة التى كانت تربط النيل بالبحيرة والتى كانت تسمى أيضاً مى - ور .

ولحسن الحظ ثبتت صحة علاقة أمنمحات الثالث بقصر اللابرنث على أساس تاريخى مكين ، إذ استطاع بترى أن يثبت ذلك فى عوام ١٨٨٨ - ١٨٨٩ عندما قام بالكشف عن الهرم الثانى لهذا الملك فى هواره ، وعرف أن معبده الجنازى صمم فى الواقع على تخطيط يشبه التيه (اللابيرنت) . فقد كان ذلك المعبد بناء ضخماً يغطى مساحة يبلغ طولها نحو ١٠٠٠ قدم وعرضها ٨٠٠ قدم ويختلف من حيث التصميم عن كل معبد جنازى آخر معروف ، إذ لا يحتوى على مجموعات من الأبهاء والممرات المؤدية الى المقدس بل يشتمل على عدد كبير من الأبهاء المنفصلة المرتبة فى صفوف ، ولم يتمكن بترى من معرفة شئ من التفاصيل المعمارية اللهم الا القليل نظراً لتخربه الكامل . ونستطيع أن ندرك شيئاً من مظهره الذى كان عليه من وصف استرابو الذى كتبه فى أوائل القرن الأول الميلادى ، قال :

« ولدينا هنا أيضاً (الى جوار بحيرة مورييس) اللابرنث ، وهو عمل يتساوى مع الأهرام ، ويلاصقه قهر الملك الذى بنى اللابرنث .

Diodorus Siculus, The Historical Library, Bk. I, LI and (١)
L. II (W. G. Waddell's translation).

فاذا ما تقدمنا بعد المدخل الأول للقناة بنحو ٣٠ أو ٤٠ استادا ، لوجدنا سهلا مستويا فيه قرية وقصر كبير مكون من عدد من القصور بقدر عدد ما كان في مصر من الأقاليم سابقا . ويوجد عدد مساو من الأبهاء الكبيرة المحاطة بالأعمدة ، وهى ملاصقة لبعضها البعض وعلى خط واحد مكونه مبنى واحداً يشبه جدارا طويلا أمامه هذه الأبهاء الكبيرة . ومداخل هذه الأبهاء في مواجهة الجدار ، وأمام هذه المداخل طرقات طويلة عديدة مسقوفة تربطها ببعضها البعض ممرات متعرجة ، ولذلك لا يستطيع أى أجنبى أن يجد طريقه الى هذه الأبهاء الكبيرة أو يخرج منها دون دليل يرشده . وأعجب ما فيها أن سقف كل من هذه المباني مكون من حجر واحد ، وسقفت أيضا كل الطرقات الموصلة اليها بالطريقة نفسها بكتل من الحجر ذات حجم كبير جداً دون أن يستعملوا معها الخشب أو أية مادة أخرى . فاذا ما صعدنا الى السقف الذى لم يكن على ارتفاع كبير لأن البناء مكون من طابق واحد — لرأينا السقف كأنها حقل من الأحجار ، وعندما نهبط ثانية وننظر الى الأبهاء الكبيرة نجدها على خط واحد يحمل سقوفها سبعة وعشرون عمودا صنع كل منها من حجر واحد . وقد بنيت الجدران أيضا من الأحجار التى لا تقل حجما عن هذه .

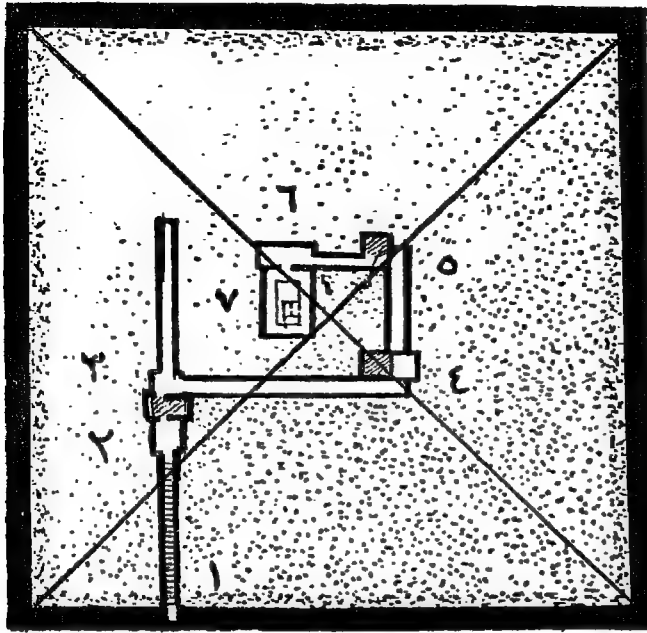
وفى نهاية هذا المبنى الذى يزيد طوله عن ستاديوم (مقياس اغريقى يساوى ٢٠٢ ياردة) نجد القبر وهو هرم مربع الجوانب بلغ طول كل ضلع منه نحو أربعة بلترونا (البلترون ١٠٠ قدم أو ٣٠.٨٨ مترا) وارتفاعه مساو لطول ضلعه ، واسم الشخص الذى دفن فيه إيمانديس Imandis . ويقال أنهم بنوا هذا العدد من الأبهاء لأن التقاليد كانت تحتم على أهالى كل الأقاليم أن يجتمعوا معا حسب مراتبهم بكهانتهم وكاهناتهم لأجل تقديم القرابين للآلهة ولأجل إقامة العدل فى الأمور ذات الأهمية العظيمة ، وكان أهل كل إقليم يذهبون للبهو المخصص لهم « (١) .

ويقع الهرم الذى يشير اليه استرابو فى الجانب الشمالى من اللابرنت . وكان بناؤه العلوى — حسب العادة التى كانت متبعة فى عصره — من الطوب اللبن ومكسيا بالحجر الجيرى . واتبعوا فى بنائه السفلى طرق التعمية والتضليل التى كانت فى أهرام أسلافه ، مما جعل بترى يعجز عن الوصول الى ممراته الا بعد أسابيع من العمل مدى .

Strabo, Geographica Bk. XVII, I, 37 (Bohn's Classical (١)

موسمين . ويقع المدخل على مسافة ٨٠ قدما تقريبا غرب منتصف
الواجهة الجنوبية ، وتنزل منه درجات السلم (شكل ٢٧ - ١) الى
حجرة صغيرة (شكل ٢٧ - ٢) يقع بعدها ممر قصير يؤدي الى مكان
مغلق النهاية .

وفي سقف هذا الممر خبايا كثة كبيرة من الحجر تزن عشرين طنا
وتنزلق انزلاقا جانبيا ، فكانت بذلك نوعا من الباب المتحرك يوصل
الى حجرة ثانية (شكل ٢٧ - ٣) والى الممرات التي خلفها ، ووضعوا
تصميم احد هذه الممرات ليخدع أى سارق ينجح في ولوج الباب
المتحرك ، فقد كان - رغم سده بأحكام - لا يؤدي الى أى
مكان آخر . أما الممر الآخر فيطلق بباب خشبي وينعطف مرتين في
زاوية قائمة وله بابان متحركان في السقف (شكل ٢٧ - ٤ ، ٥)
ويؤدي الى الردهة الكبيرة (شكل ٢٧ - ٦) ، ولكنهم لم يفلتوا
هذين البابين بعد الدفن . وحفرت في كل طرف من طرفي الردهة بئر
وهمية لكي تخدع السارق فيتهم أن حجرة الدفن تقع بعدها ، فيضيع



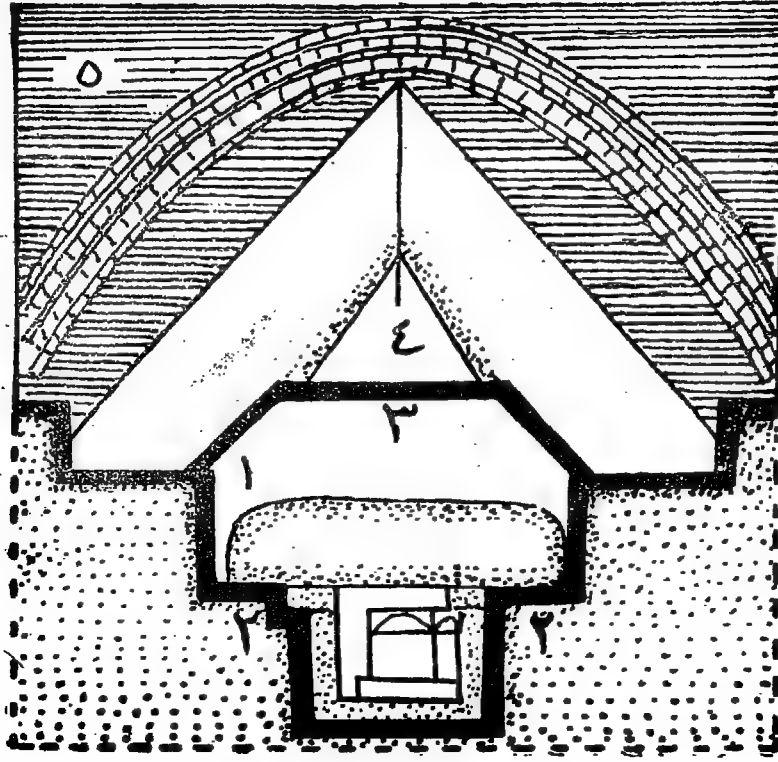
(شكل ٢٧ - ممر امنمحات الثالث بهواره)

وقته وجهده في ازالة ما يملؤها . وهناك خدعة اخرى هدفوا بها الى الغرض نفسه ، وهى سد كل النصف الشمالى من الردهة بالأحجار بالرغم من انها لا تخفى وراءها شيئا سوى الجدار .

ولكن نفهم بوضوح الطريق الحقيقى الموصل الى حجرة الدفن (شكل ٢٧ — ٧) لا بد أن نصف أولا الطريقة التى بنيت بها هذه الحجرة . فقبل أن يقام مبنى الهرم العلوى حفرت فى الصخر بئر كبيرة مستطيلة عند نقطة تبعد غربا عن مركز المساحة التى تغطيها قاعدة الهرم ، وانزلوا الى قاع هذه البئر — بعد أن كسيت بالأحجار — حجرة الدفن المكونة من كتلة واحدة من حجر الكوارتزيت الأصفر وعلى هيئة صندوق بغير غطاء . وقد قام بترى بقياس هذه الكتلة وأثبت أن طولها كان ٢٢ قدما ، وعرضها ٨ أقدام ، وارتفاعها ٦ أقدام ، ويزيد وزنها على ١١٠ أطنان . ورغم صلابة مانيتها لمقد نحنت وضاعت بطريقة رائعة ، وكانت أركانها الداخلية حادة لدرجة أن بترى ظننها لأول وهلة مجموعة من عدة أحجار ، ويتكون سقف الحجرة من ثلاث كتل من حجر الكوارتزيت الأصفر وضعت جنباً الى جنب ويبلغ سمك كل منها ٤ أقدام تقريبا (شكل ٢٨ — ١) .

ولا ترتكز هذه الأحجار مباشرة على جدران كتلة الكوارتزيت ، بل وضعت فوق مدمك من الكتل الحجرية بنيت فوق الجدران لى يرتفع سقف الحجرة (شكل ٢٨ — ٢) . وكان فوق حجرة الدفن حجرتان ، السفلى منهما ذات سقف مسطح (شكل ٢٨ — ٣) أما العليا فذات سقف مدبب مكون من كتل من الحجر الجيري تزن كل منها ٥٠ طنا تقريبا (شكل ٢٨ — ٤) . وأخيراً بنوا قبوا من الطوب سمكه ثلاثة أقدام فوق السقف المدبب لى يحمل ثلث بناء الهرم (شكل ٢٨ — ٥) والى أن جاء الوقت الذى تم فيه اغلاق القبر بصفة نهائية ، وضعوا كتلة السقف بالقرب من الردهة فوق حملات تاركة فراغا بينها وبين مدمك الأحجار الذى كان مفروضا أن توضع فوقه فى النهاية .

وقطعوا فى أرضية الردهة خندقا مستعرضا يوصل مباشرة الى ذلك الفراغ تحت الكتلة المحملة ، وبهذا أمكنهم أن يدخلوا مومياء الملك عن طريق هذا الخندق الى الفراغ ثم الى حجرة الدفن ، حيث وضع فيها التابوت الكبير من الكوارتزيت فى مكانه قبل أنزال أحجار



(شكل ٢٨ - حجرة الدفن لأمنمحات الثالث بهواره)

السقف الى البئر . ووضعوا داخل الحجرة تابوتا ثانيا اصغر من الأول ومن الماده نفسها للأميرة بتاح نفرو ، ووضعوا مع التابوتين الصناديق الكانوبية المصنوعة أيضا من الكوارتزيت ، وبعد أن تمت مراسم الدفن أنزلوا كتلة سقف حجرة الدفن المحملة والبالغ وزنها نحو خمسة وأربعين طنا ، وملأوا الخندق في الردهة وغطوه ببساط حتى لا يبقى أى أثر ينم عن وجوده . ولكن رغم كل هذه الاحتياطات فقد تعرض هذا الهرم لنفس المصير الذى تعرضت له أهرام أسلافه ، ووجد بترى عندما نجح أخيرا فى الوصول الى حجرة الدفن أن كل الأشياء المنقولة قد نهبت وحرق اللصوص الجثث والتوابيت الخشبية الداخلية .

ولسنا نعرف شيئا عن الظروف التى جعلت أمنمحات الثالث يبنى هرمين ، ونظراً لأنه لا يمكن أن يكون قبره الا فى هرم واحد

نلا بد أنه ترك الثاينى غارغا ، والأرجح أنه الهرم الذى فى دهشور .
وأغلب الظن أن سنوسرت الثالث قد بنى — علاوة على هرمه
فى دهشور — قبرا رمزيا على شكل مصطبة فى أيبديس ، وبهذا أصبح
لروحه مقبرة ثانية تستطيع أن تسكنها فى أى وقت تشاء على مقربة من
قبر أوزيريس .

ولم يكن هناك من البواعث الدينية ما يرجح اختيار دهشور أو
هواره ، ولذلك يمكننا أن نفرض أن أمنمحات قرر أن يستبدل
قبره الأول فى دهشور بهرم ومعبد جنازى أكثر فخامة فى هواره .

وبهوت أمنمحات الثالث انتهت فعلا الدولة الوسطى ، وظهر
أمنمحات رابع ومملكة تسمى سبك نفرو فى نهاية الأسرة الثانية عشرة ،
كما تقول السجلات التاريخية المتأخرة . ولكننا إذا درسنا نقوش الوثائق
المعاصرة نكاد نحكم بأن أمنمحات الرابع لم يحكم بمفرده أبدا ، بل
اشترك فى الحكم مع أمنمحات الثالث ، وهذا ما كان يقطعه الوريث
المنتظر عندما تتقدم السن بالملك الحاكم . ولم يقول أمنمحات الرابع
العرش بمفرده لموته المبكر . وعينت بعد ذلك الأميرة سبك نفرو
شريكة فى الحكم ، وربما استمرت شاغلة للعرش بمفردها مدة قصيرة
بعد موت أمنمحات الثالث . ولم يترك أمنمحات الرابع ولا سبك
نفرو هرما يمكن تعيين مكانه بصفة قاطعة . ولكن ١. ماكاي
(E. Mackay) عندما كان يعمل تحت إدارة بترى فى عام ١٩١٠ —
١٩١١ وجد فى مزغونة (Mazghuna) — التى تبعد مسافة ثلاثة
أميال تقريبا عن دهشور — بقايا هرمين متخربين مطابقتين فى تصميمهما
لهرم أمنمحات الثالث بهواره ، مما يخل على الاعتقاد بأن الأهرام
الثلاثة من عصر واحد تقريبا . وفى هرمى مزغونة بعض التحسينات
البسيطة التى تثبت أن بانيهما قد استفاد من التجارب فى تشييد هرم
هواره ، ولهذا فمن المحتمل جدا أن ينسب هرما مزغونة الى أمنمحات
الرابع والملكة سبك نفرو . ولكن ، أى الهرمين بنى للملك وأيهما
بنى للملكة ؟ هذا ما لا يمكن معرفته حتى الآن ، لأن القرائن غير
كافية .

وفى خلال القرنين اللذين مرأ منذ الأسرة الثالثة عشرة الى السابعة
عشرة اجتازت مصر الفترة المظلمة الثانية من تاريخها . كان على رأس
البلاد ملوك ضعاف لم يطل حكم أحد منهم ، وكانت فى حالة من الفوضى
أشد من التى جاءت فى أعقاب الدولة القديمة . وشاء سوء الحظ أن
تسود هذه الفوضى فى مصر فى الوقت الذى تأثرت فيه جميع بلاد

غرب آسيا بحركة هجرة شعوب واسعة وصل أثرها حتى مصر . ففى أواخر أيام الأسرة الثالثة عشرة أو ابتداء الأسرة الرابعة عشرة غزت البلاد جيوش آسيوية كان معظمها من الساميين الذين أحضروا معهم سلاحا جديدا لم يكن للمصريين عهد به من قبل . وقد عرف هؤلاء الغزاة باسم الهكسوس ، وهو اسم فسره مانيتون بمعنى « ملوك الرعاة » ولكن ربما يعنى « حكام البلاد الأجنبية » . وكان هذا السلاح الجديد هو العربة التى يجرها الجواد ، ولم يحصل جيشهم بفضلها على التفوق فى السلاح فحسب بل وعلى سرعة التحرك أيضا . وبعد أن قضى الهكسوس على كل مقاومة ، أقاموا عاصمتهم فى أواريس ، ولم يحدد إلى الآن بصفة نهائية موقع تلك المدينة ، إلا أنه يبدو أنها كانت فى الجزء الشمالى الشرقى من الدلتا ، وربما كانت فى موقع المدينة التى عرفت غيما بعد باسم تانيس — مدينة زون الواردة فى التوراة .

وحكوا من هناك كل الدلتا ومصر الوسطى حتى مدينة القوصية على الأقل ، وهى على بعد ثلاثين ميلا شمال أسيوط . وإلى الجنوب من ذلك استقرت أسرة مصرية بحتة تحكم فى طيبة ، ولكنها كانت تعترف بسيادة الهكسوس وتدفع لهم الجزية . وأخيرا ثار أحد هؤلاء الحكام — ويسمى كاموسى ، آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة على الأرجح — وطرد الهكسوس من مصر الوسطى ، وربما استعاد منف . وتم طرد هؤلاء المعتدين الأجانب فى بداية القرن السادس عشر ق.م عندما استولى أحمرس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة على أواريس وطارد الغزاة إلى جنوبى فلسطين .

والآثار الجنائزية الملكية التى يرجع تاريخها إلى الفترة المعروفة باسم عصر الفترة الثانية (من الأسرة الثالثة عشرة إلى الأسرة السابعة عشرة) قليلة جدا ، وذلك يرجع — إلى حد ما — إلى عدم استقرار الأمور السياسية فى ذلك العصر . ومع ذلك فهناك بقايا هرمين ملكيين من الأسرة الثالثة عشرة اكتشفها جيكييه على مقربة من مصطبة شبسكاف (مصطبة فرعون) فى سقارة . وبنى أحد هذين الهرمين ملك يسمى خنجر (Khenjer) ، ولكن صاحب الهرم الثانى — الذى يبدو أنه لم يتم — غير معروف . ويشبه كلا الهرمين فى تخطيطهما بوجه عام هرم ابتمحات الثالث بهوارة . وفى كل منهما نرى حجرة الدفن مكونة من كتلة واحدة من حجر الكوارتزيت ومسقفة بأحجار من الحجر نفسه ، وقدر جيكييه وزن حجرة الدفن فى الهرم الذى لم يتم بأكثر من ١٥٠ طنا . ونرى فى هذه الكتلة الحجرية شيئا جديدا ، وذلك أن الأجزاء السفلى من التابوت والصندوق الكانوبى نحتت هى

وأرضية الحجرة من قطعة واحدة ، أما الغطاءان فكانا قلعين منفصلين .

ولم تكتشف الى الآن أية مقبرة ملك من ملوك الهكسوس ، وبالتالي أصبح من المستحيل أن نعرف ما اذا كانوا اتبعوا طريقة المصريين في بناء أهرام أو أنهم دفنوا في مقابر من نوع آخر . ونرى اشارات الى أهرام ملوك الأسرة السابعة عشرة في يردية أبوت . الموجودة الآن في المتحف البريطاني ، وتسجل هذه البردية نتائج عمل لجنة عينها وزير من الأسرة العشرين لتحقيق اتهامات معينة عن أهمل في تأدية الواجب مما سبب سرقة القبور . وقد قدم هذه الاتهامات عمدة طيبة ضد عمدة الجبانة في البر الغربي حيث أقيمت تلك الأهرام . ومع أن الأدلة المادية قليلة ، إلا أنه يظهر أن المبنى الطويلة كانت تغطي مساحة مربعة طول ضلعها ٢٥ قدما تقريبا . وتبيل أوجه الهرم الأربعة الى الداخل بزاوية قدرها ٦٥ ° ، مما جعل البناء يبدو مرتفعا ونحيلا . وكانت القمة حجرا جيريا واحدا يحمل في بعض الحالات اسم الملك والقباه ، أما حجرة الدفن فقد نحتت في الصخر تحت هيكل الهرم .

وربما كان أحسن الأول آخر من بنى هرما من الملوك المصريين . ويوجد قبره الحقيقي في طيبة ، العاصمة ، ولكن قبره الرمزي الذي بناه في أبيدوس كان على شكل هرم . وأقام أيضا في أبيدوس هرما رهزيا لجده تيتي شري (Tetisheri) التي نعرف أن قبرها الحقيقي — الذي لم يعثر عليه للآن — كان في طيبة ، بناء على ما جاء في أحد النصوص التي عثر عليها في أبيدوس .

إلا أن هذين الهرمين كانا استثناء للقاعدة العامة ، لأن باقى ملوك الأسرة الثامنة عشرة وخلفاءهم لأجيال عديدة لم يبنوا مقابر حقيقية . أو مقابر رمزية على شكل هرمى . فلا بد أن التجربة قد علمتهم في ذلك . العصر أن الهرم ينبىء بارتفاعه غير اللازم عن مكان القبر ، وأن اللصوص الى حجرة الدفن ولم ينهبوا محتوياتها فحسب بل سرقوا الجثة أيضا . أرادوا أن يجربوا طريقة مختلفة لتفادى هذه الشرور . فبدلا من أن يقيموا معابدهم الجنائزية مع قبورهم في مكان واحد ، عبد غراعة الدولة الحديثة الى بناء معابدهم في الوادى على مقربة من النيل ، ونقروا كهونا عميقة في سفح الجبل الغربى لمقابرهم . وبهذه الطريقة يصبح المكان الملعلى غير معروف الا للذين صنعوا هذه الكهوف ولعدد قليل من الموظفين وأفراد من الأسرة المالكة فقط .

ويعصف المهندس الذى شيد أول قبر من هذا النوع فى « وادى الملوك » المشهور — وهو واد يجرى موازيا للنيل خلف الدير البحرى — السرية التى كان يسير عليها فى عمله بالكلمات الآتية : « أشرفت على قطع قبر جلالته (تحوتمس الأول) فى الجبل وحدى . . لم يرنى أحد ، ولم يسمع بى أحد » . ولم يدر بخلد تحوتمس الأول أو مهندسه أن الوادى الموحش الذى اختاره قدر له أن يصبح المكان المختار لدفن الفراعنة لعدة أجيال قادمة ، ثم أصبح سر مواقع مقابر الملوك أمراً معروفا للجميع ولم تكن هناك مندوحة من أن يعود نهب المقابر .

وقد نجا توت عنخ آمون وحده من بين ستين شخصاً ملكياً أو أكثر دفنوا فى هذا الوادى من العبث به حتى عصرنا الحديث . ولم ينح قبره الا بسبب المصادفة السعيدة التى جعلت رمسيس السادس يخفر مقبرته فى سفح الجبل فوق مقبرة توت عنخ آمون مباشرة ، فكانت نتيجة ذلك أن أصبح مدخل المقبرة الأخيرة مدفوناً تحت كمية كبيرة من الرديم المستخرج من المقبرة التى فوقها ، فنسيها الناس منذ زمن طويل ، ونقلوا فى النهاية ثلاثاً وخمسين مومياء من المقابر المختلفة فى هذا الوادى — من بينها مومياء أشهر الفراعنة مثل تحوتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى — الى مقبرة لم يتم العمل فيها فى الدير البحرى والى مقبرة أمنحتب الثانى حيث ظلت دون أن يصيها عبث جيد حتى عثر عليها فى نهاية القرن الماضى .

وبالرغم من أن المقابر الخاصة ذات الشكل الهرمى ، أو المقابر التى يدخل فى تصميمها المعمارى شكل هرمى ، لا يمكن أن نقارنها ، بأية صورة من الصور ، بالأهرام الملكية ، فان قدماء المصريين ظلوا يستخدمون هذا النوع من المقابر ، منذ الدولة الوسطى الى عصر الرومان . وأقدم الأمثلة المعروفة حتى الآن عثر عليه ماريت فى أبيدوس ، وهو هرم صغير من الطوب اللبن فوق قاعدة مستطيلة غطى جزءاه بطبقة من الملاط المكون من الطين ودهنت بالجير الأبيض . وتقع حجرة الدفن داخل الهرم ، وهى مخروطية الشكل ذات سقف متداخل ، وأحياناً تبنى حجرة ثانية فى القاعدة لتقوم مقام السرداب . ولم يكن لعظم هذه المقابر هياكل خارجية ، ولكن بعضها كان مزوداً بهيكل من طابقين يبرز من الجانب ، ويحتوى كل طابق على حجرة واحدة فقط . وفى الحجرة العلوية كوة للوحة توضع فيها ، أما السفلية فكانت الطريق الوحيد للوصول الى السرداب .

وفى الدولة الحديثة انتشر طراز من المقابر الخاصة أكثر فخامة ، ويشبه فى مظهره الخارجى مساكن الطبقة العليا فى ذلك الوقت . وقد

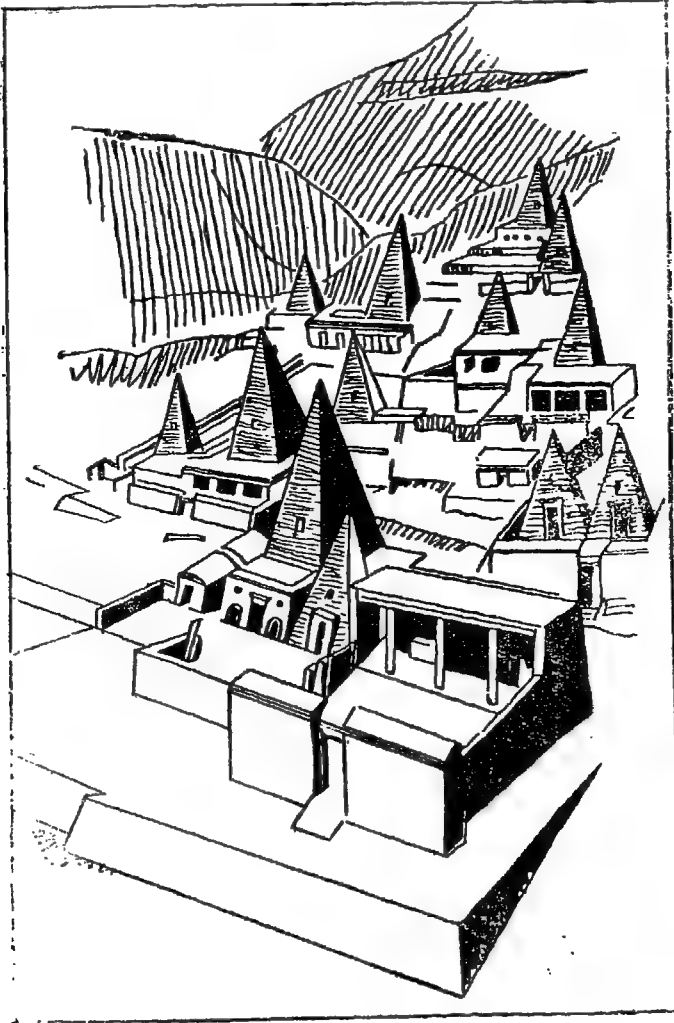
عثر حفارو معهد الآثار الفرنسي على بعض من أحسن الأمثلة لهذا النوع من المقابر عند دير المدينة على بعد قليل من جنوب وادي الملوك (شكل ٢٩) وتحتوى كل مقبرة على جزأين : جزء علوى وآخر سفلى . ففوق سطح الأرض كانوا يبنون غناء محاطا من ثلاث نواح فقط بسور من الطوب اللبن أو الحجر ، أما فى الناحية الرابعة من هذا الغناء فيبنون هيكلأ امامه أعمدة ، وفى داخل الهيكل حجرة واحدة فيها مناظر ملونة ، وتوضع فيها لوحة مثبتة فى الجدار الخلفى . وفوق سطح هذا الهيكل يبنون هرما أجوف من الطوب اللبن يضعون فوق قمته حجرا هرمى الشكل نقشت عليه صور صاحب المقبرة وهو يتعبد لاله الشمس مع كتابات قصيرة على جوانبه الأربعة ، وفى كوة فى جوانب الهرم المواجه للغناء كانوا يضعون تمثالا صغيرا لصاحب المقبرة تمثله أحيانا راکما وفى يده لوحة صغيرة ، أما حجرة الدفن التى كانت على عمق غير قليل فى الصخر تحت الهيكل فكانت حجرة ذات سقف مقبب وتتصل بالغناء الذى فوقها بواسطة بئر منحدر .

وبعد أن انقضى أكثر من ثمانمائة سنة على بناء آخر هرم ملكى فى مصر ، ظهرت فجأة مقابر هرمية فى البودان . وكان بناتها عددا من الملوك تقع عاصمتهم — التى عرفت فى العصور القديمة باسم نبتا — على ضفة النيل فى مديرية دنقلة على مسافة قصيرة بعد الشلال الرابع (شكل ٣٠) ، وليس لدينا إلا معلومات ضئيلة جداً عن أصل هؤلاء الملوك ، ولكن ريزنر عثر على نعش أثناء قيامه بالكشف عن مقابرهم جعله يظن أنهم كانوا من أصل لیبى جنوبى . ولم تهبط الطبيعة حول نبتا مرعى خصبا يجذب إليها السكان ، بل تقع فى جزء من أقحل أجزاء وادى النيل . وتعود أهميتها الى موقعها الجغرافى على طريق التجارة الرئيسى بين أواسط افريقيا ومصر ، الذى مكن حكامها من السيطرة على مرور الرقيق وكميات المعاج والأبنوس والمر والصمغ والبخور والمنتجات الأخرى التى كان يحتاجها المصريون ، وكانت هذه المنطقة تشمل أيضاً المناجم الغنية بالذهب فى الصحراء الشرقية .

ولكى يضمن ملوك مصر عدم اضطراب ورود هذه الأصناف ، عمد ملوك الدولة الوسطى — ومرة ثانية بين الأسرات الثامنة عشرة والعشرين — الى ضم شمال السودان الى إمبراطوريتهم . وفى المسدة الأخيرة على الأخص بنيت المعابد لتكريم آلهة مصر فى أماكن كثيرة بين الشلال الأول والشلال الرابع ، وكان أضخم هذه المعابد فى نبتا حيث يقوم جبل مسطح القمة يسمى الآن جبل بركل اشتهر بأنه كان مقر إله آمون . وفى نهاية الأسرة العشرين (أى حوالى ١٠٩٠ ق . م)

كانت مصر من الضعف بحيث اضطرت لأن تترك شمال السودان
وشأنه . وبعد مرور أكثر من قرن من الزمان قبض أجداد الملوك الذين
بنوا تلك الأهرام فيها بعد على زمام البلاد دون أن يجعلوا شعبيهم
ينبذ الديانة المصرية أو يهمل أسس الصنعة التي تعلمها من
المصريين .

ولا نعرف شيئاً عن العلاقة بين حكام نيتا الأولين وبين الملوك
الليبيين الذين أسسوا الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين في
مصر . وتكونت الأسرة الرابعة والعشرون في مصر من ملك واحد



شكل (٢٩) المقابر الخاصة في دير المدينة

لمقط اسمه بورخوريس الذى لم يزد حكمه عن ست سنوات ، وربما كانت سلطته على البلاد سلطة ضئيلة أو اسمية ، لأن مصر تقسمت سياسيا الى عدد من المناطق المستقلة يحكم كلا منها حاكم مطلق صغير . وفى هذا الوقت تقدم كاشتا بجيشه الاثيوبي نحو الشمال فاجتاز الشلال الاول وغزا مصر حتى مدينة طيبة ، واتم خلفه بيعنخى ذلك الفتح وأعلن فى سنة ٧٢١ ق.م أول ملك للأسرة الخامسة والعشرين . وتتسكون هذه الأسرة من بيعنخى وأربعة ملوك من بعده هم : شباكا ، وشباتاكا ، وطرهافا ، وتانوت أمون ، وقد ذكر أحدهم وهو طرهافا فى التوراة لمساعدته حزقيا (٣) فى مقاومته للأشوريين . ومع أن هؤلاء الملوك كانوا من دم أجنبى الا أنهم لم يكونوا أجناس حقيقيين مثل غزاة الهكسوس . وكانوا فى الواقع متحضرين ، واعتبر بيعنخى على الأقل غزوه لمصر بمثابة جهاد فى سبيل الاله أمون لاصلاح بعض ما فقدته هذا الاله خلال سنوات الاضطراب السياسى .

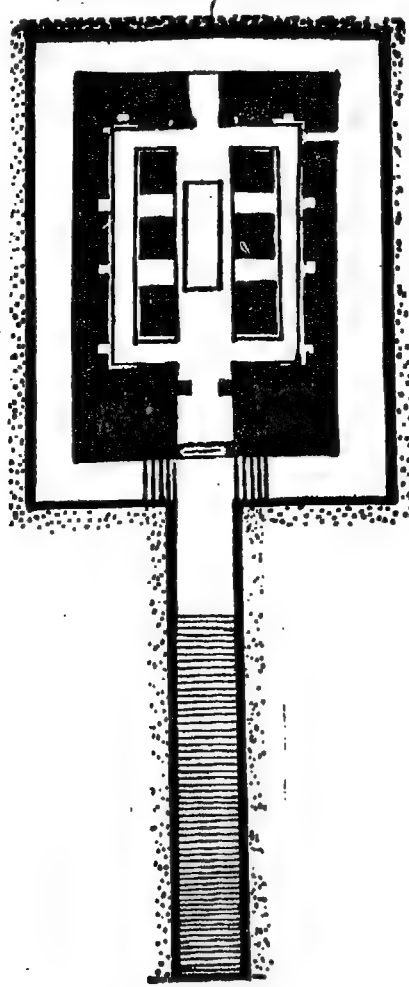
وربما كانت زيارة بيعنخى لمصر ورؤيته أهرام ملوك مصر السابقين فى سقارة والجيزة والأماكن الأخرى هى السبب الذى جعله يهجر ملراز قبور المصاطب التى بناها ملوك نبتا الذين سبقوه ويبنى لنفسه همرا . واختار منطقة كورو ، على مسافة نحو خمسة أميال من نبتا ، وسط الجبانة الكبيرة التى بها مقابر أسلافه . ولم يبق حجر واحد من مبنى الهرم العلوى فى مكانه ، ولكننا نعرف أن طول ضلع قاعدته كان أربعين قدما . ومن دراسة الأهرام التى بنيت بعده والتى ما زالت فى حالة جيدة من الحفظ نرى أن جوانب الأهرام الأربعة تميل الى الداخل بزاوية قدرها ٦٨° . وتقع تحت الهرم حفرة مسقفة بقبو متداخل كانت بمثابة حجرة الدفن ، وكانوا يدخلون تلك الحجرة بعد بناء الهرم عن طريق درجات سلم تبدأ من نقطة غرب المبنى العلوى وتصل الى باب فى الجدار الغربى من الحجرة ، وبعد الدفن يملأون درجات هذا السلم بالرديم ويقيون فوقها هيكلًا جنازيا مكونا من حجرة واحدة مزينة بالنقوش . وعندما بنى شباكا همرا أضاف خندقا قصيرا فى نهاية درجات السلم ، ونحتت حجرة الدفن فى الصخر ، وأقام الهيكل الجنازى مستندا الى الجانب الغربى للهرم مباشرة فوق الخندق وظلت درجات السلم — التى ملئت بعد الدفن بالرديم مثل خندق بيعنخى — خارج الجدار الغربى ، وبهذه الطريقة قام الهيكل على أساس صخرى وأمكن اتمام بنائه اثناء حياة الملك .

وحول طرهاقا في هرمه الواقع في نوري — على مسافة خمسة أميال من تبتا — الخندق الى حجرة صغيرة ، ووسع حجرة الدفن الى بهو قسمه بأعمدة صخرية الى ثلاثة أجنحة ، ونحت أيضا ممرًا يحيط بتلك الحجرات ويصل الى البهو عن طريق درجات سلم في الناحية الشرقية (شكل ٣١) . وزاد بعض خلفائه عدد الحجرات السفلية في أهرامهم الى ثلاث ، وتعرض حجرة منها المسافة الواقعة بين حجرة المدخل وحجرة الدفن ، وكتب على جدرانها ما يسمى « الاعتراف السلبي » من كتاب الموتى ، الا أنه رغم هذه التعديلات في التفاصيل فان النموذج العام للقبر الذي استنه شبكا لم يتغير في جوهره .



شكل ٣٠ - خريطة النيل من أسوان الى الخرطوم .

وعلاوة على أهرام الملوك وجد ريزنر في جبانة كورو صفًا من خمسة أهرام بنيت للملكات ، وبالقرب من هذا الصف أربع وعشرون مقبرة للخيل : أربع منها لخيل بيعنخى ، وأربع أخرى لخيل تانوت أمون ، وقسم الباقي بالتساوى بين خيول شباكا وشباتاكا ، وكان كل جواد مزينا بطقم من الفضة وعقود من الخرز ، وكانوا يضحون بهذه الخيول عند موت الملك لكى ترافقه الى العالم الآخر . أما في مصر فلم تكتشف غير مقبرة واحدة للخيل ، مع أن مقابر الملوك وبعض الأمراء في الدولة الحديثة قد حوت العربات الحربية . وعلى ذلك ربما كان بيعنخى أول من ابتدع التضحية بالخيل ، لأن تعلقه بها أمر معروف وتشهد



شكل ٣١ هرم طهرقا

فيه عبارته في لوحة النصر المشهورة ، غفى ذلك النص الشهير الذى يصف فيه غزوه لمصر نراه يعرب عن سخطه عندما علم أن « نملات » امير الاشموين ترك خيلة تقتضو جوعا أثناء الحصار الذى ضربه هو بنفسه حول المدينة . وقد نال نملات العفو في النهاية بعد أن كاد يدفع حياته ثمنا لاهماله للخيول .

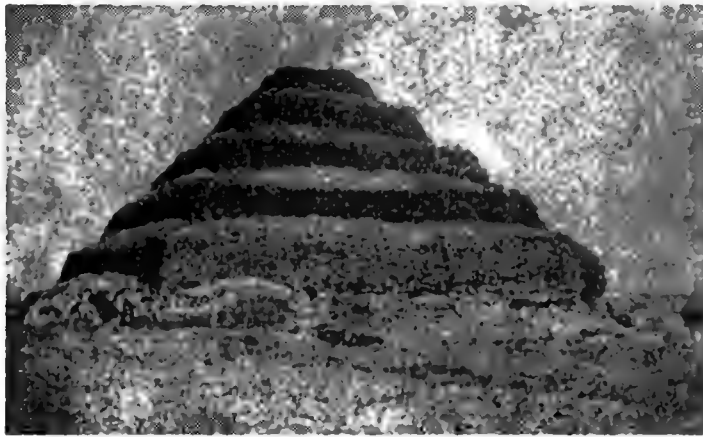
وحوالى سنة ٦٦١ ق.م وضع الملك الاثورى آشور بانيبال حدا لسلسلة الحروب بين آشور وملوك الأسرة الخامسة والعشرين بالقلب على تانوت أمون وفتح مصر كلها حتى مدينة طيبة ، فعاد تانوت أمون الى نبتا حيث ظل هو وأتباعه يحكمون دون ازعاج . ذى أهمية مدة تبلغ نحو ٣٥٠ سنة ، وكان يحد مملكتهم من الشمال الشمال الأول ومن الجنوب مستنقعات النيل الأبيض . وباستثناء اثنين من هؤلاء الملوك الذين بلغ عددهم واحدا وعشرين فقد دفنوا جميعا عند نوري في أهرام من الحجم والشكل ذاته ، وكان الاثنان المستثنيان هما تانوت أمون وملك آخر حكم بعده أقاما هرميهما في كورو . وعلاوة على أهرام الملوك تحتوى جبانة نوري على ثلاثة وخمسين همرا صغيرا للكات وأميرات .

ومنذ سنة ٢٠٠ ق.م. تقريبا حتى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد — عندما سقطت المملكة في يد الاحباش — كانت العاصمة في مروي على مسافة مائة وثلاثين ميلا شمال الخرطوم . وحديث في مرتين أن نجح مدعو الحق في العرش أثناء تلك الفترة في جعل نبتا عاصمة للمملكة ، ولكن في كلتا المرتين انهارت سلطة الخارجين على العرش وعادت مروي الى سلطتها السابقة . واستمر دفن ملوك مروي ومنافسيهم في نبتا في أهرام بلغت خمسين همرا في مروي وثمانية عشر في نبتا (لوحة ١٤) . وكانت كل هذه الأهرام — كسابقتها — مبنية بالحجر ، ما عدا تلك التى بنيت في مروي بعد عام ٢٠٠ بعد الميلاد عندما استخدموا في بنائها الطوب اللبن المغطى بطبقة من الملاط .

واحيا ملوك مروي عادة وحشية كانت قد انتشرت أيام الدولة الوسطى في شمال السودان ، هى دفن الخدم مع الملك في قبره لكي تستمر ارواحهم في خدمته في العالم الآخر . ولا يزال أمر دفنهم من المواضيع التى تدور فيها المناقشة ، ولمسنا نعرف هل كانوا قد دفنوا وهم أحياء أم انهم قتلوا قبل الدفن ، على أنهم لم يفعلوا ذلك مع الملكات



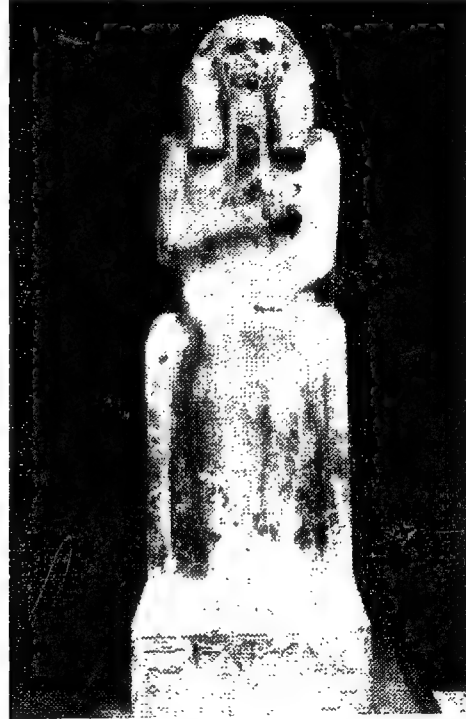
لوحة ١ - اهرام الجيزة مصورة من الجو



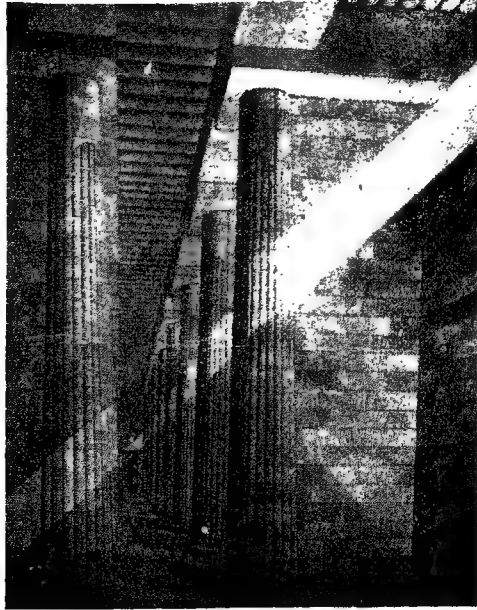
لوحة ٢ - الهرم المدرج بسقارة ، الجانبان الجنوبي والغربي



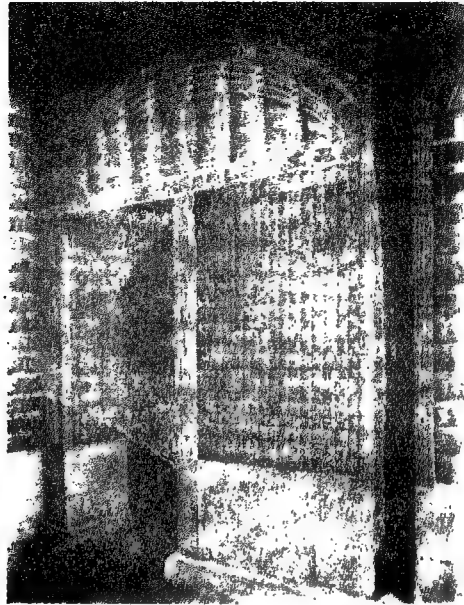
لوحة ١٢ - نقوش بارزة على الحجر
للفراعون زوسر وهو يؤدي بعض الطقوس
الدينية . سقارة



لوحة ٣ ب - تمثال للفراعون زوسر من الحجر
الجيري بالمتحف المصري



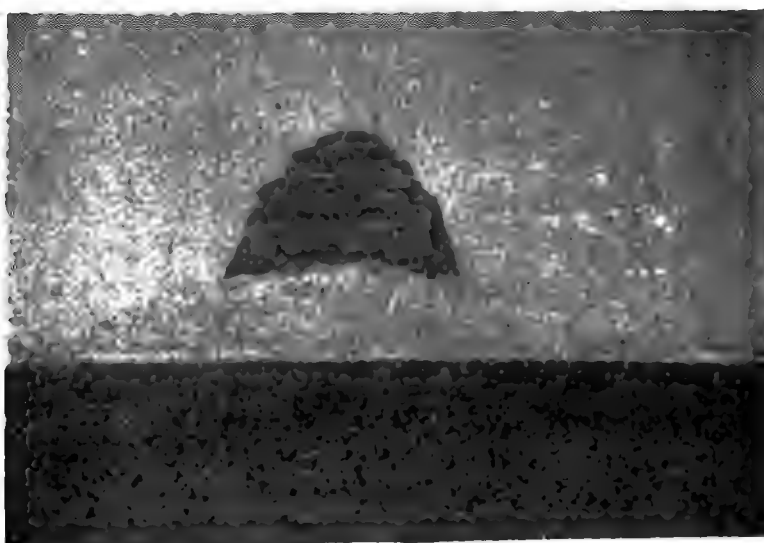
لوحة ٤ - الهرم المدرج . مدخل صالة الأعمدة بسقارة



لوحة ٥ • التغطية بالقيشاني كما كانت في المصطبة الجنوبية بسقارة



لوحة ١٦ - هرم ميدوم



لوحة ٦ ب - أبو الهول بالجيزة



لوحة ٧ - تمثال للفرعون خوفو من العاج بالمتحف المصرى



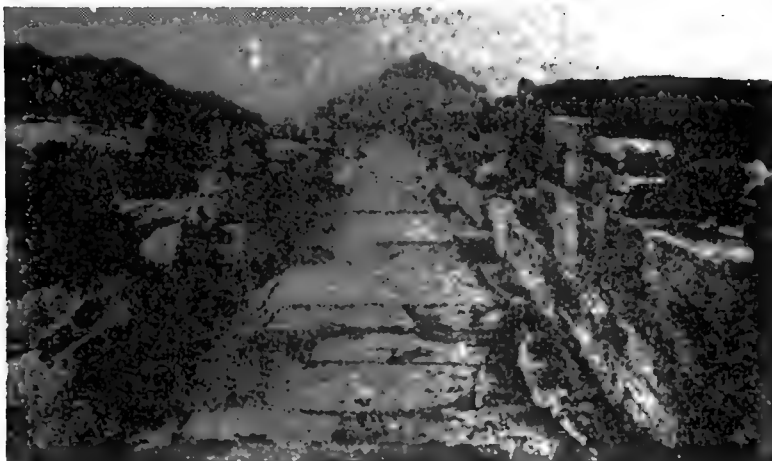
لوحة ٨ - تمثال للفرعون خفرع من حجر الديوريت بالمتحف المصري



لوحة ٩ — لوحة تمثل: نالوتا لأجد أقاليم مصر نرى فيها منبكاورع ،
وحانخور وإلهة إقليم ابن آوى . بالمتحف المصرى



لوحة ١٠ - مجموعة تماثلي منكارورع والملكة خع .
مرر . نبتى . فى متحف الفنون الجميلة ببوسطن



لوحة ١١ - الطريق الجنائزى لهرم أوناس بسقارة



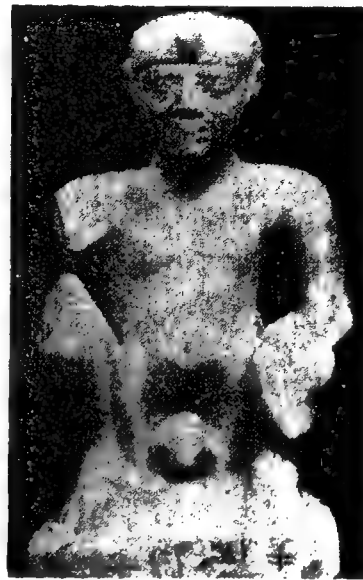
لوحة ١١ ب - منظر مجاعة من رسوم طريق هرم أوناس الجنائزى بسقارة



لوحة ١٢ - المعبد الجنائزى المهتم من عهد . تب . حبت . رع . (منتوحتب) بالدير البحرى ١



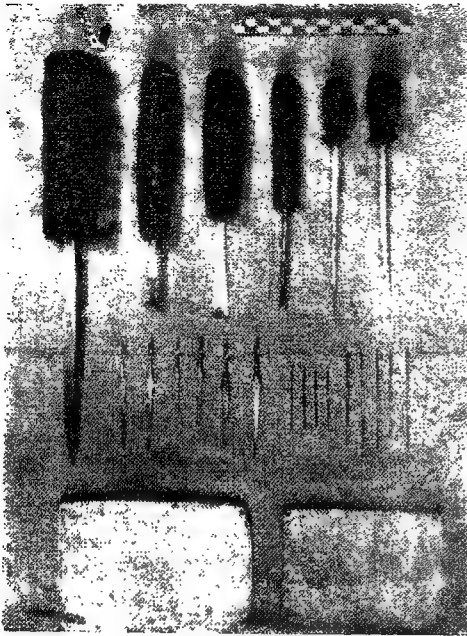
لوحة ١٣ ب - أمنمحات الثالث فى شبابه بالمتحف المصرى



لوحة ١٣ أ - تمثال صغير من الرمر للفرعون
بيبى الثانى وهو طفل بالمتحف المصرى



لوحة ١٤ - أهرام مروي



لوحة ١٤ ب - أدوات نحاسية من
الأسرة الأولى بالمتحف المصري

لوحة ١٤ ج - ثقب في الجريت
من أعمال عمال المحاجر القديسة في
أسوان



لوحة ١٥ - تمثال سنوسرت الأول من
الحجر الجيري بالمتحف المصري

اللاتى كن يدفن أيضا فى أهرام فى جبانة منفصلة فى الجانب الغربى من المدينة . وقد كتب سترابو يقول : « ما زالت العادة جارية فى اثيوبيا بأن الملك عندما يعجز عن استخدام عضو من أعضائه أو يفقده فى حادثة أو لاي سبب آخر ، فإن أتباعه — وهم أولئك الذين كان مقدرا عليهم أن يموتوا معه — يبادرون باظهار ولائهم له بأن يحدثوا فى أنفسهم نفس العاهة التى اصاب بها مولاهم » (١) . وربما أخطأ سترابو قليلا فى ذكر التفاصيل ، ولكن حفائر ريزنر فى مروي اثبتت أنه لا داعى للشك فى دقة ما كتبه بوجه عام .

Strabo, Geographica, Bk, XVII, II, 3.

(١)

الفصل السابع

طريقة بناء الهرم والغرض منه

ان الوثائق المصرية الباقية — سواء المكتوب منها أو المصور — لا تلقى ضوءاً على الطرق التي اتبعتها بناء الأهرام في وضع تصميمها أو تشييد مبانيها الضخمة . الا ان الدراسة الدقيقة للمباني ، وما يصل إلينا من معلومات تزيد يوماً بعد يوم عن الأدوات التي كان يستخدمها البنّاعون ، سهلت لنا التحقق من كثير من التفاصيل الخاصة بالبناء كما جعلت أيضاً في إمكاننا أن نتكهن بها كانوا يفعلونه إذا أعوزنا الدليل المادي . ومع ذلك فلا زالت بعض المسائل محتاجة إلى حل ، وفي مثل هذه الحالات لا يسعنا الا افتراض الجواب دون أن يكون هناك ما يؤيده سوى الاعتقاد بأن هذه الفروض يمكن أن تصل بنا إلى النتائج الملموسة .

فعند اختيار موقع لهرم من الأهرام كان من الضروري مراعاة اعتبارات معينة : فيجب أن يكون الموقع غرب النيل — الجانب الذي تغرب فيه الشمس — ويجب أن يقام فوق مستوى مياه النهر وغير بعيد عن ضفته الغربية ، ويجب أن تظل الأرض الصخرية من أي عيب أو احتمال للتصدع ، ويجب ألا يكون بعيداً عن العاصمة ، بل وربما يجب أن يكون قريباً من القصر الذي ربما يكون الملك قد شيده لأقامته خارج العاصمة . وكان من بين المواقع التي اختارها ملوك الدولة القديمة : سقارة وأبو صير في مواجهة منف ، وأبو رواش على مسافة سبعة عشر ميلاً إلى الشمال ، ودهشور على بعد خمسة أميال إلى الجنوب . وتفصل ثلاثة وثلاثون ميلاً منف عن ميدوم ، حيث بنى هرم واحد . وكان القرب من النهر عاملاً مهماً ، لأن كثيراً من الأحجار اللازمة لبناء الأهرام والمباني الملحقة بها يجب أن تنقل من الحاجر بالسفن ، إذ لا يبقى أثناء موسم الفيضان من الصحراء الا مساحة عرضها ٢٥٠ ياردة فقط بين النهر وهرم ميدوم ، بينما كانت المسافة عند الجيزة تبلغ نحو ربيع ميل . ولكن عند دهشور وأبو رواش كان طول الطريق المعدة لسحب مواد البناء عليها يقرب من ميل .

وبعد انتقاء الموقع المناسب كان أول عمل يقوم به المشرّفون على البناء هو إزالة الطبقة السميكة من الرمال والحصى التى فوق سطح الصحراء ، لكى يقام البناء على أساس ثابت من الصخر . ثم تبدأ بعد ذلك عملية تسوية الصخر وتهذيبه ، وكانت قطع الحجر التى يزيلونها من أماكنها إما أن تستخدم فى ملء الشقوق أو توضع جانبا لاستعمالها فيما بعد . ونستطيع أن ندرك مدى عنايتهم بهذه العملية فى الهرم الأكبر الذى ينحرف فيه المستوى الأفقى للأرضية المقام عليها الهرم عن المستوى الحقيقى بأقل من نصف بوصة فقط ، وهو فرق لا يكاد يدرك ويرفع الركن الجنوبى الشرقى للهرم عن الركن الشمالى الغربى . ولا شك أن مثل هذه الدرجة العالية من الاتقان فى عملية التسوية كانت نتيجة لتجارب عديدة مرت على المصريين ، فتعلّبوا منها خلال أجيال كثيرة ترجع الى ما قبل عصر بناء الأهرام عندما كانوا يعدّون أراضيهم للرى بالمياه الآتية من النهر بواسطة القنوات والترع . ولتسوية مساحة مثل قاعدة الهرم ، كان من الضرورى احاطة جوانبها الأربعة بجسور واطئة من طمى النيل وملئها بالماء ، وقطع شبكة من الخنادق فى الصخر بحيث تكون أرضية كل خندق على نفس العمق تحت سطح الماء ، أما المساحات التى تتخللها فكانوا يسوون سطحها بعد اطلاق المياه . ولكنه لم يكن من الميسور عمليا أن يسووا سطح جميع المساحة التى سيشغلها الهرم ، فكانوا يتركون أحيانا — كما هو الأمر فى الهرم الأكبر — نتوءا من الصخر فى الوسط ليستفيدوا منه فيما بعد أثناء عملية البناء .

وكان آخر ما يفعلونه من العمليات التمهيدية فى أعداد الموقع هو عمل دراسة دقيقة لكى يتأكدوا من أن قاعدة الهرم تأخذ بقدر الامكان شكل المربع الكامل ، وأن كل جانب من جوانبه يواجه جهة من الجهات الأربع الأصلية . وكانوا يستخدمون فى تنفيذ هذه العملية عصيا من الخشب طرف كل منها الى طرف الأخرى ، أو حبالا طويلة . وكانت وحدة القياس هى الذراع الملكى (طوله ٢٠,٦٢ بوصة) ويتكون من سبعة آلاف (راحة اليد) أو ثمانية وعشرين أصبعا (فالكف الواحد يساوى أربعة أصابع) . فاذا كانوا يستخدمون الحبال المصنوعة غالبا من الياف النخيل أو الياف الكتان فانها كانت تزداد قليلا بشدها فى الاستعمال ، ولهذا فلا عجب فى أن نجد فرقا يبلغ ٧,٩ بوصة بين أطول وأقصر جانب فى الهرم الأكبر ، بل ان ضلّالة الخطأ فى جوانب يزيد طولها عن ٩٠٠٠ بوصة هى فى الحقيقة التى تدمو الى الاعجاب ، خصوصا عندما نتذكر أن وجود النتوء الصخرى فى الوسط يجعل من الصعب قياس أقطار المربع قياسا صحيحا .

وليس من المستطاع ضبط جوانب الهرم نحو الجهات الأربع الرئيسية إلا بمساعدة جرم أو أكثر من الأجرام السماوية في وقت كانت اليوصلة فيه — بكل تأكيد — غير معروفة ، على أن قدماء المصريين قد نجحوا في هذا نجاحا كادوا يصلون فيه الى حد الكمال ، كما يتضح في الهرم الأكبر وهرم خفرع ، إذ لم يزد الخطأ في الأضلاع الأربعة عن جزء من الدرجة كما يتضح مما يأتي :

| | |
|----------------------|-------------|
| الضلع الشمالي ٢٨° ٢' | جنوبى الغرب |
| الضلع الجنوبي ٥٧° ١' | جنوبى الغرب |
| الضلع الشرقى ٣٠° ٥' | غربى الشمال |
| الضلع الغربى ٣٠° ٢' | غربى الشمال |

وبناء على دراسة بترى فان متوسط الخطأ في الضلعين الشرقى والغربى من هرم خفرع يبلغ ٢٦ ٥ غربى الشمال (١) . ولا يمكن أن نعرف على وجه التأكيد أى الأجرام السماوية ، وكم منها ، استعان به المصريون للحصول على هذه النتائج . ولكن من الواضح أنه كان من الضروري أن يحددوا فقط واحدة من النقاط الأصلية ، وبعدها يمكن تحديد النقاط الثلاث الباقية باستعمال آلات بسيطة كانت في مقدور بنائى الأهرام . فالشرق والغرب كانوا يستطيعون تحديدهما على وجه التقريب : من شروق الشمس وغروبها في يومى اعتدال الليل والنهار من كل سنة ، وكانوا يستطيعون معرفة الشمال من ملاحظة النجم القطبى . ولكن في كل حالة يكون الخطأ الناتج (حتى بعد عمل حساب التغيير في موقع القطب بالنسبة للنجم القطبى في مدى ٤٥٠٠ سنة) أعظم من الخطأ الذى وجد في هرمى الجيزة الكبيرين .

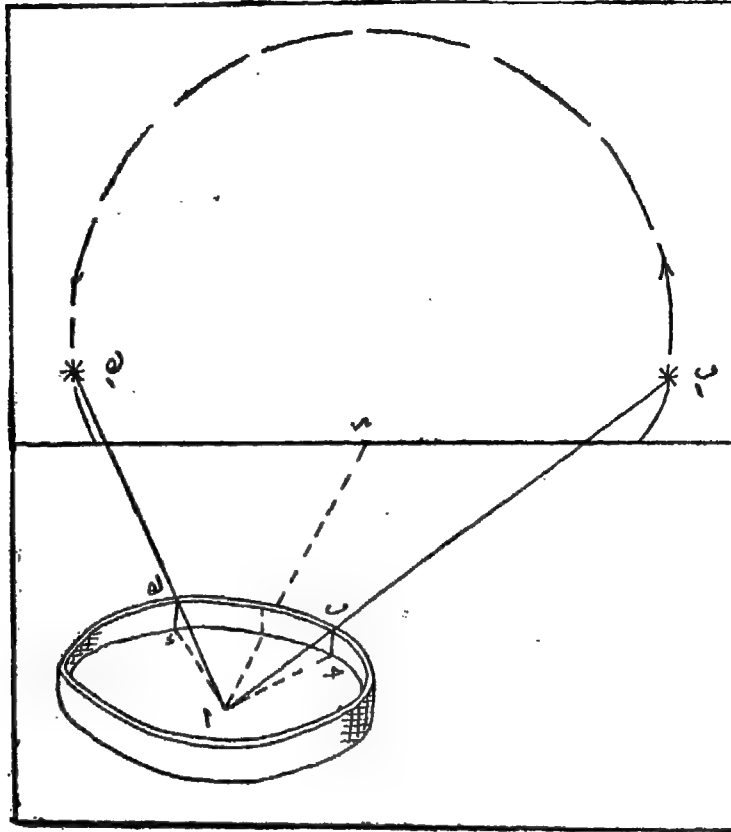
وهناك طريقة بسيطة لتحديد الشمال الحقيقى — وربما كانت هى الطريقة التى استعملت — وذلك بمراقبة نجم في النصف الشمالى من السماء ، وتنصيف الزاوية المكونة من مكان شروقه ، والمكان الذى حدثت منه المراقبة ، ومكان غروبه . وللحصول على الدقة المطلوبة

(١) وكان من بين الأهرام الأخرى التى قام بترى بدراستها ثلاثة لاحظ الأخطاء الآتية في توجيه أضلاعها الشرقية والغربية :

| | | |
|---------------|---------|-------------|
| الهرم المنحنى | ١٢° ٩' | غربى الشمال |
| هرم ميدوم | ٢٥° ٢٤' | غربى الشمال |
| هرم منكاورع | ٣° ١٤' | شرقى الشمال |

كان من الضروري اما رؤية الأفق الحقيقي عند النقطتين اللتين يشرق
النجم فيهما ويغرب ، واما بعمل أفق صناعى على ارتفاع منتظم فوق
هاتين النقطتين . ولما كان عدم انتظام مستوى الارض فى أى مكان —
مهما كان التغير قليلا — يعوق معرفة الأفق الحقيقي ، استلزم الأمر
عمل افق صناعى .

ويمكن الوصول الى ذلك ببناء جدار دائرى قطره بضعة اقدام
على أرضية الصخر التى سويت من أجل الهرم ، ويجب أن يكون ارتفاع
الجدار كافيا ليمنح الشخص الواقف داخل الدائرة من رؤية أى شىء
آخر خارجها سوى السماء . ولكن يجب الا يترتب على ذلك أن يصبح
الحائط أعلى من الشخص نفسه ، ويجب أن يكون السطح الأعلى من
الجدار فى جميع أجزائه على ارتفاع واحد مضبوط . ويمكن الحصول
على ذلك بسهولة بواسطة الماء ، وذلك بعمل جسور مؤقتة من الطين
على أعلى سطوح الجدار الدائرى من الداخل والخارج ، مع ملاحظة



شكل (٣٢) — طريقة لمعرفة الشمال الحقيقي

الاحتياط اللازم لمنع تسرب المياه . ويقوم بالمراقبة شخص واحد ، فينظر من فوق قضيب قصير مثبت عموديا في الأرض عند مركز الدائرة (شكل ٣٢ أ) ، ويقف شخص آخر داخل الدائرة يتلقى تعليماته من الشخص الأول ، وعندما يظهر النجم (شكل ٣٢ ب ١) فوق الحائط يضع علامة فوق الحائط مباشرة على امتداد الخط المستقيم الواصل بين المراقب والنجم .

ويجب أن تعمل هذه العملية أولا في اتجاه الشرق (شكل ٣٢ ب) ثم نحو الغرب بعد ذلك ببضع ساعات (شكل ٣٢ ك ١ . ك) وذلك برصد النجم نفسه في الحالتين . ثم يدلون ميزان البناء (وكان معروفا للمصريين في عصر بناء الأهرام) من العلامتين اللتين على الحائط ، ويضعون علامتين على الأرض في النقطتين اللتين ينزل عليهما الميزان عموديا (شكل ٣٢ ج ، د) ، ويتنصيف الزاوية ج أ د نحصل على الشمال الحقيقي ويصبح الخط (أ) هو الاتجاه الشمالي الجنوبي . ولزيادة التحقق يمكن إعادة هذه العملية برصد بعض نجوم مختلفة بنفس الطريقة قبل هدم الجدار الدائري . ويقع المشرق والمغرب عند زاوية مقدارها ٩٠° من الخط الذي حصلنا عليه . ولكن لم يعثر حتى الآن على المثلث والأدوات الأخرى التي ربما كانت تستخدم لقياس مثل هذه الزاوية ، الا اننا نرى من دراسة مباني ذلك العصر أن أركانها تكون زوايا قائمة على أتم ما يكون ، مما يدل على معرفتهم لآلة دقيقة أوصلتهم الى هذه النتيجة .

وفي الوقت الذي كانت تقوم فيه الأعمال التمهيدية في موقع الهرم ، كانت الاستعدادات للبناء ترتب في مكان آخر . فكانوا مثلا يصنعون أساسات الطريق الصاعد من الحجر المقطوع محليا ليتمكن استخدامه في نقل مواد البناء عندما تبدأ عمليات بناء الهرم . ولأجل عمل الكسوة الخارجية للبناء كانت تقطع كتل الحجر الجيري من النوع الجيد من جبال المقطم على الجانب الشرقي للنيل عند طرة ، ويكتب العمال المكلفون بمثل هذا العمل أسماء فرقهم بالمغرة الحمراء على الكتل قبل نقلها من الحجر . ومع أن هذه الأسماء غالبا ما تمحى أثناء العمليات المتعاقبة ، الا أن قدراً كافياً منها بقي ليخلد أسماء كثير من هذه الفرق ، فمثلا وجد « ألن رو » الأسماء الآتية واضحة على كتل كسوة هرم ميدوم (١) : « فرقة الهرم المتدرج » ، « فرقة القارب » ، « الفرقة القوية » ، « فرقة الصولجان » ، « الفرقة المتحملة » ، « فرقة

Alan Rowe, The Museum Journal, Philadelphia, Vol. XXII (١)
(1931), p. 21, pl. VI).

الشمال » ، « فرقة الجنوب » . وعلى إحدى الكتل في الهرم الأكبر
نقرأ : « فرقة الصناع » ، « ما أقوى تاج خنوم خوفو الأبيض ! » .

وسبب وضع هذه الأسماء على الأحجار غير واضح ، اللهم
الا إذا كان لغرض تسهيل عملية جرد أعمال كل فرقة . وفي الوقت
ذاته كانت هناك فرق أخرى من العمال يقطعون كتل الجرانيت
اللازمة للأعمدة والأعتاب وإكتاف الأبواب والعقود وكتل الكسوة ،
وفي بعض الأحيان التابوت الخارجى . ومما يثبت أن مثل هذا العمل
لم يخل من الأخطار ، ما نقرأه في مقبرة عند أسوان خاصة بحاكم
الجنوب المسمى أونى (Uni) الذى عاش أيام حكم بيبى الأول ومرنر ،
حيث يقرر أونى بفخر في هذه النقوش ، أنه نتيجة لسيطرته على
الخارجين على القانون في تلك المنطقة ، أمكن — لأول مرة في التاريخ —
إرسال بعثة لقطع الأحجار إلى أسوان تحت سيطرته ، ولم يكن يحرس
هذه البعثة غير سفينة حربية واحدة .

أما الحجر الجيرى — سواء أحصلوا عليه من سطح الجبل القريب
كما هو في الجيزة أم من قلبه كما في طرة — فلم يسبب لبنائى الهرم أية
صعوبات جدية عند قطعه في المحاجر . وقد اتضح من الحفائر الحديثة
التي قام بها و. ب. أمرى في جبانة سقارة أنه — حتى في عصر الأسرة
الأولى — كان لدى المصريين آلات نحاسية ممتازة الصنعة ، منها المناشير
والأزاميل التي كانوا يستخدمونها في قطع أى نوع من الحجر الجيرى
(لوحة رقم ١٤ ب) ، وربما استعانوا — لتسهيل عملية النشر —
بمادة مبتلة تساعد على التفتيت ، مثل الرمل الكوارتزى الندى الذى
يوجد بكثرة في مصر ، ولكننا لا نملك الدليل القاطع على أنهم
استخدموا مثل هذه المادة أو التجأوا إلى مثل هذه الطريقة .

وكانت الأزاميل والأسافين هي الآلات المفضلة لديهم في قطع
الأحجار الجيرية ، فتستعمل الأولى لفصل الكتلة عن الصخر من
كل جانب عدا القاعدة ، والأخرى تستعمل لعزل الكتلة من أسفل .
ففرى في خندق أحد المحاجر مثلاً تجويفاً عميقاً يشبه الرف يمتد بطول
عرض الممر بين السقف والكتلة المراد نزعها ، والغرض من هذا
التجويف هو تهكين أحد عمال المحجر من الزحف فوق سطح الكتلة
لفصلها من الصخر من الخلف بعمل شقوق عمودية تتجه إلى أسفل
بواسطة أزميل يدقه بمطرقة من الخشب ، وفي نفس الوقت يقوم
عامل آخر بإحداث شقوق رأسية مشابهة أسفل الجانبين . وأخيراً
توضع الأسافين في خروم تثبت عند القاعدة لكي تفصلها أفقياً من
الصخر ، وبهذا تفصل الكتلة بأجمعها .

وفى بعض الأحيان تستعمل أسافين من الخشب ، ويتم نصل الكتلة ببل الخشب بالماء ليمتد . وتعاد العملية بعد ذلك فى الصخرة التى تحتها دون ضرورة لقطع التجويف الأول ، وهكذا الى أن يصلوا الى مستوى الأرضية . ثم يبدأون فى تكرار العملية عند مستوى السقف متجهين الى أسفل فى الخندق (١) . وكانوا يقطعون الأحجار من سطح الجبل بنفس الطريقة تماما ، وهى أفضل كثيرا من قطع الأحجار داخل الخندق ، نظرا لأن مكان العمل ليس محدودا ويستطيع عدد كبير من العمال أن يعملوا فيه فى وقت واحد ، ولكن من ناحية أخرى فإن أحسن أنواع الحجر الجيرى توجد فى طبقات عميقة تحت السطح، وقطع الخنادق هو الطريقة العملية الوحيدة لاستخراجها .

ولا تزال الطرق التى كانوا يستخدمونها فى عصر بناء الأهرام فى قطع الجرانيت والأحجار الأخرى الصلبة موضع خلاف فى الرأى ، فقد ذكر أحد الباحثين أن المصريين لم يبدأوا فى عمل محاجر للحصول على الأحجار الصلبة الا فى الدولة الوسطى ، ويصر على أنهم قبل ذلك كانوا يحصلون على الكمية المطلوبة ، من الصخور الكبيرة التى كانت فوق سطح الأرض (٢) . ولكن من الصعب الاعتقاد بأن الأشخاص الذين وصلوا الى درجة من المهارة مكنتهم من نحت وتشكيل الكتل الهائلة من الجرانيت المستخدمة فى مبنى الوادى الخاص بخفرع لم يكن فى مقدورهم استخراج كتل من هذا الحجر من المحاجر ، خصوصا وأن قطع الأحجار بطريقة قطع الخنادق لم تكن قد استعملت بعد . وعلاوة على ذلك فما زال واضحا على ظهر الكتل المكونة لسقف حجرة دفن منكورع آثار وضع الأسافين فيها ، ولا يدل أثر الأسافين الا على أنها فصلت من صخور الحجر . ونحن نعرف أن هذه الطريقة كانت مستعملة بكل تأكيد فى العصور التالية ، ويثبت ذلك وجود ثقوب الأسافين التى لا يمكن حصرها وما زالت ظاهرة الى يومنا هذا فى محاجر أسوان (لوحة ١٤ ج) . ولا يوجد من الأدلة ما يجعلنا نعتقد أن رجال الحجر لم يفصلوا الكتل بنفس الطريقة فى عصر الدولة القديمة ، ويمكن عمل الثقوب اما بحك الحجر بمسحوق مفتت واما باستخدام آلة معدنية .

(١) وتقطع كثير من الأحجار اللينة فى المملكة المتحدة فى وقتنا هذا بنفس الطريقة ، مع فارق مهم هو أحلال الأدوات المصنوعة من الصلب محل الأدوات النحاسية والاكثار من استخدام المنشار . وربما عرف قدماء المصريين « أزمة » البناء المستخدمة الآن بدلا من الازمير ، ولكن لم يعثر حتى الآن على عينة منها .

(٢) A, Lucas- Ancient Egyptian Materials and Industries. (1934). pp. 62-3.

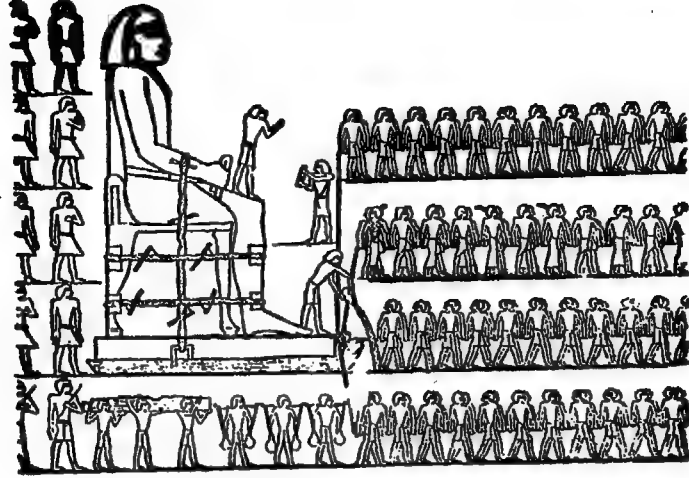
ولما كان النحاس هو المعدن الوحيد المعروف في مصر قبل الدولة الوسطى ، فإنه يظن أن المصريين عرفوا طريقة تعطى النحاس درجة عالية من الصلابة ، ولكننا لم نعثر حتى الآن على ما يؤيد هذا الظن . وهناك طريقة أخرى لقطع الجرانيت ولكنها أكثر مشقة ، وذلك بدق الصخر حول الكتلة المراد فصلها بكرات من حجر الدولوريت ، وهو حجر صلب يميل الى الخضرة ويوجد في أماكن كثيرة في الصحراء الشرقية بالقرب من البحر الأحمر . فالمسلة غير التامة التي يرجع تاريخها الى عصر الدولة الحديثة ، والتي لا تزال في مكانها في أسوان ، كان العمل يجرى فيها بهذه الطريقة دون شك ، وليس هناك ما يدل على أن عمال المحاجر في عصر بناء الأهرام لم يعرفوا هذه الطريقة .

وأيا كانت طريقة استخراج الجرانيت من الحجر فقد حصلوا على الكتل اللازمة منه . فقد كانت هناك طريقة واحدة للحصول على النوع المطلوب من الحجر ، اذا لم يحصلوا عليه من الطبقة العليا . لأن الجرانيت — مثل كثير من الأحجار الأخرى — اذا ما سخن الى درجة حرارة عالية ثم برد فجأة ، تحدث فيه شروخ ظاهرة ويتفتت سطحه عند أى احتكاك بسيط وتتساقط أجزأؤه . وعلى هذا فقد كانوا يسخنون كتلة الجرانيت بالنار ، ثم يصبون عليها ماء بارداً فيتفتت سطحها فيزيلونه بمكشط صغير من الحجر ، ويكررون ذلك عدة مرات حتى يصلوا الى الحجر ذى الصلابة المطلوبة .

ولم يكن نقل الكتل الكبيرة من محاجرها أقل الأعمال شأناً في تشييد الهرم ، إذ أن بعض القطع الثقيلة من الحجر الجبرى المقطوعة محلياً والمستخدمة في بناء معبد منكاورع الجنازى تبلغ نحو ٢٠٠ طن حسب تقدير ريزنر ، فإذا قارنا ذلك بكتل الكسوة في الهرم الأكبر التى يبلغ متوسط وزنها ٢½ طن وبوزن الكتل الجرانيتية في سقف حجرة الملك البالغ وزنها ٥٠ طناً ، لبدت هذه الأخيرة تافهة بالنسبة للأولى ، ثم ينبغى أن نتذكر أن الأخيرة كانت تتطلب نقلها بالسفن ، ثم انزالها منها ، ثم رفعها بعد ذلك في أغلب الأحيان الى علو شاهق فوق الأرض . ومن المحتمل أنهم كانوا ينقلون هذه الكتل الحجرية اثناء موسم الفيضان ، وربما كان ذلك هو أقل الأعمال الشاقة في تلك العملية بالرغم من أن ضبط المراكب المحملة بالأحمال الثقيلة في نهر سريع الجريان كان دائماً عملية خطيرة تحتاج الى مهارة فائقة .

أما الطريقة المستعملة في نقلها فوق سطح الأرض فكانت واحدة ، سواء أكان وزن الكتلة المنقولة ٢٠٠ طن أو ٢½ طن ، لأن عدد

الرجال كان يتوقف على مقدار الوزن . ولكن ما هي هذه الطريقة ؟
 فليس هناك أى احتمال لاستخدامهم عربات ذات عجلات ، لأنه
 بالرغم من وجود نوع من العجلات منذ الأسرة الخامسة على
 الأقل (١) ، فإن الرسوم التى فى قبور الأسرة الثامنة عشرة توضح لنا
 أنه بعد مرور ألف سنة بعد الدولة القديمة كانت التماثيل والكتل
 الثقيلة لا تنقل بواسطة العربات ذات العجلات ، بل استخدموا بدلا من
 ذلك زحافات . ولا يخبرنا شك فى أن بناء الأهرام قد استعملوا أيضا
 هذه الطريقة ، واكبر الظن أن كل كتلة كانت توضع فوق الزحافة
 باستخدام رافعات من فوق الأرض مباشرة أو بعمل منحدر واطيء
 يبنى من الطوب اللبن أو الحجر . وبعد أن تربط الزحافة والكتلة معا
 بالحبال يمكن رفعها ثانية بالرافعات (العتل) ليضعوا تحتها أسطوانات
 خشبية (درافيل) ثم يجرون الزحافة المحملة فوق طريق عليه
 (براطيم) من الخشب ويشدها الرجال بحبال مثبتة فى الزحافة .
 وفى مقبرة جيحوتى حتب من الأسرة الثانية عشرة فى البرشا
 (شكل ٣٣) رسم يمثل الطريقة التى كانوا يتبعونها ، نرى فيه تماثلا
 كبيرا من الرمر لصاحب القبر يزن نحو ٦٠ طنا فوق زحافة يجرها



شكل ٣٣ - نقل تماثيل كبير

(١) رسم فى مقبرة ام حسنت من الأسرة الخامسة يبين سلم صعود فوق عجلات
 (انظر كتاب Somers Clarke and R. Engelbach, Ancient Egyptian Masonry, fig 83.

١٧٢ رجلا (١) ، كما نراهم يصبون الماء أو أى سائل آخر على الأرض ليقفل الاحتكاك ويسهل الجر .

ولكن بعد اعداد الموقع ، وبعد تشوين المواد المطلوبة على مقربة منه ، يبقى أمام المشرف على بناء الهرم معضلتان ، اولاهما رفع الأحجار الى الارتفاع المطلوب ، والثانية وضع الأحجار فى أماكنها بحيث يكتسب البناء تماسكا داخليا والا تخرج هذه الأحجار عن التصميم الأصلي للشكل الخارجى . وقبل أن نحاول ايضاح الطريقة التى تغلبوا بها على هاتين المشكلتين يجدر بنا أن نتريث قليلا لنفكر فى المعالم الانسانية للمبنى المطلوب ، سواء الداخلية أو الخارجية منها دون أى تفكير فى الحجرات والممرات .

فعندما كنا نتحدث عن هرم ميدوم قلنا ان قلبه مكون من بضعة طبقات من البناء ، تقل فى الارتفاع من الوسط الى الخارج ، وترتكز على نواة فى الوسط تبلغ درجة ميلها ٧٥° (شكل ١٢) ، وقلنا ان كل طبقة كسيت من أعلى الى أسفل بأحجار طرة الجيرية ، ثم سوى سطحها الخارجى ، ثم حول الهرم المدرج الناتج بعد ذلك الى هرم حقيقى بهلء الدرجات بالأحجار ، وأضيفت اليه كسوة خارجية من أحجار طرة الجيرية الناعمة . وقد أوضح بورخارت أن نفس الطريقة ظل يتبعها بناء الأهرام فى الأسرة الخامسة (٢) مع فارق بسيط وهو ترك أوجه أحجار الكسوة الداخلية كما هى دون تسوية ، وربما استمرت هذه الطريقة نفسها متبعة حتى عصر أبعد من ذلك فى الدولة القديمة ، فمثلا كان يتكون هرم ساحورع فى أبو صير من طبقات ترتفع عاليا فى قلب البناء (شكل ٣٤ — ١) وكسوات داخلية من الحجر الجيرى (شكل ٣٤ — ٢) وكتل الخشو من الحجر (شكل ٣٤ — ٣) وأخيرا الكسوة الخارجية الناعمة من أحجار طرة الجيرية (شكل ٣٤ — ٤) .

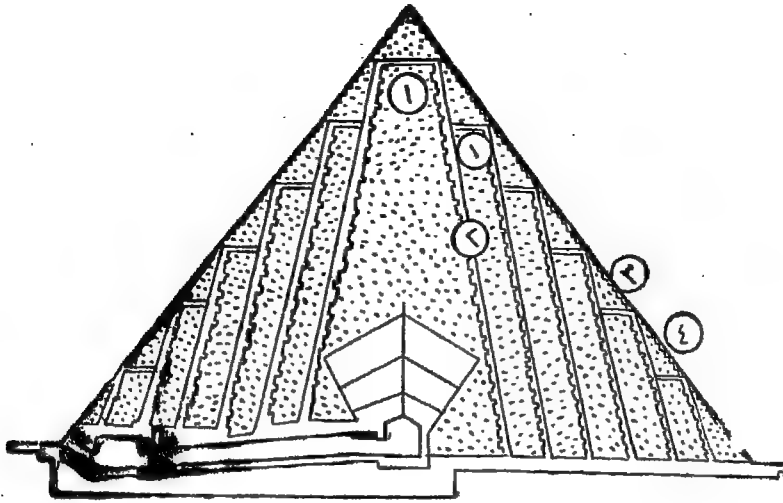
ولسنا نعرف اذا كانت أهرام الجيزة الثلاثة قد بنيت بهذه الطريقة ، لأنه — ما لم تهدم أجزاء كبيرة من مبانيها العلوية — لا يمكن عمل أى محص يؤدي الى نتائج نهائية . واستنتج بورخارت من وجود أحجار

(١) بوتيين النفوش التى عثر عليها فى قصر سنحاريب فى نينوى والموجودة الآن فى المتحف البريطانى أن الأشوريين فى القرن السابع قبل الميلاد كانوا ينقلون تماثيلهم بطريقة قريبة الشبه جدا من تلك الطريقة .

(٢) Borchardt, Das Grabdenkmal des Königs Sahure, Vol. I, p. 29. (٧)

الربط في الممر الصاعد انهم اتبعوا في بناء الهرم الأكبر الطريقة نفسها ، لأن كل حجر من أحجار الرباط في رايه جزء من الكسوة الداخلية (١) . ولكن اثنين ممن يعتقد برايههم - وهما سومرز كلارك وز. انجلباك - رفضا قبول آراء بورخارت (٢) . وحتى لو كانت أحجار الرباط ليست أحجار كسوة داخلية ، فان ذلك لا يثبت أن أحجار الكسوة لا توجد في مكان آخر من الهرم . وعلاوة على ذلك فمن الثابت أن كل الأهرام الإضافية الموجودة في الجيزة قد بنيت بكسوات داخلية ، ويصبح امراً مستغرباً اذا كانت الأهرام الأصلية بنيت بطريقة مخالفة .

وتتشابه كل الأهرام التي بنيت بعد الهرم المنحنى في دهشور في شكلها الخارجى ، ولا تختلف الا في الحجم وفي بعض التفاصيل الصغيرة ، كزاوية الميل ونوع الحجر المستعمل في المداميك السفلية من الكسوة الخارجية . وكانت زاوية الميل المعتادة نحو 52° ، وهى الزاوية التى نحصل عليها اذا كان الارتفاع مثل نصف قطر الدائرة التى يتساوى محيطها مع محيط الهرم عند مستوى الأرض (القاعدة) كما نرى في هرم مينوم والهرم الأكبر ، أما هرم دهشور الشمالى المبنى من الحجر والذى تبلغ درجة الميل فيه 36° - 43° فهو الاستثناء الوحيد الذى شذ عن هذه القاعدة .



شكل ٣٤ - هرم سحاورع - قطاع فى اتجاه الناحية الشرقية

(١) L. Borchardt, *Eimiges zur dritten Bauperiode der grossen Pyramide bei Gise* (Cairo, 1932).

(٢) Somers Clarke and Engelbach, *Ancient Egyptian Masonry*.

ويقول هيرودوت ، الذى نقل الينا الراى الذى كان يتناقله الناس فى مصر فى أيامه عن بناء الهرم الأكبر : « بنى الهرم من طبقات سماها البعض شرفات وسماها البعض الآخر درجات . وعندما تم الهرم على هذا الشكل رفعوا الأحجار الباقية الى أماكنها بواسطة آلات صنعت من عروق قصيرة من الخشب ، فكانت الآلات الأولى ترفع الأحجار من الأرض الى أعلى الدرجة الأولى ، وعلى هذه الدرجة يضعون آلة أخرى تتلقى الحجر عند وصوله وتنقله الى الدرجة الثانية ، حيث تنقله آلة ثالثة الى أعلى . وأما أنه كان لديهم آلات كثيرة بعدد درجات الهرم ، وأما أنه كان لديهم آلة واحدة يسهل تحريكها ونقلها من طبقة الى طبقة كلما ارتفع الحجر . فقد قيل لى الرايان ، وأنى أذكرها هنا . وأنجزوا الجزء الأعلى من الهرم أولا ، ثم الجزء الأوسط ، وفى النهاية الجزء الأسفل القريب من سطح الأرض » (١) .

وبينما تميل الاكتشافات الأثرية الى تأييد الجملة الأخيرة ، إلا أنه لم يظهر فيها ما يؤيد ما قاله هيرودوت فى جملته . وعلى ذلك فلا بد أن نعترف بأن بناء الهرم موضوع ما زال ينتظر الحل .

ولعدم وجود البكرة — وهو اختراع لم يعرف فى مصر قبل عصر الرومان — لم يكن أمام قدماء المصريين الا طريقة واحدة لرفع الأوزان الثقيلة ، وذلك ببناء منزلقات من الطوب اللبن والطين ترتفع الى أعلى من مستوى الأرض ، الى أى ارتفاع يريدونه . فإذا أرادوا مثلا بناء حائط قصير ، فإن أحجار كل مدمك بعد المدمك الأسفل كانت ترفع الى المنسوب المطلوب على منزلق يبنى ملاصقا للجدار وبطوله كله ، ويبرز الى الخارج بزاوية قائمة على خط الجدار . وعند اضافة مدمك تال الى البناء ، يلزم أن يرتفع المنزلق ويمتد أيضا لكى يبقى الانحدار دون تغيير . وفى النهاية عندما يبلغ بناء الجدار أقصى ارتفاعه ، يزال المنزلق وتسوى السطوح الخارجية للأحجار التى لم تصقل سطوحها من قبل ، يصقلونها طبقة بعد طبقة متجهين الى أسفل فى الوقت الذى يقللون فيه من ارتفاع المنزلق . ويمكننا أن نرى مثلا لهذا المنزلق ملاصقا للصرح الأول الذى لم يكمل بناؤه فى معبد الكرنك (٢) ، ولئن كان هذا المثال من العصور المتأخرة فإن مما يثبت أن هذه الطريقة نفسها كانت متبعة قبل ذلك فى العصور القديمة ما عثر عليه من بقايا المنزلقات عند هرم أمنحات الأول فى اللشت وعند هرم ميدوم ، كما تبدو فى الصور المأخوذة من الجو بقايا واضحة من

Herodotus, II, 125 (Rawlinson's translation).

(١)

Somers Clarke and R. Engelbach, op. cit., Fig. 87,

(٢)

المنزلقات ما زالت تحت رمال دهشور ، ولكن يجب أن ننتظر الدليل
العملى عند القيام بحفائر هناك .

فاذا سلمنا - بناء على ما لدينا من أدلة - بأن بناء الأهرام قد
استعملوا المنزلقات ، فكيف كانوا يرتبون هذه المنزلقات ؟ وخير
الاجابات أن منزلقا واحداً كان يبنى بطول جانب واحد من الهرم -
لاستخدامه فى نقل ما يلزم ، وكلما ارتفع الهرم ازداد المنزلق فى
الارتفاع والطول ، كما يضيق عرض سطحه الأعلى تدريجياً نظراً
للتناقص المستمر فى عرض واجهة الهرم . فاذا كانت زاوية ميل
الهرم 52° فلا بد أن تنحدر واجهتا المنزلق الجانبيتان بزاوية قدرها 52° ،
وبهذا يتفادون أى انهيار جانبي . أما جوانب الهرم الثلاثة التى لم تغط
بمنزلق التموين ، فقد كانت أمامها جسور ذات عرض كاف فى أعلاها
يسمح بمرور الرجال ومواد البناء . ولكن نظراً لأنها كانت لا تستخدم
لرفع الأحجار من الأرض ، فإن درجة ميلها على السطح الخارجى
يمكن أن تكون منحدره بقدر ما تسمح به المتانة اللازمة . وكانوا
يضعون أيضاً براطيم من الخشب ، وقد عثر على بعضها فعلاً فى مكانها
فى اللشنت أثناء الحفائر فوق أعلى سطحى منزلق التموين وجسور المشى
لتكون طريقاً متيناً لمرور الزحافات وهى محملة بكتل الأحجار .

ولتوضيح الطريقة التى نكرناها ، لنصور أن هрма من الأهرام
قد بنى الى نصف ارتفاعه النهائى (١) ففى هذه الحالة لا يمكن أن يظهر
شئ من مباني الحجر السابق وضعها لآى شخص واقف على الأرض ،
لأن ثلاثة من الأوجه الخارجية ستكون مغطاة كلها بجسور لمشى العمال ،
وسيحجب منزلق التموين الوجه الرابع . أما السطح العلوى من الهرم
فسيكون أشبه برصيف مربع معد لوضع المدمك التالى فوقه ، وأول
ما يسحب من أحجار الى هذا الرصيف هى الكتل الداخلية المجلوقة
من المحاجر المحلية ، تترك جوانبها وسطوحها العلوية خشنة ولكن
تسوى سطوحها السفلى . وتتخذ هذه الأحجار الى وسط الرصيف
وتوضع الى جوار بعضها البعض ، وتترك غالباً الفراغات الناتجة من
عدم انتظام جوانبها دون ملء .

وكانوا يعنون بأن يمتد المدمك الجديد فى كل الاتجاهات الأربعة
بحيث يبقى دائماً فى شكل مربع تقريباً . وعلى مسافات منتظمة يجعلون

(١) فى الوصف الآتى ، كما فى المواضع الأخرى من هذا الفصل ، أخذنا الكثير
مما ورد فى كتاب (Acient Egyptian Masonry) Clarke and Engelbach
(Oxford, 1930)

جوانبه متساوية تماما في الطول ، باضافة كسوة داخلية من احجار طرة الجيرية توضع مباشرة فوق نظيرتها من الكسوة في ارضية الرصيف . أما الناحية الخارجية من الكسوة فتقطع بميل الى الداخل بزاوية مقدارها حوالي 75° ، ولكنها تترك دون صقل . وأخيرا تزداد مساحة المدمك الموضوع ، حتى لا يبقى من الرصيف الاصلى سوى شريط ضيق على حوافه الخارجية دون تغطية . وعندما نصل الى تلك الدرجة تضاف كتل الحشو من الأحجار الجيرية المحلية ، مع العناية الفائقة باللحامات بين الأحجار . وتراهم في الهرم الاكبر وضعوا كتل الحشو بطريقة تجعلها تميل ميلا خفيفا الى الداخل نحو وسط كل مدمك ، فنتج من ذلك انخفاض يمكن ملاحظته متجها من اعلى الى اسفل في وسط كل وجه من أوجه الهرم ، ولا توجد هذه الظاهرة في أى هرم آخر .

وعندما يتم بناء قلب الهرم لا يبقى الا أن تضاف له كسوة خارجية من أحجار طره الجيرية ، ويستلزم هذا العمل الدقة التامة ، لأن أى عيب في وضع الأحجار لا يشوه المظهر الخارجى للأثر فحسب ، بل يؤدي حتما الى عدم انتظام الشكل الهرمى . وعلاوة على ذلك يجب أن تكون زوايا اللحامات مضبوطة وملتصقة جدا ما أمكن ، ولكى يقتصدوا في الوقت ويحصلوا على أعلى ما يمكن من الدقة كانوا يتركون زاوية اللحامات الصاعدة — أى تلك التى بين الكتل المتجاورة في نفس المدمك — ليقوم بها بناؤون على أكبر جانب من المهارة ، يعملون ذلك وهى على الأرض . وبهذه الطريقة يحصلون على نتائج باهرة فيما يسمى اللحامات الصاعدة المائلة ، تلك التى تقطع لا بزاوية قائمة في اللحام السفلى ولا موازية مع محور الهرم المركزى . وربما يتم على الأرض أيضاً اعداد زوايا اللحامات بين الأوجه الخلفية لأحجار الكسوة وبين الأوجه الأمامية لكتل الحشو ، حتى اذا ما وصلت كل كتلة في النهاية الى الرجال المنوط بهم وضعها في مكانها ، احتاج فقط سطحها العلوى والأمامى — المنحوت طبقا لزاوية الهرم ولم يصقل بعد — الى عناية أكثر من البنائين .

وحتى بعد عمل مثل هذه الاستعدادات الدقيقة يظل وضع كتل الكسوة عملا صعبا ، خصوصا اذا كانت كتلا كبيرة تزن الواحدة منها أكثر من عشرة أطنان . ولا شك أنهم كانوا يحملونها مع زحافتها الى أقصى نقطة ممكنة فوق الجسر ، في مكان يواجه مباشرة المكان المقرر وضعها فيه في البناء ثم تنزل الكتلة على جانبها من الزحافة لتستقر على عوارض خشبية أعربت لتلقاها فوق حجر الكسوة في المدمك الذى

تحتة . ولكى يحكم استعمال العتلات يترك الحجارون نقرا فى الوجه الخارجى لكل كتلة من الكسوة ، وبينما تكون الكتلة فى ذلك المكان تبسط طبقة رقيقة من المونة على كل من وجهها الأسفل والوجه المجاور للكتلة الأخرى . وكان الغرض الأساسى من المونة هو ایجاد نوع من مادة لينة تجعل الكتلة بعد وضعها فى مكانها ، تنزلق وتلتحم مع كتلة الكسوة السابق وضعها ومع كتل الحشو الموجودة خلفها .

ولسنا نعرف تماما كيف كانوا يقومون بذلك العمل ، ولكن من المحتمل أنه كان يتم بشد حبال مربوطة الى براطيسم من الخشب موضوعة عبر الركن الخارجى الخالى من كتلة الكسوة ، ثم يحركونها الى الوراء بواسطة عتلات من الأمام حتى تصبح على حذاء الخط . ونرى كتل الكسوة القليلة الباقية عند أسفل الهرم الأكبر أحسن الأمثلة للحامات المكتشفة حتى الآن ، والى بترى يرجع الفضل فى جذب انظار العالم الحديث الى دقتها ، فهو الذى كتب عنها : « أخذت بعض مقاسات لسمك اللحامات فى أحجار الكسوة ، فبلغ متوسط السمك فى لحامات الجهة الشمالية الشرقية فى أحجار الكسوة ٠.٢ ر من البوصة ، وعلى ذلك يكون متوسط الفرق فى نحت الحجر عن الخط المستقيم وعن المربع الحقيقى ٠.١ ر ، وفى طول يبلغ ٧٥ بوصة على السطح . وهى درجة من الدقة تساوى ما تقوم به أحدث الأجهزة لضبط الحواف المستقيمة ، ورغمما من أنهم كانوا يقربون الكتل من بعضها الى مسافة من البوصة غالواقع أن متوسط الفتحة فى اللحام ^١ _{١٠٠} من البوصة » .

وعندما يتم وضع أحجار الكسوة فى أماكنها على الأوجه الأربعة للمدماك ، فمن الضرورى القيام بعمل مراجعة كاملة لهذا الجزء للتأكد من أنه لم يخرج عن الوضع الصحيح . ولم تكن هناك مندوحة من حدوث انحرافات صغيرة ، فإذا اكتشفت فى وقتها أمكن تداركها عند وضع المدماك التالى . وكلما تقدم العمل يزدون فى ارتفاع منزلق التموين الرئيسى وجسور مثنى العمال الى المستوى الجديد فى الهرم ، ويعمل البنائون فى تنعيم أعالى الأحجار التى أتموا وضعها وهى التى ستصبح اللحامات السفلية للمدماك القادم . وهكذا يستمر البناء فى النمو مدياكا بعد مدياك ، حتى يصل فى النهاية الى حجر القمة ، الذى كان يصنع عادة من الجرانيت ، فيوضع فى أعلاه . ولضمان تثبيت هذا الحجر فى مكانه نحتوا فى وسط قاعدته بروزا أشبه بالقرص يركب مثل اللسان فى نقر أعد له فى وسط المدماك العلوى من البناء .

ويمكننا أن نفترض أن حجر القمة الذى يكون تشكيله قد تم ولكنه لا يزال خشن الجوانب ، كان يؤخذ الى اعلى الهرم على زحافة ثم يحمل على عتلات حين ترفع من تحته الزحافة . ويمكن ادخال عوارض تحته ثم تبسط طبقة رقيقة من المونة فى المكان المعد له ، وأخيراً بعد سحب العوارض يهبط تدريجاً بواسطة العتلات الموضوعة تحته فى الحافة الصغيرة التى فى الجوانب . وعثر جيكييه على نص فى هرم الملكة أوجبتن يتحدث عن حجر قمة هرمها المذهب ويوحى بأن هذه الأحجار كانت على الأقل فى بعض الأحيان تغطى بصفائح من الذهب . ولم يصل إلينا مثال قديم من ذلك ، ولكن يوجد فى المتحف المصرى مثل جيد من هرم أمنمحات الثالث فى دهشور ، وهو مصنوع من الجرانيت الأشهب ونقشت على أوجهه الأربعة كتابات تحوى إبتهالات الى اله الشمس وثلاثة آلهة أخرى .

وبذلك تكون عملية تشييد الهرم الشاقة قد انتهت ، ويمكن أن يبدأ العمل فى صقل الجوانب الأربعة الخارجية بادئين بحجر القمة ، وكلما تقدم العمل ينخفض منزلق التموين وجسر المشى وتظهر بذلك طبقة جديدة من أحجار الكسوة يبدأون فى صقلها هى الأخرى . ولكى ينجز العمل بسرعة أكبر فمن المحتمل ألا تجرى عملية تخفيض المنزلق والجسر تدريجاً ، بل فى طبقات يبلغ ارتفاع كل منها بضعة أقدام ، حتى يمكن إقامة سقالات من الخشب بدلاً منها ، وبهذا يستطيع استخدام عدد كبير من العمال يعملون على مناسيب مختلفة فى وقت واحد . ومن المؤكد أن السقالات كانت معروفة لقدماء المصريين ، وقد اقتصدوا وقتاً طويلاً باستعمالها عندما صقلوا ما تبلغ مساحته خمسة أفدنة من أحجار الكسوة على كل وجه من أوجه الهرم الأكبر . وعندما تتم كل هذه العملية يطلق سراح عمال البناء ، وتصبح الأرض مهيأة لإقامة المعبد الجنائزى ومبنى الوادى ، وما من شك فى أنهم كانوا قد وضعوا أساسات بعضها قبل أن يبدأوا فى تشييد الهرم نفسه .

ولم يأت بعد ذكر الطريقة التى استخدموها فى بناء الممرات والحجرات بالهرم ، فمن جهة يتشابه العمل مع بناء الكسوات الداخلية لأن كلتا العمليتين تستلزم تركيب الأحجار بدقة فى وسط بناء من أحجار خشنة ، إلا أنه لما كانت الممرات والحجرات لا تشغل إلا جزءاً صغيراً من الهرم كله فربما بنيت فى الغالب دون ارتباط بباقى العمل ، فتمتص منزلاقات إضافية يمكن فكها فى ساعات قليلة فى أية مرحلة مناسبة حتى يمكن رفع الكتل الى منسوب أعلى بكثير من منسوب المدمك الجنائزى تركيبه . وبهذه الطريقة يصبح لدى العمال متسع من الوقت

يستطيعون فيه تكملة عملهم فى الأجزاء الداخلية للهرم قبل أن ترفع المداميك المحيطة بقلب البناء الى علو يتحتم فيه تسقيف المر والحجرات، وبعد ذلك لا يكون الوصول الى الأجزاء الداخلية مستطاعا الا عندما يزال جسر المشى أو منزلق التموين الذى يغطى الواجهة الشمالية للهرم الى منسوب المدخل .

وكان من الممكن تسهيل العمل باعداد الأحجار قبل أن يطلبها البناء ، ونحن نعرف مثلا أنهم أعدوا كتل السقف بحجرة الملك فى الهرم الأكبر ووضعوها الى جانب بعضها على الأرض ورقمت لى يستطيعوا تركيبها ثانية دون تأخير عندما تؤخذ الى مكانها النهائى ، وأدخل التابوت والسقاقات وكتل السدادات فى الهرم الأكبر فقط قبل أن تبنى جدران حجرة الدفن ، كما أتموا أيضا قبل ذلك الشقوق والدھليز التى كانت مهياة لوضعها فيها .

وأرى أنه من الضرورى أن أنكر أن ما ذكرته فى هذا الكتاب خاصا بالطريقة التى أعتقد أن قدماء المصريين اتبعوها فى بناء الأهرام تختلف فى كثير من النقط الهامة مع وجهات النظر التى أعرب عنها بعض الاختصاصيين الذين يعتقد برأيهم (١) . والاختلاف الرئيسى هو فيها يختص بعدد وترتيب المنزلاقات ، وهى مشكلة لم يكشف حتى الآن عن الأدلة الكافية لاعطاء رأى نهائى فيها . وقد قرر بترى فى أحد أبحاثه عن هذا الموضوع اعتقاده بأن أحجار الكسوة فى الهرم الأكبر كانت تؤخذ الى مداميكها الخاصة بها وأوجهها الخارجية مصقولة من قبل ، وكانت توضع فى مكانها بتحريكها من الداخل ، أى أن الكسوة توضع أولا فى كل مدمك ثم يملأ وسط الهرم بعد ذلك . وبهذه الطريقة — كما يقول بترى — يلزم اقامة منزلق واحد فقط ، ويتم انجاز أوجه الهرم الثلاثة حال وضع أحجار كسوتها . وقد كتب بترى مدعما وجهة نظره : « هناك فرق بسيط فى الزاوية بين كتل الكسوة عند تلاحمها ، مما يثبت أن الأوجه لم تصقل منذ أن بنيت معا » (٢) .

وفى الحقيقة ليس هناك مبرر معقول للشك فى دقة ملاحظات بترى أو مطابقة استنتاجاته للطريقة التى اتبعوها لوضع الأحجار القلائل الباقية من الكسوة فى الهرم الأكبر ، ولكن استنتاجه العام بأن نفس الطريقة قد اتبعت عند وضع كل أحجار كسوة البناء ، محل اعتراض قوى . فجميع الأحجار التى يتحدث عنها موجودة فى المدمك

pl. II, pp. 33-39 (N. F. Wheeler, Pyramids and their Purpose in Antiquity, Vol. IX (1935), p. 172-4.

السفلى وتحتها أرضية ناعمة من أحجار طرة الجيرية تبرز الى خارج خط الهرم نحو قدمين ، وكان من المستحيل وضع هذه الأحجار من الجهة الخارجية دون اتلاف حافة الرصيف الذى كان المفروض أن يبقى ظاهرا ، وبالمثل كان من الأمور غير المرغوب فيها تسوية الحافة السفلية للأحجار بعد وضعها فى مكانها ، لأن سطح الرصيف فى مثل هذه الحالة يتشقق ويخدش .

وعلاوة على ذلك فإن هذه الأحجار بالذات — أى المدمك الأسفل من الكسوة — ربما وضعت قبل غيرها من أحجار قلب الهرم لكى تحدد حجم واتجاهات قاعدة الهرم ، وذلك لأنه يمكن عمل التعديلات البسيطة فى وضع الأحجار اذا ما كانت طليقة من الخلف والأمام ، وان أى خطأ عند بناء القاعدة يسبب الخطأ فى الأثر كله وربما أخل بنظام شكله .

ولو أن بترى أوضح أن كتل الكسوة — فى أى منسوب مرتفع غير المدمك السفلى فى أى هرم — كانت توضع بزاوية بالنسبة لبعضها البعض لأصبحت حجته أقوى ، زد على ذلك أن الدليل على استعمال طريقة وضع أحجار الكسوة من الأمام راجع الكسوة . ولو درسنا بعض المباني التى يتم العمل فيها لرأينا أن تلك الطريقة هى التى اتبعتها البناؤون المصريون منذ بدء استعمال الأحجار الكبيرة فى البناء الى آخر أيامهم ، ولدينا مثل فى أحد الأهرام وهو هرم منكورع ، حيث نجد أن الحجر الجيرى الذى استعمل لكساء الجزء الأعلى كان تام الصقل ، ولكن أحجار الجرانيت التى تكسو الأجزاء السفلى ترك جزء منها خشنا ، وبذا تحددت النقطة التى وقف عندها العمل قبل أوانه . وان وضع الأحجار من الأمام يستلزم ترك الأوجه الخارجية للأحجار فى حالة خشنة حتى توضع فى مكانها ، واقامة الجسور أمام الوجه الخارجى من المدمك السابق وضعه والذى أصبح داخلا فى بناء الهرم ، وكذلك اقامة الجسور أمام الوجوه الأربعة للهرم .

وهناك رأى آخر عن بناء الأهرام قاله ريتشارد ليسوس ، وذلك أن حجبها كان يتوقف على طول حكم صاحبها ، وتلك هى النظرية المعروفة باسم « نظرية التزايد » . ولا شك أن بعض الأهرام — وخاصة هرم زوسر المدرج وهرم ميدوم — حدثت فيها زيادات متتالية ، ونعرف كذلك أن كلا من الهرم الأكبر وهرم منكورع حدثت فى مبانيه الداخلية تغييرات أثناء العمل فى التشييد ، ولكن التغييرات فى التصميم الأسمى كانت على أى حال نادرة الحدوث . ولو كان لطول

الحكم علاقة مباشرة بحجم الهرم لتوقعنا من بيبي الثاني — الذى اعتلى العرش حوالى أربع وتسعين سنة — أن يبنى هرما يبلغ حجمه أضعاف هرم منكاورع الذى حكم مدة ثمانية عشر عاما فقط ، أو لفشل خوفو — الذى حكم نحو ثلاثة وعشرين عاما — فى بناء هرم مساو لهرم أوناس الذى يعتقد أنه حكم مدة ثلاثين عاما . فواضح إذن أن طول حكم الملك لا يمكن أن يؤثر على حجم الهرم ، أما الاعتبارات الفعالة فهى رغبة الملك الشخصية ووسطوته والاعتقادات الدينية السائدة فى عصره .

وازاء كل هذه العوامل المجهولة وغير الثابتة ، فمن العبث التضمين فيها يتعلق بعدد العمال اللزمين لبناء هرم من الأهرام الضخمة أو المدة التى يستغرقها العمل . وأى تقدير يبنى على الحقائق الميسورة لنا حتى الآن لا يمكن أن يكون دقيقا ، بل لا يمكن إلا أن يكون تقريبا . ويقول هيرودوت أنه قد أخبر أن بناء الهرم الأكبر قد استغرق عشرين عاما ، وأن عمالا يبلغ عددهم مائة ألف رجل كانوا يشتغلون « لمدة ثلاثة أشهر » فى نقل الأحجار من المحاجر الى الهرم (١) . ويبدو أن هيرودوت أراد أن يفهم قراءه أن العدد الكلى للعمال كان ١٠٠.٠٠٠ رجل سنويا ، أى أربع مجموعات منفصلة كل منها ١٠.٠٠٠ رجل ، وكل مجموعة تعمل لمدة ثلاثة أشهر فى السنة . إلا أن مثل هذا العدد كان أكثر من اللازم ، ويمكننا التأكد من ذلك بعملية حسابية بسيطة ، فإذا كان المجموع المقدر لعدد الكتل فى الهرم وهو ٢٣٠.٠٠٠ كتلة صحيحا الى حد ما ، فإن متوسط عدد الكتل اللازم نقلها فى كل سنة من العشرين سنة يكون ١١.٥٠٠ كتلة . وكان متوسط وزن كل كتلة يبلغ نحو ٢ طن ، وهو وزن يعتقد بترى أنه كان فى استطاعة جماعة مكونة من ثمانية رجال أن تنقله (٢) . والفرض أن بترى كان على حق ، وأن مائة ألف رجل فقط كانوا يشتغلون فى كل سنة ، فإذن كان يطلب من كل جماعة نقل عشر كتل فى اثنى عشر أسبوعا . . ومثل هذا العمل كان بكل تأكيد فى مقدور مثل هذه الجماعة لو أن المسافة المراد قطعها لم تكن طويلة جدا ، حتى فى حالة كتل تلب البناء . وعلاوة على ذلك — كما قال بترى — كان العمل يجرى أثناء موسم الفيضان ، أى بين آخر يوليه وآخر أكتوبر ، وهو الوقت الذى تزرع الأرض فيه ويكون معظم الأهالى بلا عمل .

Herodotus, II, 124.

(١)

Petrie, The Pyramids and Temples of Gizeh, p. 210.

(٢)

ولا يخامرنا الشك في أن عمالا آخرين كانوا يشتغلون في بناء الهرم، علاوة على المائة ألف رجل الذين كان يؤتى بهم سنويا لنقل الكتل إلى الهرم الأكبر ، وهؤلاء الرجال هم البنّاؤون المهرة ومن معهم من العمال الذين كانوا يعملون بصفة مستمرة طوال السنة لتجهيز ووضع الكتل وإقامة أو هدم المنزلات وجسور المشى ، وكانوا يسكنون في مبان وجدوها بترى غرب هرم خفرع . وبناء على تقدير بترى كان حوالى ٤٠٠٠ رجل يقطنون في هذه التكنات ، أى أن هذا العدد يمثل المجموع الكلى للعمال الدائمين ، وكانت شظايا الأحجار التى يطرحها الحجارون تلقى على جوانب سفوح التلال شمال الهرم وجنوبه . وكتب بترى عن كمية الرديم فقال أن حجسها ربما ساوى أكثر من نصف حجم الهرم (١) .

وعثر في هرم ميدوم على بعض أحجار عليها تواريخ ملكية كان أعلاها « سنة ١٧ » ، وهى تشير إلى حكم سنفرى كما هو المفروض . إلا أنه في أثناء حكم ذلك الملك تغيرت كيفية حساب سنى الحكم من الطريقة القديمة التى كان الملوك بمقتضاها يحسبون حكمهم على أساس التعداد الذى كان يعمل كل سنتين لحصر ممتلكاتهم . . إلى احصاء يعمل كل سنة ، وعلى هذا ربما كانت « سنة ١٧ » تحتوى على عدد من سنى الاحصاء (كل منها مكون من سنتين تقويميتين) وبعض سنتين فردية ، إذ أننا لا نعرف عدد كل نوع منها على حدة . وحتى لو أمكن معرفة التركيب المضبوط للتاريخ على وجه التحديد ، فلا بد من معرفتنا في أية سنة من حكم الملك بدأ العمل في الهرم ليتمكن حساب المدة التى استغرقها بناؤه .

ولا شك أن حصولنا على المعلومات الخاصة بهذه المسائل — أى الطرق التى استخدمها بناء الأهرام ، وعدد العمال الذين استخدموهم ، والوقت الذى استغرقه العمل — يلقي ضوءاً على التقدم الصناعى فى العصور القديمة ، ولكن ذلك لا يعطينا الجواب عن سؤال أهم ، وهو : لماذا اختار قدماء المصريين بناء مقابرهم على هيئة الهرم ؟ على أنه — قبل محاولة الإجابة على هذا السؤال — يحسن أن نناقش أصل كلمة « الهرم Pyramid » . ففى اللغة المصرية القديمة كانت تطلق كلمة مر (m(e)r) على هذا النوع من المقابر ، ولكن هذا الاسم لا ينطوى مطلقاً على أى معنى وصفى . وترجع كلمة Pyramid فى أصلها إلى الكلمة اليونانية « Pyramis » وجمعها « Pyramides » التى كثيراً

ما حاول الباحثون معرفة الأصل المصرى التى اشتقت منه ، ولكن دون جدوى .

وهناك تعبير هندسى ينطق : بر. ام. أس Per-em-us (أى الذى يخرج رأساً من ال أس Us ، وهى كلمة ليس لها معنى محدد) . وتكتب هذه الكلمة فى الهيروغليفية بحروف ساكنة ويقصد منها الارتفاع الرأسى للهرم فى أحد الأبحاث الرياضية (١) . ولكى نقول أن « Pyramis » مشتقة من Per-em-us يجب أن نفرض أن الاغريق إما أنهم أخطأوا فى فهم التعبير المصرى ، أو أنهم — لأسباب غير معروفة — أسموا الكل باسم الجزء على سبيل المجاز . ونظراً لعدم وجود أى تفسير مقنع ، يبدو من الأفضل أن تعتبر Pyramis كلمة اغريقية أصيلة غير مشتقة من لفظ مصرى .

وتوجد كلمة مشابهة تماماً معناها « كعكة من القمح » ، وقد قال البعض بأن الاغريق استعملوا هذه الكلمة على سبيل الفكاهة للتعبير عن تلك الآثار المصرية (٢) ، لأنها عندما ترى من بعيد تشبه الكعك الكبير . ومن هذا القبيل كلمة obeliskos ، فهى — علاوة على أن معناها مسلة — لها معنى آخر وهو « بصقة بسيطة » أو « سيخ » ، وهذا مثل آخر للطريقة التى طبقها الاغريق فى تسمية الأشياء التى لا يوجد لها شبيه فى بلادهم ، فبدلاً من أن يستعبروا لها كلمة أجنبية يجتهدون فى أن يطلقوا عليها وصفاً فكاهياً بلغتهم .

ويعتقد بورخارت أن الهرم الكامل تطور من الهرم المدرج بنفس الطريقة التى تطور بها الهرم المدرج بدوره من المصطبة (٣) ، والدليل الواضح على هذا التطور فى الحالة الثانية هرم زوسر المدرج ، حيث يمكن رؤية طرف المصطبة الأصلية فى الواجهة الجنوبية ، وفى الحالة الأولى هرم ميدوم ، حيث تحول من بناء مدرج الى هرم كامل ، يملأ الدرجات بالبناء لى تصبح الجوانب مائلة بزاوية واحدة مستمرة من القمة الى القاعدة . وما من شك فى أن الأثرين المذكورين قد حدثت فيهما التحول المنسوب اليهما ، ولكن قبل أن نستطيع الادعاء بأن الشكل الأخير كان مجرد تطور أملت له الدوافع الفنية يجب أن نبين

The Rhind Mathematic Papyrus in the British Museum (١)

بردية ريند فى المتحف البريطانى .

W. G. Waddell, Herodotus, II, p. 139.

(٢)

E. Borchardt, Die Entelenbung der Pyramiden (Berlin) 1928). (٣)

إن الأثر في هيئته النهائية كان أول مثل معروف من نوعه . ولكن مثل هذا القول لا يمكن التقدم به الآن عن الهرم المدرج ، لأن و . ب . إمري (W. B. Emery) قد عثر حديثا في سقارة على مقبرة من الطوب اللبن من نوع متدرج يرجع تاريخها إلى الأسرة الأولى (١) .

كما أن ما قيل بشأن هرم ميدوم لا يمكن أن يكون قائما على أساس متين . ومع أن الهرم المنحني أصبح منبعج الشكل في النهاية ، إلا أنه كان قد صمم على أنه هرم كامل . ولكن التغيير حدث عندما وصلوا إلى منتصف بنائه ، وذلك إما ليسرعوا في إتمامه أو لأن بنائيه غير المدربين خافوا من أن ميله الشديد الانحدار قد يودي بالبناء كله (٢) . ولا يعلم من هو صاحبه على وجه التحقيق ، ولكن هناك أسبابا قوية تدفعنا للاعتقاد بأن هذا الهرم قد بنى قبل هرم ميدوم ، أو على الأقل قبل أن يتخذ شكله النهائي . فمثلا نجد أن ميل أحجار كسوته إلى الداخل مطابق لميل أحجار كسوة الهرم المدرج ، ومن جهة أخرى نجد أن أحجار كسوة هرم ميدوم الخارجية وضعت مسطحة وتتفق في هذه الناحية مع الأهرام التي تلت هرم دهشور .

وأغلب الظن أن هرم ميدوم هو نقطة الانتقال من طريقة البناء القديمة إلى طريقة البناء الحديثة ، لأن الطبقات الداخلية من أحجار الكسوة وضعت في مداميك مائلة .

فإذا سلمنا بأن الهرم المنحني كان قد صمم في الأصل كهرم كامل ، وأنه بنى قبل هرم ميدوم ، فإن تفسير الشكل الهرمي يجب أن نبحث عنه في مكان آخر بعيدا عن محيط التطور المعماري . ولكن تنشأ أمامنا مشكلة أخرى ، لأننا في حاجة لمعرفة سبب الرجوع إلى طراز الهرم المدرج في ميدوم (كما وضعوا تصميمه الأول) بعد أن أدخل بناؤو الهرم المنحني شكل الهرم الكامل ، وستقدم فرضا محتملا لهذه المشكلة الثانية في مكان آخر من هذا الفصل .

(١) W. B. Emery, «A Preliminary Report on Architecture of the Tomb of Nebetka» in *Annales du Service des Antiquités*, VII, XXXVIII (1938), pp. 455-9.

ونذكر ريزنر في كتابه (Tomb Development, p. 112) أن الهرم في زاوية العريان بنى في الأسرة الثانية ، ولكن ما قدمه من أدلة ليس مقنعا .

(٢) ربما لم يكن من الأمور العارضة أن رفقة في دهشور - وهو ثاني هرم كامل - قد بنى بنفس الزاوية التي بنى بها الجزء الأعلى من الهرم المقبي .

وقد جاء في كتابات ج. هـ. برستد عن أهمية الهرم أن « الشكل الهرمى لمقبرة الملك كان له أعظم معنى مقدس ، فكان الملك يدفعن تحت رمز اله الشمس الذى كان فى قدس الأقداس فى معبد الشمس فى هليوبوليس ، وهو الرمز الذى اعتاد منذ اليوم الذى خلق فيه الآلهة أن يظهر نفسه على هيئة طائر الفونكس (العنقاء) . وعندما كان الهرم يرتفع كالجبل فوق ضريح الملك مشرفاً على المدينة الملكية التى كانت تحته ، وعلى الوادى ، وكان الناس يرونه من مسافة أميال عديدة ، كان هو أعلى المباني التى تحيى اله الشمس فى جميع أنحاء البلاد ، وكانت أشعة الشمس فى الصباح تتلألأ على قمته قبل أن تنتشر فى الوادى الذى تحته وفى مساكن الأشخاص الذين هم دونه فى الجاه والذين لم يكتب لهم الخلود » (١) .

فإذا كان الهرم — كما اعتقد برستد — صورة مكبرة لرمز الشمس المحفوظ فى معبد هليوبولس ، ترتب على ذلك أن هذا الرمز ربما كان حجراً على شكل هرمى . ولكن ما الذى كان يمثله هذا الحجر ؟ ليس أمامنا إلا جواب واحد ، وهو أنه يمثل أشعة الشمس وهى تنزل على الأرض . فكثيراً ما نرى منظرًا تنتشر له النفس بعد ظهر يوم كثير السحاب من أيام الشتاء فى منطقة الجيزة ، عندما نقف فى الطريق الموصل الى سقارة وننظر جهة الغرب نحو الهضبة التى تقوم فوقها الأهرام ، اذ تنفذ أشعة الشمس الى أسفل من خلال فرجة بين السحب فى زاوية تقارب الزاوية التى تميل بها أضلاع الهرم الأكبر . وإن الأثر الذى يتركه مثل هذا المنظر فى النفس هو أن كلا من الأصل غير العادى والصورة المادية يقومان فى هذا المكان جنباً الى جنب (٢) .

ولكن هل من الضرورى أن نظن — كما ظن برستد — أن الهرم كان يقصد به مجرد صورة من الرمز الشمسى فى معبد هليوبوليس ؟ ليس من الممكن أيضاً أن يكون له معنى آخر ؟ فكثيراً ما نقرأ فى متون الأهرام وصفاً للملك وهو يصعد الى السماء على أشعة الشمس ،

(١) H. Breasted, The Development of Religion and Thoughts in Egypt.

(٢) ولاحظ ألكسندر موريه (Alexandre Moret) فى كتابه (Le Nil) ص ٢٠٢ الملاحظة الآتية : « أن هذه المثلثات العظيمة المكونة لجوانب الهرم تبدو مثل أشعة الشمس اذ تسقط من السماء عندما تعجب العاصفة قرصها فتنفذ من خلال السحب . كأننا ننزل سلماً من الأشعة نحو الأرض » .

مبهلا نقرأ فى المتن رقم ٥٠٨ : « لقد وطئت أشعتك هذه كأنها منزلق
تحت أقدامى عندما صعدت الى أمى ، الصل الحى على جبين رع » ،
ونقرأ ثانيا فى المتن رقم ٥٢٣ : « لقد قوت السماء لك أشعة الشمس
لكى تستطيع أن ترفع نفسك نحو السماء مثل عين رع » .

ومن هذا نرى أن فكرة اعتبار الهرم انه الوسيلة التى يستطيع
الملك المتوفى أن يصعد بها الى السماء فكرة مغرية لا يمكن مقاومتها ،
اذ ان هذا التفسير يجعل من بناء الهرم غرضا ماديا محضا ويتفق مع
العناصر الأخرى فى المجموعات الجنائزية للملك .

زد على ذلك أن الهرم لا يصبح فى هذه الحالة التمثيل المسادى
الوحيد لشيء لا يمكن الاحاطة به أو لمسه بين الأثاث الجنائزى والمعدات
الخاصة بالملك . فالمراكب الخشبية التى كانت توضع على مقربة من
الهرم فى حفرات يكسون جدرانها من الداخل بأحجار جيرية من طرة ،
لم تكن الا مثلة للمراكب غير العادية التى يستخدمها الملك فى سفره
عبر السماء فى صحبة اله الشمس .

ان الفكرة التى تقوم عليها كل حالة من الحالتين هى مبدأ حلول
شيء مكان آخر ، أى نموذج منه ، سواء أكان تمثالا حجريا لشخص
أو منظرًا منقوشا على الحجر ، فان ذلك فى اعتقادهم يملك كل المزايا
التي للشيء الحقيقى الذى تمثله .


ولم يكن للحجم أى أهمية أساسية فى صلاحية الشيء البديل ، وربما
كان ذلك هو السبب فى التدهور السريع فى حجم الهرم بعد أيام خوف
وخفرع .


ولنلق الآن نظرة جديدة على الكلمة المصرية التى تعنى الهرم و
ضوء هذه النظرية الجديدة ، فلعلنا نجد لها معنى لم نلاحظه حتى الآن .
لقد كان المصريون يطلقون على الأجزاء المختلفة من معابدهم وغيرها
من الأماكن الدينية أسماء تدل على وظائفها ، فالمبنى الذى كان فى معبد
هيليوبوليس والذى كانوا يضعون فيه الرمز الشمسى المسمى بالمصرية
« بن — بن » كانوا يسمونه « بيت البن — بن » ، وكانوا يسمون
المقبرة — كما ذكرنا — « حصن الأبدية » . وكذلك أطلقوا على بعض
أجزاء من المجموعة الهرمية أسماء تدل عليها ، فالطريق الجنائزى كان
اسمه « طريق السحب » (را — ستا) ومعنى الكلمة أنه الطريق


الذى تسحب عليه الزحافات التى تحمل جسد الملك المتوفى وما معه من أشياء خاصة به . وكذلك الباب الوهمى فى المقدس كانوا يسمونه « مدخل البيت » (را - بر) وسموا المركب المقدس « السفينة الالهية » .

ومن الممكن ان تكون كلمة مر (= هرم) من قبيل هذا النوع من الأسماء ، اذا أمكننا أن نثبت أن هذا مكون من مقطعين أولهما « م » التى تأتى فى اللغة المصرية بمعنى مكان اذا وضعت فى المقدمة ، والمقطع الثانى « عر » ومعناها يصعد أو يذهب الى أعلى ، فيصبح معنى « مر » مكان الصعود . وسقوط حرف العين بعد حرف الميم فى أول الكلمة ليس بالشئ النادر فى اللغة المصرية فى تكوين الكلمات . على أننا لا نقول أن هذا رأى تحت أيدينا البرهان على صحته ، وإنما هو فى الواقع نتيجة لمناقشة سلبية . وعلى ذلك فإذا لم نحصل على دليل إيجابى عن اشتقاق كلمة « مر » فكل ما يمكننا قوله أن تفسيرها بأنها « مكان الصعود » أمر لا يتعارض مع القواعد اللغوية ، وملاءمتها للفكرة يجعلها أدنى الى أن تكون مقبولة .

وهناك نقطة أخرى هامة توحىها إلينا كتابه كلمة « عر » . فقد كان من عادة المصريين فى كتابتهم أن يضيفوا علامة المخصص الى آخر الكلمة . وهذه المخصصات ليست الا علامات بمعانى الكلمات يضعونها فى آخرها . وكانت الكلمات المصرية مكونة من حروف سائلة ، لأنهم لم يكتبوا حروف العلة .

والمخصص الذى كتبوه بعد كلمة « عر » هو  الذى فسر على أنه سلم مزدوج ، ولكن من الممكن أيضا اعتبار أنه يمثل هرما مدرجا ، فقد كان من عادة المصريين عند رسم شئ أن يصوره سواء من الجانب أو من الأمام ويوضحوا منظره كله ، لأن رسم ثلاثة أرباع الشئ أمر لم يعرفه المصريون .

وعلى ذلك فمخصص كلمة « مر » كان يكتب دائما  وهو

المنظر الأمامى لهرم كامل يحيط به سور مستطيل . فإذا كانت  تمثل هرما مدرجا فإنها تكون المخصص الذى اختاروه لكلمة « عر » ، لأن الأهرام المدرجة كانت وثيقة الصلة بفكرة الصعود ، ونرى فى المتن ٢٧٦ من متون الأهرام بعض ما يفسر لنا هذا الموضوع : « لقد وضع لأجله (أى الملك) سلم للسما ليصعد به الى السماء » ، وتكررت الفكرة ذاتها فى متن ٦١٩ ، وعلى ذلك يمكن تقديم تفسير واحد لكل

من شكلى الأهرام ، أما اختلاف شكليهما فيرجع الى أن لكل منهما أصلاً نقل عنه .

ولم يكن المصريون هم وحدهم بين شعوب الشرق القديمة الذين يؤمنون بأنه يمكن الوصول الى السماء والى الآلهة بالصعود على بناء مرتفع ، اذ نرى هذا الاتجاه فى التفكير فى بلاد ما بين النهرين . وفى وسط أى مدينة فى آشور أو فى بابل كانت توجد منطقة مقدسة فيها المعبد وملحقاته وقصر الملك . وفى داخل حرم المعبد يقوم برج مرتفع مشيد بالطوب ، وهو المعروف باسم « الزقورة » . ويصف هيرودوت « زقورة بابل » — وهى التى يعتقد العلماء أنها أصل برج بابل المذكور فى التوراة — فيقول :

« وفى وسط الفناء قام برج متين البناء طوله ٢٢٠ ياردة (fuélong) وعرضه كذلك ، وبنوا فوقه برجاً آخر ، وبنوا فوق الثانى برجاً ثالثاً ، وهكذا حتى وصلوا الى الثامن . وكانوا يصعدون الى الأبراج العليا بواسطة سلم من الخارج يدور حول الأبراج ، وفوق البرج العلوى معبد فسيح ، وفى داخل المعبد سرير كبير مغطى بمفارش جميلة والى جانبه منضدة من الذهب .

ولا يوجد فى هذا المكان تمثال من أى نوع ، كما أن هذه الحجرة لا يشغلها أحد أثناء الليل اللهم الا امرأة من الإلهى يؤكد الكلدانيون كهنة الإله أن الإله اختارها لنفسه من بين جميع نساء البلاد . ويقولون أيضاً — ولكنى لا أصدق — أن الإله يأتى بنفسه الى هذه الحجرة وينام فوق السرير » (١) .

وكانت للزقورات أسماء ، شأنها فى ذلك شأن الأهرام ، فزقورة سبيار مثلاً كانت تسمى « بيت سلم السماء الساطعة » وهو اسم واضح الدلالة على أنهم كانوا يقصدون من هذا البناء أن يكون حلقة اتصال بين السماء والأرض . ولكن هذا التشابه بين البناءين لا ينطبق على موضوع الدفن ، لأن الزقورة لم تستخدم ابداً كقبر ، بينما كان كل هرم يقام لهذا الغرض .

ونظراً لقلة الأدلة المكتوبة فإن أية محاولة لمعرفة الأصلين التاريخى والدينى للأهرام تكون مفعمة بالتحمينات ، ولا يمكن أن نتوقع منها إلا نتائج غير حاسمة .

ومع ذلك فإن هذه المعضلة من المعضلات التي يجب أن نواجهها دائماً عندما نحاول من دراستنا للمخلفات الأثرية أن نكون في أذهاننا صورة عما كان يحدث في الماضي البعيد .

ويشبه هذا العمل من وجوه كثيرة حل لغز من الألغاز التي تستخدم فيها القطع الخشبية الصغيرة المكملة لبعضها ، ففي مثل تلك اللعبة يمكن تجميع أجزاء مختلفة من المنظر يوافق بعضها البعض قبل أن نعثر على القطع التي تربط بعض هذه الأجزاء ببعض ، وكم من مرة يحدث عند العثور على قطعة من القطع أن يغير الشخص رايه الذي كان قد بدأ يكونه عن الفكرة العامة للمنظر كله أو صلة الأجزاء المختلفة ببعضها .

وفي تفسيرنا لمعضلات الآثار فإن الفكرة العامة للغز نحصل عليها من حوادث معينة نعرف تواريخها على وجه التقريب ، ولكن تظل بينها فجوات كبيرة نحاول ملأها فلا نجد ما نملؤها به الا حقائق ثابتة حيناً ومجرد تخمينات في حين آخر . وعندما تسفر الحفائر الأثرية أو الأبحاث العلمية عن معلومات جديدة تعطى تفسيرات جديدة لأشياء كانت معروفة على وجه آخر ، فإننا نبادر الى ملء بعض الفجوات ، ولكن كثيراً ما يحدث عندما نشرع في ذلك أن نرى أن كثيراً من الأماكن قد ملئت خطأ فنضطر الى تصحيح الأوضاع من جديد .

فاذا طبقنا هذا التشبيه على المقابر الملكية المبكرة ، فإن القطع الرئيسية الثلاث في هذا اللغز هي المصطبة والهرم المدرج والهرم الكامل ، والمعضلة هي أن نحاول ملء الفجوات التي تفصل هذه القطع الثلاث .

فبين المصطبة والنوعين الآخرين من الأهرام فجوة واسعة ، فأولاهما تمثل القصر الملكي ، وفي هذا دلالة على أن الحياة بعد الموت لا يمكن أن تكون في أى مكان آخر غير المقبرة ، أما الأخيران فيدلان على توقع الوصول الى المناطق السماوية .

ولسنا نعرف على وجه التأكيد التاريخ الذي حدث فيه تغيير شكل القبر ، ولكن هذا التاريخ يجب أن يكون محصوراً بين منتصف الأسرة الأولى وبداية الأسرة الثالثة . فاذا سلمنا بأن كلا من « عا » و « جر » دفن في المقبرة المنسوبة اليه في سقارة ، فلا بد أن كلا

منهما دفن في مصطبة .. ولكن زوسر بنى هرما مدرجا ، فهل كان هذا التغيير في طراز القبر راجعا الى تغيير في العقيدة ؟

فإذا كان الأمر كذلك فإن المصريين يكونون قد بدأوا يمزجون بين العقيدتين في عهد زوسر ، لأنه — علاوة على هرمه — نراه قد بنى لنفسه « المصطبة الجنوبية » لتكون على ما يظهر مقبرا رمزيا له .

ولسنا نعرف أن كان قد صاحب هذا المزج في العقائد نزاع ديني مرير أو أنه تطور تطورا سلميا . ولكن منذ الوقت الذي تم فيه هذا المزج عاشت العقيدتان جنباً الى جنب في صفاء ، وأراد الملوك أن يقسموا حياتهم الأخرى بين القبر وبين المناطق السماوية .

ومما يدعو الى الأسف أن الهرم ذا الطبقات والهرم الناقص — وكلاهما في زاوية العريان — قد عدا عليهما الزمن ، ثم هما في الوقت ذاته لم يتم العمل فيهما ، وعلى ذلك فلا يمكن أن نعرف منهما أكثر من أن بعض ملوك الأسرتين الثانية والثالثة — غير الملك زوسر — بنوا أهراما مدرجة . ولا يوجد على الإطلاق ما يثبت أنهم بنوا — أو عزموا على بناء — مصطبات اضافية .

والى أن نعرف صاحب الهرم المنحني لا يمكننا البحث في أمره ، ولكن لا يوجد في معالمه المعمارية ما يدل على أن تاريخه بعد تاريخ هرم ميدوم . لقد بنى سنفرو هرمين أحدهما في ميدوم والآخر في دهشور ، وتم بناء أولهما كهرم مدرج قبل أن يحولوه الى هرم كامل ، وعلى ذلك يتضح لنا أن غرض سنفرو الأصلي هو أن يكون له هرم من كلا النوعين ، وبذلك يكون له مدفن من الطراز القديم وآخر من الطراز الحديث (١) .

وهنا تظهر المشكلة مرة ثانية ، ونسأل عما إذا كان تغيير شكل الهرم من مدرج الى كامل قد تم دون حدوث احتكاك ، لأن الحوادث التي حدثت بعد ذلك تشير الى أن هذا الانتقال لم يكن سهلا .

وتقع ميدوم على بعد ٢٨ ميلا من دهشور ، ولا بد أنه كان هناك سبب لوضع إحدى المقبرتين بعيدة عن الأخرى بهذه المسافة . فهل

(١) لم يعد لهذه التخمينات محل بعد أن ثبت أن هرمي سنفرو هما هرما دهشور ، القبلى (المنحني) والبحرى — (العرب) .

كان سنفرو يخشى من حدوث احتكاك بين كهنة هرمه المدرج (في ميدوم)
وكهنة هرمه الكامل ؟

ان تغيير هرم ميدوم لكى يصبح فى النهاية هرمًا كاملاً ربما أوجبه
تأكد الملك من أنه لا يمكن التوفيق بين الكهنة من الفريقين ، ومعرفته
بالأخطار التى تصيبه فى الحياة الأخرى نتيجة لتنافسهما وحرص كل
منهما على أن يكون الحارس لجسده . فلما أتم سنفرو تحويل هرم
ميدوم الى هرم كامل بدلاً من هرمه ، أصبح مالكا لقبر رمزى ينفعه
فى حالة حدوث أى ضرر لقبره فى دهشور ، وبذلك أعطانا البرهان
القاطع على تدهور شأن عقيدة الهرم المدرج .

وبعد أن انتصرت العقيدة الجديدة واستتب لها الأمر ، بنى خوفو
أعظم الأهرام الكاملة حجماً وأكملها من الناحية المعمارية والذى يعد بحق
من عجائب الدنيا النادرة وليس من بين عجائب الدنيا السبع وحسب .
وهرم خفرع الذى يقوم الى جانبه لا يقل عنه الا قليلاً . ومن هذا
نرى أن مؤازرة الملوك للعقيدة الجديدة تدرجت من الأب الى الابن
دون حدوث شىء .

ولكننا نعرف أن « ددف رع » — وهو ابن لخوفو من زوجة فى
المرتبة الثانية — جلس على العرش بين خوفو وخفرع . وهناك
ملاحظتان بشأن قبر هذا الملك ، الأولى أنه لم يبن هرمه فى الجيزة
حيث يوجد مكان متسع لهذا القبر بل بناه فى أبى رواش على مسافة
خمسة أميال ، والثانية أن بناءه السفلى كان يختلف عن أى هرم بنى
بعد الهرم الناقص فى زاوية العريان وهرم زوسر المدرج . فهل أراد
ددف رع فى البداية أن يبنى هرمًا مدرجًا ليكافئ كهنة هذه العقيدة
الذين ساعدوه فى تولى الملك ؟ لا جواب على هذا السؤال ، لأنه
لا يكاد يوجد حجر واحد باق فى مكانه فى المبنى العلوى ، كما أنه من
الممكن أن يكون تصميم البناء السفلى قد أملتة طبيعة الصخر فى
أبى رواش .

وبعد ددف رع لا يوجد الا ملك واحد فى الدولة القديمة أعرض
عن الهرم الكامل ، وهو شيبسسكاف . وأسهل تفسير لهذا النكوص
هو أن الذى أُملى عليه ذلك هو رغبته فى الخروج على النفوذ الطاغى
المتزايد لكهنة اله الشمس فى هليوبولس ، واعتقاده بأن المصطبة
يمكن أن تؤدى جميع مطالب الحياة الأخرى غير السماوية .

تبعته زوجته خنت كاوس فبنت قبرها أيضا على شكل مصطبة على مقربة من مبنى الوادى التابع لأبيها منكاورع ، ولكن قبل أن توارى التراب أخذ نجم عقيدة كهنة الشمس في الارتناع ، وأصبح لها النصر الكامل عندها تأسست الأسرة الخامسة .

وربما جعلت سنوات النزاع أولئك الكهنة يتخذون موقفا أكثر مسالمة ومحبة للتوفيق ، لأن متون الأهرام تبين لنا أنه لم تات نهاية الأسرة الخامسة حتى نرى أن جميع المذاهب التى كانت معروفة من قبل عن الحياة الأخرى قد جمعت معا دون نظر الى ما فيها من متناقضات .

ولم يحدث تغيير جوهرى فى بناء الهرم فى الأسرة السادسة . ومن هذا الوقت استمر المصريون فى تشييد الأهرام ، على أنه من المشكوك فيه أن يكونوا قد جعلوا لها أى معنى خاص أكثر من أنها الطراز المعتاد للقبر الملكى .

حاشية : فى الوقت الذى كان فيه هذا الكتاب تحت الطبع ، ظهر فى الصحف (١) تقرير بأن عبد السلام حسين القائم بعمل حفائر فى دهشور لحساب مصلحة الآثار المصرية ، قد عثر فى الهرم المنحنى على بعض أحجار عليها اسم سنفرو . ويجب أن ننتظر تقريراً كاملاً عن هذا الاكتشاف ينشره المكتشف نفسه لنعرف أهميته ، وعلى أى حال فقد جاء الدليل الآن على أن هذا الهرم يخص سنفرو وليس حونى (Huni) سلفه ، فإذا كان هرم ميدوم هو هرم سنفرو الثانى . — كما يبدو على الأرجح — فإن الهرم الحجرى الشمالى فى دهشور يجب أن يكون الملك آخر نتوقع أن تكشف عن حقيقته الحفائر فى المستقبل (١) .

(١) قد ثبت أن هرم دهشور البحرى هو هرم سنفرو الثانى — (العرب) .
(٢) Illustrated London News, 22nd March and 5th April 1947.

أهم أهرام الدولتين القديمة والوسطى

| اسم الملك | الأسرة | المنطقة | أبعاد القاعدة بالتقريب | اسم الهرم |
|---|---|--|--|--|
| زوسر (الهرم المدرج) | الثالثة سنة ٢٨١٥ ق م | سقارة | ٤١١ قدما شرق - غرب ٦٥٨ قدما شمال - جنوب ٦٧٦ قدما مربعا | — |
| خع - ياو (؟) (هرم الطبقات) نپ - كا (؟) (الهرم الناقص) حوتى (؟) (١) (الهرم المظلم) سنفرو (١) | الثالثة (؟) الثالثة (؟) الرابعة الرابعة الرابعة | زاوية العريان زاوية العريان دهشور ميدوم | — — ٦٢٠ قدما » ٤٧٣ قدما » | الهرم الجنوبي « سنفرو يلمع » الهرم « سنفرو يلمع » الهرم « خوفو هو المنتسب للالفق » — — الهرم « عظيم هو خفرع » الهرم « منكاورع الهى » الهرم « طاهرة هي اماكن اوسر كاف » الهرم « روح ساحورع تلمع » الهرم « أصبح نفر اير كارع روحا » الهرم « روح نفر اف رع الهية » الهرم « اماكن نف اوسر رع خالدة » الهرم « اسيسى جميل » الهرم « جميلة هو اماكن او ناس |
| سنفرو | ٢٦٩٠ ق م الرابعة | دهشور | ٧١٩ قدما » | الهرم « سنفرو يلمع » |
| خوفو (الهرم الاكبر) | الرابعة | الجيزة | ٧٥٦ قدما » | الهرم « خوفو هو المنتسب للالفق » |
| دندف رع خفرع | الرابعة الرابعة | أبو رواش الجيزة | ٣٢٠ قدما » ٧٠٨ قدما » | الهرم « عظيم هو خفرع » |
| منكاورع | الرابعة | الجيزة | ٣٥٦ قدما » | الهرم « منكاورع الهى » |
| اوسر كاف | الخامسة ٢٥٦٠ ق م | سقارة | ٢٣١ قدما مربعا | الهرم « طاهرة هي اماكن اوسر كاف » |
| ساحورع | الخامسة | أبو صير | ٢٥٧ قدما » | الهرم « روح ساحورع تلمع » |
| نفر اير كارع | الخامسة | أبو صير | ٣٦٠ قدما » | الهرم « أصبح نفر اير كارع روحا » |
| نفر اف رع | الخامسة | أبو صير (؟) | — | الهرم « روح نفر اف رع الهية » |
| نفي اوسر رع | الخامسة | أبو صير | ٢٧٤ قدما » | الهرم « اماكن نف اوسر رع خالدة » |
| اسيسى | الخامسة | سقارة | ٢٧٠ قدما » | الهرم « اسيسى جميل » |
| اوناس | الخامسة | سقارة | ٢٢٠ قدما » | الهرم « جميلة هو اماكن او ناس |

(١) أصبح من المؤكد الآن أن هرم ميدوم ينتمى للملك حوتى آخر ملوك الأسرة الثالثة .

| اسم الملك | الأسرة | المنطقة | أبعاد القاعدة بالتقريب | اسم الهرم |
|------------------------------|--|-----------------------|---------------------------|--|
| نبي | السادسة ٢٤٢٠ ق م | سقارة | ٢١٠ قدما » | الهرم « باقية هي |
| نبي الاول | السادسة | سقارة | ٢٥٠ قدما » | اماكن نيتي « الهرم « نيتي ثابت وجميل « |
| مر نرع | السادسة | سقارة | ٢٦٣ قدما » | الهرم « مر نرع يلمع وجميل « |
| نبي الثاني | السادسة | سقارة | ٢٤٥ قدما » | الهرم « نيتي يلمع وحى « |
| نبي | السادسة ٢٢٩٤ ق م | سقارة | ١٠٢ قدما » | — |
| نبي حبت رع سنخكارع ملتوحب | الحادية عشرة ٢١٣٢ ق م | الدير البحري | ٧٠ قدما مربعا | الهرم « فحمة هي اماكن نبي حبت رع « |
| المنحآت الاول | الحادية عشرة الثانية عشرة ١٩٠٠ ق م | طيبة الغربية اللشت | غير قام ٢٩٦ قدما » | الهرم « امنحآت عال وجميل « |
| سنوسرت الاول | الثانية عشرة | اللشت | ٣٥٢ قدما » | الهرم « ذو الصلة باماكن سنوسرت « |
| المنحآت الثاني | الثانية عشرة | دهشور | ٢٦٣ قدما » | — |
| سنوسرت الثاني | الثانية عشرة | اللاهون | ٣٤٧ قدما » | الهرم « سنوسرت قوى « |
| سنوسرت الثالث | الثانية عشرة | دهشور | ٣٥٠ قدما » | الهرم « سنوسرت في راحة « |
| المنحآت الثالث (؟) | الثانية عشرة | دهشور | ٣٤٢ قدما » | — |
| المنحآت الثالث | الثانية عشرة | هواره | ٣٣٤ قدما » | الهرم « اصبيح المنحآت روجاء |
| الملكة سبك نفرو | الثانية عشرة | مزنونة | — | — |
| المنحآت الرابع (؟) | الثانية عشرة | مزنونة | — | — |
| نخجر | الثانية عشرة | سقارة | — | — |
| | ١٧٧٧ ق م | | | |

بيليو جرافيسا

Introduction

- J. H. Breasted, *The Development of Religion and Thought in Ancient Egypt*. New York, 1912.
- E. DRIOTON and J. VANDIER, *Les peuples de l'Orient Méditerranéen (L'Egypte)*. Paris, 1938.
- W. B. Emery, *The Tomb of Hemaka*. Cairo, 1938.
- A. Erman, *A Handbook of Egyptian Religion* (English Translation by A. S. Griffith). London, 1907.
- A. ERMAN, *Die Religion der Agypter*. Berlin, 1934.
- A. H. GARDINER, *The Attitude of the Ancient Egyptians to Death and the Dead*. Cambridge, 1935.
- A. H. GARDINER, *The Contendings of Horus and Seth (The Chester Beatty Papyri, No 1)*. Oxford 1931.
- H. KEES, *Totenglauben und Jenseits Vorstellungen der alten-Agypter*. Leipzig, 1926.
- M. MEUNIER, *Plutarque, Isis et Osiris*, Paris, 1924.
- K. SETHE, *Übersetzung und Kommentar zu den altägyptischen Pyramidentexten*, Glückstadt.
- K. SETHE, *Urgeschichte und älteste Religion der Agypter* Leipzig, 1930.
- J. W. S. SEWELL, *The Calendars and Chronology*, in S.R.K. Glanville, *The Legacy of Egypt*. Oxford, 1942:
- G. STEINDOFF, and K. BAEDERKER, *Guide to Egypt and the Sudan* (8th edition). Leipzig, 1929.
- J. VANDIER, *La religion égyptienne*, Paris, 1924.

CHAPTER 1

- N. de G. DAVIES, *The Mastaba of Ptahhetep and Akhethetep*. London, 1900-01.
- P. DUELL, *The Mastaba of Mereruka*, Chicago, 1938.
- W. B. EMERY, *The Tomb of Hor-Aha*. Cairo, 1939.
- H. JUNKER, *Giza, Grabungen auf dem Friedhof des Alten Reiches bei den Pyramiden von Giza*, Vols. I — V. Vienne, 1929-41.

- J. E. QUIBELL, *The Tomb of Hesy*. Cairo, 1913.
- G. A. REISNER, *The Development of the Egyptian Tomb down to the Accession of Cheops*. Cambridge, Massachusetts, 1935.
- G. STEINDORFF, *Das Grab des Ti*, Leipzig, 1913.

CHAPTER II.

- E. DRIOTON and J.-P. LAUER, *Sakkarah, The Monuments of Zoser*. Cairo, 1939.
- C. M. FIRTH, J. E. QUIBELL and J.-P. LAUER, *The Step Pyramid*. Cairo, 1935.
- A. HERMANN, *Führer durch die Altertümer von Memphis und Sakkara*. Berlin, 1938.
- J. B. HURRY, *Imhotep*. Oxford, 1926.
- J.-P. LAUER, *La pyramide à degrés*, Cairo, 1936-39.
- G. A. WAINWRIGHT, *The Sky Religion in Egypt*. Cambridge, 1938.

CHAPTER III.

- A. BARSANTI, *Fouilles de Zaouiet el-Aryân (1984-06)*, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. VII, pp. 201-10. Cairo 1907.
- A. BRASANTI, *Ouverture de la pyramide de Zaouiet el-Aryan*, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. II, pp. 92-4. Cairo, 1901.
- 7. BORCHARDT, *Die Entstehung der Pyramide an der Baugeschichte der Pyramide bei Medum nachgewiesen*. Berlin, 1928.
- I. BORCHARDT, *Ein Königserlass aus Dahschur*, in *Zeitschrift für ägyptische Sprache*, Vol. XLII, pp. 1-11. Leipzig, 1905.
- F. L. L. GRIFFITH, *The Inscriptions of the Pyramid of Medum*, in W. M. F. Petrie, *Medum*. London, 1892.
- G. JÉQUIER, *Douze ans de fouilles dans la nécropole memphite*. Neuchâtel, 1940.
- G. JÉQUIER, *Rapport préliminaire sur les fouilles exécutées en 1924-5 dans la partie méridionale de la nécropole*.

- memphite, in *Annales du Services des Antiquités*, Vol. XXV, pp. 71-5. Cairo, 1925.
- G. MASPERO, and A. BARSANTI, Fouilles de Zaoutiét el-Aryan (1904-05), in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. VII, pp. 257-86, Cairo, 1906.
- CH. MAYSTRE, Les dates des pyramides des Snefrou, in *Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire*, Vol. XXXV, pp. 89-98, Cairo, 1935.
- W. M. F. PETRIE, A Season in Egypt, 1887. London, 1888.
- W. M. F. PETRIE, The Pyramids and Temples of Gizeh, London, 1883.
- W. M. F. PETRIE, E. MACKAY and G. A. WAINWRIGHT, Meydum and Memphis (III) .London, 1910.
- G. A. REISNER, op. cit.
- G. A. REISNER, and C. S. FISHER, The Work of the Harvard University Museum, in the *Bulletin of the Museum of Fine Arts*, No 54, Boston, 1911.
- A. Rowe, Excavations of the Eckley B. Coxe, Jé., Expedition at Meydum, Egypt, 1929-30, in the *Museum Journal*, Pennsylvania, March 1931.
- H. VYSE and J.D. PERRING, Operations carried on at the Pyramid of Gizeh. Lendno, 1940-42.

CHAPTER IV.

- J. BAIKIE, The Sphinx in J. H. Hastings, *Encyclopedia of Religion and Ethics*, Vol. XI, pp. 767-8 Edinburgh, 1920.
- T. J. C. BALY, Notes on the Ritual of Opening the Mouth, the *Journal of Egyptian Archeology*, Vol. 16, pp. 173-86, London, 1930.
- E. V. BERGMANN, Die Sphinx, in *Zeitschrift fur agyptische Sprache*, Vol. XVIII, pp. 50-1. Leipzig, 1880.
- A. M. BLACKMAN, Some Notes on the Ancient Egyptian Practice of Washing the Dead, in the *Journal of Egyptian Archaeology* Vol. V. pp. 117-24. London 1918.
- A. M. BLACKMAN, The Rite of Opening the Mouth in Ancient Egypt and Babylonia, in the *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. X. pp. 47-59, London, 1924.

- L. BORCHARDT, Eingies zur dritten Periode der grossen Pyramide in Gise. Berlin, 1932.
- L. BORCHARDT, Gegen die Zahlenmystik an der grossen Pyramide bei Gise. Berlin 1922.
- L. BORCHARDT, Längen und Richtungen der vier Grundkanten der grossen Pyramide bei Gise. Berlin, 1926.
- L. BORCHARDT and K. SETHE, Zur Geschichte der Pyramiden, in Zeitschrift für ägyptische Sprache, Vol. 30, pp. 83-106, Leipzig, 1892.
- J. CAPART and MARCHELLE WERBROUCK, Memphis à l'ombre des Pyramides. Brussels, 1930.
- S. CLARKE and R. ENGELBACH, Ancient Egyptian Masonry. Oxford, 1930.
- J. H. Cole, The Determination of the Exact Size and Orientation of the Great Pyramid of Giza (Survey of Egypt, Paper No. 39) Cairo, 1925.
- D. E. DESRY, Mummification, in Annales du Service des Antiquités, Vol. LII, pp. 235-65. Cairo, 1942.
- E. DRITON, Review of B. GRADSLOFF, Des Reinigungszelt, in Annals du Service des Antiquités Vol. XL. pp. 1007-14, Cairo, 1940.
- B. GRDSELOFF, Das ägyptische Reinigungszelt, Cairo, 1941.
- U. HOLSCHER, Das Grabdenkmal des Königs Chephren. Leipzig, 1912.
- G. JEQUIER, Manuel d'archéologie égyptienne Paris, 1924.
- G. JÉQUIER, Le Mastabat Feraoun. Cairo ; 1928.
- H. JUNKER, op. cit.
- H. JUNKER, Von der ägyptische sprache, Vol. 63. 63 pp. 1-14. Leipzig, 1928.
- W. M. F. PETRIE, The Pyramids and Temples of Gizeh, London, 1883.
- G. RAWLINSON, History of Herodotus (Everyman's Library, edited by E. H. Blakeney). London 1912.
- G. A. REISNER, op. cit.
- G. A. REISNER, Hetep-Heres, Mother of Cheops, in the Bulletin of the Museum of Fine Arts, Vols XXV (Special Supplement) XXVI and XXX. Boston, 1927-32.
- G. A. REISNER, A History of the Giza Necropolis, Vol. I, Cambridge Massachusetts, 1942.

- G. A. REISNER, Mycerinus, The Temples of the Third Pyramid at Giza, Cambridge, Massachusetts, 1931.
- SELIM BEY HASSAN, Excavations at Giza. Oxford and Cairo, 1932, 1943.
- E. BALDWIN SMITH, Egyptian Architecture as a Cultural Expression, New York, 1938.
- W. STEVENSON SMITH, A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom Oxford, 1946.
- W. STEVENSON SMITH, Old Kingdom Sculpture, in the American Journal of Archaeology, Vol. XLV, pp. 514-28. Concord, New Hampshire, 1941.
- H. VYSE and J. E. PERRING, op. cit.
- W. G. WADDELL, An account of Egypt by Diodorus Siculus, in the Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt, Vol. I Parts I and 2 Cairo, 1933.

CHAPTER V.

- L. BORCHARDT, Das Grabdenkmal des Königs Nefer-ir-ke-Re. Leipzig. 1909.
- L. BORCHARDT, Das Grabdenkmal des Königs Ne-user-Re. Leipzig, 1907.
- L. BORCHARDT, Das Grabdenkmal des Königs Sahr-Re. Leipzig 1910-13.
- L. BORCHARDT, Die Pyramiden, ihre Entstehung und Entwicklung. Berlin, 1911.
- F. W. VON BISSING. Das Re-Heiligtum des Königs Ne-user-Re-Berlin ; 1905.
- E. DRITON, Une représentation de la famine sur un bas-relief égyptien de la Ve Dynastie, in Bulletin de l'Institut d'Égypte, Vol. XXV. pp. 45-54. Cairo, 1942-43.
- A. ERMANN, The Literature of the Egyptians (translated by A. M. Blackman) London, 1927.
- C. M. FIRTH, Excavations of the Department of Antiquities at Sakkara (1928-29) in Annales du Service des Antiquités, Vol. XXIX, pp. 64-70. Cairo, 1929.
- C. M. FIRTH and B. GUNN, The Teti Pyramid Cemeteries, Cairo, 1926.

- C. M. FIRTH, Excavations of the Department of Antiquities at Sakkara (1928-20) in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XXIX, pp. 64-70, Cairo, 1929.
- C. M. FIRTH and B. GUNN, *The Teti Pyramid Cemeteries*, Cairo, 1926.
- B. GRDSELOFF, Deux inscriptions juridiques de l'Ancien Empire, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XLII, pp. 25-70, Cairo, 1942.
- G. JÉQUIER, *La pyramide d'Aba*, Ceiro, 1935.
- G. JÉQUIER, *La Pyramide d'Oudjebten*, Cairo, 1928.
- JÉQUIER *Le monument Funéraire de Pepi il* Cairo, 1936-41.
- G. JÉQUIER, *Les pyramides des reines Neit et Apuit*, Cairo 1933.
- P. LACAU, Suppressions des noms divins dans les textes de la chambre funéraire, in *Annales du Services des Antiquités*, Vol. XXVI, pp. 69-81, Cairo, 1926.
- P. LACAU, Suppression et modifications de signes dans les textes funéraires, in *Zeitschrift für ägyptische Sprache*, Vol. 51, pp. 1-64, Leipzig, 1914.
- E. MEYER, *Geschichte des Altertums*, Berlin, 1921.
- SELIM BEY HASSAN, Excavations at Sakkara (1937-38), in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XXXVIII, pp. 519-20, Cairo, 1938.
- K. SETHE, *Die altägyptischen Pyramidentexte*, Leipzig, 1908-22.
- K. SETHE, *Übersetzung und Kommentar zu den altägyptischen Pyramidentexten*, Glückstadt.

CHAPTER VI

- E. R. AYRTON, C. T. CURRELLY and A. E. P. WEIGALL, *Abydos III* (London, 1904).
- G. BRUNTON, *Lahun I, The Treasure*, London, 1920.
- B. BRUYERE, *Fouilles de l'Institut français du Caire*, Vol. VIII Cairo, 1933,
- H. CARTER, Report on the Tomb of Menthuhotep I in the *Annales du Service des Antiquités* Vol. II, pp. 201-5 Cairo, 1901.
- NINA M. DAVIES, Some Representations of Tombs from the Theban Necropolis ; in the *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. 24, pp. 25-40. London 1938.

- W. F. EDGERTON, Chronology of the Twelfth Dynasty, in the Journal of Near Eastern Studies, Vol. I, pp. 307-14. Chicago, 1942.
- A. H. GARDINER and H. I. BELL, The Name of Lake Moeris, in the Journal of Egyptian Archeology, Vol. 29, pp. 37-50. London, 1943.
- J. E. GAUTIER, and G. JÉQUIER, Fouilles de Licht, Cairo, 1902.
- B. GUNN, The Name of the Pyramid-Town of Sesostri II, in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 31, pp. 106-7 London, 1945.
- B. GUNN and A. H. GARDINER, The Expulsion of the Hyksos, in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. V. pp. 36-56 London, 1918.
- H. R. NALL, The Ancient History of the Near East. London, 1913. W. C. HAYES, The Entrance Chapel of the Pyramid of Ser-Wosret I, in the Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York 1934, Section 2, pp. 9-26.
- A. LANSING, The Museum's Excavations at Lisht, in the Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York, Vol. V (1920), pp. 3-11, Vol. XXI (1926) Section 2, pp. 33-40, Vol. XXIX (1934) Section 2, pp. 4-9.
- A. M. LYTHGOE, The Treasure of Lahun, in the Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, November 1921, Part 2, pp. 5-19; December 1922, Part 2, pp. 4-18.
- J. DE MORGAN, Fouilles à Dahchour, Vienna, 1895-1903.
- E. NAVILLE and H. R. HALL, The Xith Dynasty Temple of Deir el-Bahari. London, 1907-13.
- P. E. NEWBERRY, The Co-regencies of Ammenemes III, IV and Sebeknofru, in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 29 pp. 74-5. London, 1943.
- W. M. F. PETRIE, Hawara, Biehmu and Arsinoe, London, 1889.
- W. M. F. PETRIE, Illahun, Kahun and Gurob, London 1890.
- W. M. F. PETRIE, Kahun, Gurob and Hawara, London, 1890.
- W. M. F. PETRIE, G. Brunton and M. A. Murray, Lahun II. London, 1923.
- W. M. F. PETRIE, G. A. WAINWRIGHT and E. MACKAY, The Labyrinth Gerzeh and Mezghuneh, London, 1912.

- D. RANDALL-MACLVER and A. C. MACE, *El-Amreh and Abydos*, London, 1902.
- M. RAFFHAEL, *Nouvea Unom d'une Pyramide d'un Amenemhet*, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XXXVII, pp. 79-80 Cairo, 1937.
- G. A. REISNER, *Excavations at Napata, the Capital of Ethiopia* in the *Bulletin of the Museum of Fine Arts*, Vol. XV, No 89. pp. 25-34, Boston, 1917.
- G. A. REISNER, *Known and Unknown Kings of Ethiopia*, in the *Bulletin of the Museum of Fine Arts*, Vol. VI, No. 97. pp. 67-81. Boston ; 1918.
- G. A. REISNER, *The Royal Family of Ethiopia*, in the *Bulletin of the Museum of Fine Arts*, Vol. XXI, No. 124 pp. 12-27. Boston, 1923.
- J. VANDIER, *Le tombe de Nefer-Abou*, Cairo, 1935.
- H. E. WINLOCK, *the Eleventh Egyptian Dynasty*, in the *Journal of Near Eastern Studies*, Vol. 2, No 4, pp. 249-83. Chicago, 1943.
- H. E. WINLOCK, *Excavations at Deir el-Bahri, 1911-1931*, New York, 1942.
- H. E. WINLOCK, *Neb-hepet-Re Mentu-Hotep of the Eleventh Dynasty* in the *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. 26 pp. 116-19, London, 1940.
- WINLOCK, *The Theban Necropolis in the Middle Kingdom*, in the *American Journal of Semitic Languages*, Vol. XXXII, pp. 1-37, Chicago, 1915.
- H. E. WINLOCK, *The tombs of the Kings of the Seventeenth Dynasty at Thebes*, in the *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. X pp. 217-77. London, 1924.
- H. E. WINLOCK, *The Treasure of El-Lahun*, New York, 1934.

CHAPTER VII.

- A. BORCHARD, *Die Entstehung der Pyramide an der Baugeschichte der Pyramide bei Mejdum nachgewiesen*. Berlin 1928.
- J. H. BREASTED, *op. cit.*,
- S. CLARKE and R. ENGEBACH, *op. cit.*

- J. H. COLE, *op. cit.*,
W. B. EMERY, A Preliminary Report on the First Dynasty Copper Treasure from North Saqqara, in *Annales du Service des Antiquités*, Vol. XXXIX, pp. 427-47. Cairo. 1939.
B. CUNN, Review of T.E. Peet, The Phind Mathematical Papyrus, in the *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. II pp. 123-37 London, 1926.
A. LUCAS, *Ancient Egyptian Materials and Industries* (2nd Edition) London, 1934.
A. C. MACE, Excavations at the North Pyramids of Lisht, in the *Bulletin of the Metropolitan Museum of Art*, Vol. IX p. 220 New York, 1914.
G. MASPERO, Note sur le pyramidion d'Amenhath III, pp. 206-8 Cairo, 1902.
W. M. F. PETRIE, The Building of a Pyramid, in *Ancient Egypt*, 1930, II pp. 33-9 London.
W. M. F. Petrie, *The Pyramids and Temples of Gizeh*, London, 1883.
G. RAWLINSON, *op. cit.*
L. ROWE, *op. cit.*,
K. SETHE, *Übersetzung und Kommentar zu den altägyptischen Pyramidentexten* Glückstadt.
S. Smith, A Babylonian Fertility Cult, in the *Journal of the Royal Asiatic Society*, October 1928, pp. 849-75.
W. G. WADDELL, *Herodotus*, Book II London, 1939.
N. F. WHEELER, Pyramids and their Purpose, in *Antiquity*, Vol. IX, 172-85 Gloucester, 1935.

أقرأ في هذه السلسلة

جوزيف دامموس
سبع عهدة فاصلة في المصنف
الوسطى

د. لينواير تشامبرز
سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية أزاء مصر

د. جون شستلر
كيف قضيت ٣٦٥ يوما في
السنة

بيير الير
الصمالة

د. غبريال وهبة
أثر الكوميديا اللاتينية لهاتقى
في الفن التشكيلى

د. ريميس عوض
الصحى الروسى قبل الثورة
البلشفية وبعدما

د. محمد نسمان جلال
حركة عدم الانحياز في عالم
متغير

فرانكلين ل. باومر
الفكر الأوربي الحديث ٤ ج

شوكيت الربيعى
الفن التشكيلى المعاصر في
الوطن العربى

د. محى الدين أحمد حسين
القتلة الإسرائيلية والإعدام المفضل

ج. دافنى اندرو
نظريات الشيلم الكبرى

جوزيف كورناد
مختارات من الأدب القصصى

د. جومان دريشتر
الحياة في الكون كيف نشأت
وأيمن توجد

طائفة من العلماء الأمريكيين
مباشرة الدفاع الاستراتيجى
حرب للقضاء

د. السيد خليفة
لعلة الصراعات الدولية

د. مصطفى حسان
البيكرى كيميوتري

مجموعة من الكتاب اليابانيين للقدماء
والعديدين

مختارات من الأدب اليابانى
« القصص - الدراما - النكتة -
القصة القصيرة »

بيل شول وأديت
القوة النفسية للأعراق

د. صفاء خلوص
فن الترجمة

رالف ش. مانلو
تولستوى

فكتور برومير
ستدال

فيكتور موجد
رسائل وأحداث من الخفى

فيرنر ميرابورج
الجزء والكل « معارفات في مضمار
الفيزياء الذرية »

سندى هوك
التراث القامش - ماركس
والماركسيون

ف. ع. آينكوف
فن الأدب الروائى عند تولستوى

هادى نعمان الهيتى
أدب الأطفال « فلسفته ، فنونه ،
وسائطه »

د. نعمة ربيع العزاوى
أحمد حسن الزيات كاتباً وثاقداً

د. فاضل أحمد الطاشى
أعلام العرب في الكيمياء

جلال العشرى
فكرة المسرح

منرى باربوس
الجحيم

د. السيد خليفة
صنع القرار السياسى في
منظمات الإدارة العامة

جاكوب برونوفسكى
التطور الحضارى للانسان

د. روجر ستروجان
هل تستطيع تعليم الاخلاق
للأطفال ؟

كانى ثير
تربية النولون

أ. مينيس
الحوتى والمهم في مصر
للقديم

د. ناعوم بيتروفيك
النمل والطبي

د. ناعوم بيتروفيك
النمل والطبي

برتراند رسل
أعلام الإعلام والقصص أخرى

ي. راند نكايارم جابوتسكى
الكتابات والحياة المدنية

أليس مكسلى
نقطة مقابل نقطة

د. فريمان
الجغرافيا في مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ج. فريس و. ج. ليكستروم
تاريخ السلم والتكنولوجيا
٧ ج

ليستيديل راي
الأرض الغامضة

ولتر آلن
الرواية الإنجليزية

لويس فارغاس
المشهد الى فن المسرح

فرانسوا دوما
أله مصر

فدى حسى وحرور
الانسان المصرى على الشاشه

أولج فولكف
اللاهرة مئة ألف ليلة وليلة

هاشم النحاس
الهوية القومية في السينما

ديفيد وليام ماكسوال
مجموعات النقود - صيلاها
تصنيفها - عرضها

عزيز الدوان
الوسيقى كعبر نفسي ومطلق

د. محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

ديلان قرياس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الانسان ذلك الكائن الغريب

جول ويست
الرواية الحديثة - الإنجليزية
والفرنسية

د. جود المولى شمراوى
المسرح المصرى المعاصر
أصله وتاريخه

أدور السدواوى
محمود طه الشاعر والانسان

محمود طه الشاعر والانسان

جابريل بايد
تاريخ ملكية الأراضي في مصر
الحديثة

انطوني دي كرسينس وكينيث هيتوج
اعلام الفلسفة السياسية
الحاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما
زافيسكي فـ من
الزمن وقياصه (من جزء من
البليون جزء من الثانية وعلى
مليارات الستين)

مهندس ابراهيم القرخاوي
أجهزة تكييف الهواء

بيتر رداي
الخدمة الاجتماعية والانضباط
الاجتماعي

جوزيف داموس
سبعة مؤرخين في العصور
الوسطى

سـ مـ بورا
التجارة اليونانية

دـ عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة في مصر
الاسلامية

روغالد دـ سمبسون وتورمان دـ
اندرسون
العلم والطلاب والمدراس
دـ انور عبد الملك
الشارح المعمر والفكر

ولت وتيمان دوستو
حوار حول للتنمية الاقتصادية

فرد سـ هيس
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية
من الامثال الشعبية في عهد
محمد علي

الان كاسبيار
التفوق السيمائي

سامي عبد الحملي
التخطيط السياحي في مصر
بين النظرية والتطبيق

فريد مويل وشاندرا ويكراما سيلج
اليدور الكوكبية

حسين حلمي المهندس
سراما الشاشة (بين النظرية
والتطبيق) - السينما والتلفزيون
٢ جـ

دوي روبرتسون
الهيروين واللين والفردا في
المجتمع

نور كاس ماكلينتوك
صور افريقية - نظرة على
حيوانات افريقيا

ماشم النحاس
نجيب محفوظ على الشاشة
دـ محمود سرى طه

الكومبيوتر في مجالات الحياة
بيتر لوري
المخدرات حقائق لقصية

بوريس فيدورفيتش سيرجيف
وقالغ الاعضاء في الالف
التياء

ويليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد الدرتون
تربية اسماك الزينة

احمد محمد الشولاني
كتب غيرت الفكر الانساني

جون رـ بورر وميلتون جولفيند
الفلسفة وقضايا العصر ٣ جـ

ارنولد توينبي
الفكر التاريخي عند الافريق

دـ منال رخسا
ملاحم وقضايا في الفن
التشكيلي المعاصر

مـ د كنج وكفرون
التقنية في البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

دـ السيد طه السيد آيو منجيرة
الحرف والصناعات في مصر
الاسلامية منذ الفتح العربي
حتى نهاية العصر الفاطمي

جالييليو جالييليه
حوار حول الظالمين للفيلسوفين
للجون ٣ جـ

اريك موريس والآن هو
الارهاب

سيريل المريد
اختلاوتون

ارثر كيمستر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود
البحر

بـ كرملان
الاساطير الافريقية والرومانيه

دـ توماس اـ هاريس
التوافق النفسي - تحليل
المعاملات الانسانية

لجنة الترجمة
المجلس الاعلى للثقافة
للليل البيولوجيا في
روائع الادب العاليه جـ ١

دوي لرمز
لغة الصورة في السينما المعاصرة

ناجاي متشير
الثورة الاجتماعية في اليابان

بول هاريسون
العالم الثالث هذا

ميكايل ابلي وجيس لظوك
الاقراض الكبير

آدامز فيليب
ليل تنظيم المئات

فيكتور مورجان
تاريخ النقود

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع التوركستاني

ابو القاسم الغدوسي
الاشاعمة ٢ جـ

بياتون بورتر
الحياة الكريمة ٢ جـ

جاءه كرايس جوايود
كتابة للتاريخ في مصر للقرن
التاسع عشر

محمد فؤاد كوريولي
قيام الدولة العثمانية

فولس يار
التشكيل للسينما والتلفزيون

تاجور ، شين ين بنج وكفرون
مقتارات من الادب الصيني

ناصر خسرو علوي
سفرنامه

ناندين جورنجر وجرينس اوجوت
واخرون
سقوط الحرف وقصص اخرى

احمد محمد الشولاني
كتب غيرت الفكر الانساني
٧ جـ

جان لويس بوري واخرون
في النقد السيمائي الفرنسي

العثمانيون في اوربا
بول كيراز

حريص بير يرايد
مفتاح الخلود

زيجمونت ميز
جماليات فن الاختراع

جوناثان ريلى سميت
لسنة الصليبية الاولى وقصة
المروء الصليبية

الفريد ج. بثل
فلسف القبطية القديمة في
مصر ٢ ج

ريتشارد شلخت
رواية الفلسفة الحديثة

تريتم زيلشت
من كتاب الاستاذ المقدس

الماج يونس المصري
رحلات في تركيا

هربرت تيار
الاصنام والهيمنة الثقافية

هرتاند راسل
السلطة والفرد

بيتر ليكولز
السياسة الثقافية

ادوارد ميرى
الفلسفة للسياسة في الامريكى

تفالى لوس
مصر الرومانية

ستيفن اوزمنت
للتاريخ من شتى جويليه ٣ ج

مولى براج واخرون
للسياسة العربية من الخليج الى
المحيط

فانس بكاره
للقوم يصنعون للبشر ٢ ج

جابر محمد الجزار
مستشرق

د. ابرار كريم اده
من هم التتلى

ج. س. فريزر
للكاتب الحديث وعالمه

٢ ج
موريل عبد الله

حيث الله
من روائع الادب الهندية

لوزيت تود
ممثل الى علم اللغة

اسحق عليموف
للعموس المتفجرة

اسرار السور لوفيا
مارجريت روف

ما بعد الحضارة

د. بيارد فونج
الانحراف في الف علم

ستيفن رانسيمان
الحضارات الصليبية

د. ج. ولز
معلم تاريخ الاسلام
٥ ج

جوستاف جرونبارم
حضارة الاسلام

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيروت الى مصر والحيال

٢ ج
جلال عبد الفتاح

للكون ذلك المجهول

ارنولد جزل واخرون
للطفال من الخامسة الى العاشرة

٢ ج
بدي اوانيسود

الفريقا - الطريق الاخر
د. محمد زليم

فن الزجاج

برنسلر مالتروميسكى
السفر والعلم والدين

ادم ماز
للمضارة الاسلامية

فانس بكاره
للقوم يصنعون للبشر

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
وهيمات رحلة فانسكو دلجما

ليدى شاتومان
كولدا المتمد

سوندارى
للفلسفة الجمهورية

مارتن فان كريفلد
حرب المستقبل

فرانسيس ج. برجين
الاعلام التطبيقية

عبد مياشر
للهيوية المصرية من محمد على
للمساهدات

ج. كارايل
لمسيحة المفاهيم الهندسية

توماس ليهبارت
فن الماييم والياتنوميم

ادوارد دويدرو
للتفكير المتجه

د. ويليام ه. ماثيوز
ما هي للهندسولوجيا

كريستيان ساليه
السياسي في السياسة الفرنسية

بول وارن
خطايا نظام النجم الامريكى

جورج ستايلز
بين كولستوى ودوستويفسكى
٢ ج

يانكو لافرين
للتروماتيكية والواقعية

محمود سامى حطا الله
القيام التسبيلى

جوزيف بلس
رحلة جوزيف بلس

ستالى جيه سولومون
للقواح للعلم الامريكى

مارى ب. دافى
للمصر والبيض والسود

جوزيف م. بيرج
فن الفرقة على الكلام

كريستيان ميروى تريكور
الحياة الفرعية

جوزيف بيلدام
موجز تاريخ العلم والحضارة

٢ ج
في الصين

ليوناردو دالفنسى
نظرية التصور

ت. ج. ه. جيمز
لكون الفراشة

رونولف فون هايستزج
رحلة الامير رونولف الى الشرق

٣ ج

مالكوم براونيرى
للارواية اليوم

وليم مارسدن
رحلة ماركو پولو ٢ ج

هاري بيرين
للتاريخ اوريا في المصور الوسطى

ديفيد شلير
نظرية الانب المعاصر وقراءة الشعر

اسحق عظيموف
العلم والافاق المستقبل

رونالد دافيد لانج
للعلمة والجنون والمماعة

كارل بوير
بحثا عن عالم افضل

فرمان كلارك
للتقانة السياسية للعلم

واللكنولوجيا

السيد نصر الدين السيد
اطلاعت على الزمن الاتي

ممدوح عطية
البرنامج الترويجي الاسرائيلي
والامن القومي العربي)

د ليوبوسكايا
الحب

ايفور ايفانس
معمل تاريخ الادب الانجليزي

هيربرت ريد
التربية عن طريق الفن

وليام بينز
معجم التكنولوجيا الحيوية

الفين توفلر
تحول السلطة ٢ ج

يوسف شرارة
مشكلات القرن الحادي والعشرين
والعلاقات الدولية

رولاند جاكسون
الكيمياء في خدمة الانسان

ت ج جيمز
الحياة ايام الفراغة

جرج كاشمان
لماذا تلتشب الحروب ٢ ج

حسام الدين زكريا
الطون بروكتر

انزا فـ فوجل
المعجزة اليابانية

وتفرد هولز
كللت ملكة على مصر

جيمس هنري برستد
تاريخ مصر

بول داليز
البنائات الثلاث الاخيرة

جوزيف وهاري فيلتمان
ميثاقية الفيلم

جـ كورتنتو
المحضرة الفينيقية

رستم كاسبرو
في المعرفة التاريخية

كنت ١ - كنتس
رسميس الثاني

جان بول سارتر وآخرون
مختارات من المسرح العالم

دورالند وجاك يانسن
الطفل المصري القديم

نيكولاس ماير
شربلوك هولز

ميجيل دي ليس
الفنران

جومبيي دي لونا
موسوليني

الريز جرايتر
موتسارت

على عبد الرؤوف اليمبي
مختارات من الشعر الاسباني

روبرت سكوايز وآخرون
الطاق انب الخيال العلمي

بـ من ديليك
المفهوم الحديث للمكان والزمن

منـ هارلد
شهر الرحلات الى غرب المريخية

وـ يارتولد
تاريخ الترك في اسيا الوسطى

اللانيمير تيمانيانو
تاريخ اوريا الشرقية

جابريل جاجارسيا ماركس
الجنرال في المشاة

هنري برجسون
الخشعة

مصطفى محمود سليمان
الزوال

مـ رـ ثرنج
شمير المهلن

١ـ رـ جرنى
الحيلون

ستينو موسكاتي
الحضارات السامية

دـ البرت حوراني
تاريخ الشعوب العربية

محمود قاسم
الكتب العربي المكتوب بالفرنسية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٩١١٦

ISBN — 977 — 01 — 5392 — 3

قبل ثلاثة آلاف عام ابتكر المصريون القدماء شكلاً جديداً من أشكال البناء استخدموه فى تشييد أضرحة فرعونهم وهو الشكل الذى يعرف بالهرم ويبطو أنه استلهم من منظر أشعة الشمس عندما تخرق السحب فتسرم بخطوطها المائلة صور مثلثات قاعدتها الأرض وقامتها السماء وقد بنى المصريون القدماء على مدار خمسة عشر قرناً عشرات الأهرامات التى تمتد كسلسلة متتالية على الضفة الغربية للنيل فى مواجهة مدينة القاهرة وما زالت تلك الأهرام تبهرنا بجرمها وأحكام بنائها الذى استطاع أن يغالب السنين وظل على عظمة الحضارة المصرية وما بلغته من اتقان فى فنون البناء حتى أن الرحالة الأجانب عندما جاءوا إلى مصر فى العصور الوسطى قالوا أن تلك الأهرام من أبنية الجن وأن المصريين القدماء كانوا من السحرة ولكن تلك الأهرام تنهض دليل شامخ على عظمة الحضارة المصرية وقوة عزيمة أبنائها.

ومؤلف هذا الكتاب واحد من أعظم علماء الآثار الإنجليز فى عصره وقد حاول أن يتتبع فكرة بناء الأهرام وأصلها الدينى وأساليب بناؤها واستعرض مجموعة من أهم الأهرامات ومنها الهرم المدرج فى سقارة وأهرامات الجيزة ودهشور وغيرها وغيرها...